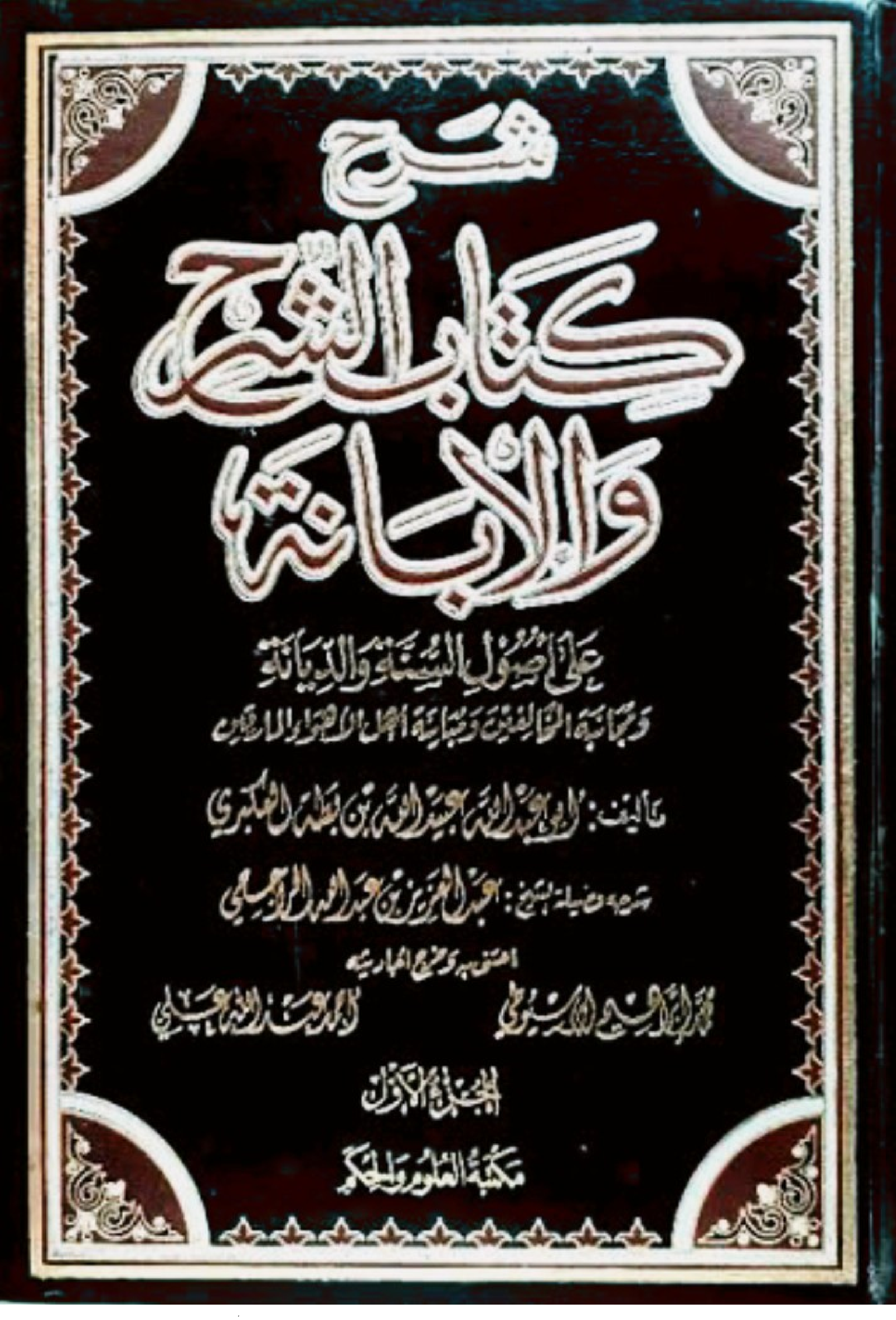

شرح
كتاب الشرح والإبانة
على أصول السنة والديانة
ومجانبة المخالفين ومباينة أهل الأهواء المارقين
تأليف: أبي عبد الله عبيد الله بن بطة العكبري
شرحه فضيلة الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله الراجحي
اعتنى به وخرج أحاديثه
الجزء الأول
مكتبة العلوم والحكم

شرح

كتاب الشرح والإبانة

على أصول السنة والديانة

ومجانبة المخالفين ومباينة أهل الأهواء المارقين

لفضيلة الشيخ **عبد الله الراجحي**

اعتنى به وخرج أحاديثه

محمد إبراهيم الأسيوطي — **أحمد عبد الله علي**

الجزء الأول

مكتبة عباد الرحمن
مصر

مكتبة العلوم والحكم
مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

تحميل كتب و رسائل علمية

قناة عامة

معلومات

t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

رابط الدعوة

الإشعارات

معطّلة

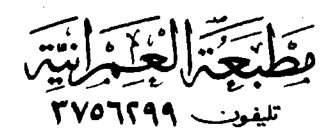


الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

الراجحي ، عبدالله.
الشرح و الأبانة علي أصول السنة و الديانة ومجانبة المخالفين ومباينة أهل الأهواء المارقين / عبد الله الراجحي ، أعتني به وخرج أحدايثه محمد إبراهيم الأسيوطي ، أحمد عبد الله علي .
القاهرة : مكتبة عباد الرحمن ، (٢٠٠٦) .
٨٩٦ ص ١٧ * ٢٤ سم .
المحتويات :
١ - الأسلام - دفع مطاعن
أ - الأسيوطي محمد إبراهيم (مخرج أحاديث). ب - علي أحمد عبد الله. جـ - العنوان
ديوى ٢١٦

رقم الإيداع	٢٠٠٦ / ٢٣٤٥٧



تليفون ٣٧٥٦٢٩٩

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المستحق الحمد لآلائه، المتوحد بعزه وكبريائه، والقريب من خلقه في أعلى علوه، البعيد منهم في أدنى دنوه، العالم بكنين مكنون النجوى، والمطلع على أفكار السر وأخفى، وما استجن تحت عناصر الثرى، وما جال فيه خواطر الورى، الذي ابتدع الأشياء بقدرته، وذرأ الأنام بمشيئته، من غير أصل عليه افتعل، ولا رسم مرسوم امتثل، ثم جعل العقول مسلكًا لذوي الحجا، وملجأ في مسالك أولي النهى، وجعل أسباب الوصول إلى كيفية العقول ما شق لهم من الأسماع والأبصار والتكلف للبحث والاعتبار، فأحكم لطيف ما دبَّر، وأتقن جميع ما قدَّر.

ثم فضل بأنواع الخطاب أهل التمييز والألباب، ثم اختار طائفة لصفوته، وهداهم لزوم طاعته، من اتباع سبل الأبرار، في لزوم السنن والآثار، فزين قلوبهم بالإيمان، وأنطق ألسنتهم بالبيان، من كشف أعلام دينه، واتباع سنن نبيه، في جمع السنن ورفض الأهواء، والتفقه فيها بترك الآراء فتجرد القوم للحق وطلبوه، وذكَّروا به ونشروه، وتفقَّهوا فيه وأصَّلوه وفرَّعوا عليه وبذلوه، حتى حفظ الله بهم الدين على المسلمين، وصانه عن ثلب القادحين، وجعلهم عند التنازع أئمة الهدى، وفي النوازل مصابيح الدجى، فهم ورثة الأنبياء، ومأنس الأصفياء، وملجأ الأتقياء، ومركز الأولياء.

فله الحمد على قدره وقضائه، وتفضله بعطائه، وبره ونعمائه، ومنِّه بآلائه.

وأشهد أن لا إله إلا الذي بهدايته سعد من اهتدى، وبتأييده رشد من اتعظ وارعوى، وبخذلانه ضل من زل وغوى، وحاد عن الطريقة المثلى.

وأشهد أن محمدًا عبده المصطفى، ورسوله المرتضى، بعثه إليه داعيًا، وإلى جنانه هاديًا، فصلى الله عليه وأزلفه في الحشر لديه، وعلى آله الطيبين الطاهرين أجمعين.

أما بعد، فإن الله جل وعلا انتخب محمدًا ﷺ لنفسه وليًا، وبعثه إلى خلقه نبيًا، ليدعو الخلق من عبادة الأشياء إلى عبادته، ومن اتباع السبل إلى لزوم طاعته، حيث كان الخلق في جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء، يهيمون في الفتن حيارى، ويخوضون في الأهواء سكارى، يترددون في بحار الضلالة، ويجولون في أودية الجهالة، شريفهم مغرور، ووضيعهم مقهور.

فبعثه الله إلى خلقه رسولًا، وجعله إلى جنانه دليلًا، فبلغ ﷺ عنه رسالاته وبين المراد عن آياته، وأمر بكسر الأصنام، ودحض الأزلام. حتى أسفر الحق عن محضه، وأبدى الليل عن صبحه، وانحط به أعلام الشقاق، وانهشم به بيضة النفاق.

وإن في لزوم سنته تمام السلامة، وجماع الكرامة، لا تطفأ سرجها، ولا تدحض حججها، من لزمها عصم، ومن خالفها ندم، إذ هي الحصن الحصين، والركن الركين، الذي بان فضله، ومتن حبله؛ من تمسك به ساد؛ ومن رام خلافه باد، فالمتعلقون به أهل السعادة في الآجل والمغبوطون بين الأنام في العاجل[1] .

وبعد :

أخي القارئ الكريم، نقدم إليك كتاب «**شرح كتاب الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ومجانبة المخالفين ومباينة أهل الأهواء المارقين**»، وهو كتاب جليل القدر في مجاله، شامل في مقامه، فهو على معتقد أهل السنة والجماعة.

---

(١) هذه المقدمة كتبها الإمام ابن حبان في مقدمة صحيحه انظر (ص١٠٠) في النسخة المحققة .

وقد اجتهدنا قدر الطاقة، وبتوفيق من الله وحده، لإخراج هذا الكتاب في أبهى صورة، وأجمل هيئة، وقد كان عملنا فيه على النحو التالي:

١ - قمنا بتخريج الأحاديث النبوية الشريفة.

٢ - كذلك تخريج الآيات من المصحف الشريف مع الالتزام بالرسم العثماني.

٣ - نظرًا لأن هذا الشرح مفرغ من محاضرات للشيخ العلامة الراجحي، من أشرطة وخلافه، فقد قمنا بتنقيح الألفاظ العامية الواردة عفوًا، وتصحيح الكلمات لتخرج في صورة كتاب مطبوع، وذلك أمر مهم جدًا.

٤ - الأحاديث النبوية الواردة في كلام الشارح بالمعنى أو فيها تغيير في بعض ألفاظها، فقد عملنا على إثبات لفظ الحديث الشريف من مكانه الذي إليه العزو، فإذا قال الشيخ - مثلًا - : رواية البخاري، وذكر اللفظ بالمعنى، فإنا نأتي بلفظ البخاري لتتم الفائدة.

٥ - تنقية المادة العلمية من بعض المداخلات التي كانت في الأشرطة أثناء شرح الشيخ حفظه الله.

وأخيرًا إخوتي الكرام، لا يسعنا إلا أن نتضرع إلى الله تعالى بالدعاء أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين، وأن يجعله في ميزان حسناتنا يوم الدين، هذا وما كان من توفيق فمن الله وحده، وما كان من نقص أو تقصير فمنا ومن الشيطان، نسأل الله تعالى بمنه وكرمه العظيم أن يتجاوز عنا، ونسأله تعالى أن يكتب لنا ولعملنا القبول في السماء والأرض، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتب:

أحمد عبدالله علي

محمد إبراهيم الأسيوطي

❁ ❁ ❁


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosailililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله من خلقه، صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين، وسلّم تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

فإننا نحمد الله - سبحانه وتعالى - ونشكره أن وفقنا للمشاركة في هذه الدروس العلمية، وأسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يرزقنا جميعًا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يرزقنا الإخلاص في العمل، والصدق في القول، وأسأله - سبحانه وتعالى - أن يتوفانا على الإسلام، غير مغيرين ولا مبدلين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أيها الإخوان، إن الكتاب الذي سوف ندرسه - إن شاء الله - في هذه الدورة كما تعلمون، هو كتاب «**الشرح والإبانة، على أصول السنة والديانة، ومجانبة المخالفين، ومباينة أهل الأهواء المارقين**».

وهذا الكتاب ألفه العالم الجليل الإمام: عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن عمر بن عيسى بن إبراهيم بن عتبة بن فرقد، ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل عتبة بن فرقد.

وهذا الإمام كنيته أبو عبد الله، ويكنى بالإمام، ولقبه ابن بطة، وبطة هذا يقال: إنه اسم أو لقب لأحد أجداده وهو عمر، وأبوه عبد الله بن بطة

العكبري نسبة إلى عكبر وهي بلدة في العراق قريبة من نهر دجلة، ينتسب إليها كثير من العلماء، يقال لهم: العكبري نسبة إلى هذه البلدة عكبر وهي بُلَيْدة صغيرة على نهر دجلة، على مسافة من بغداد.

والإمام ابن بطة - رحمه الله - من علماء القرن الرابع الهجري، ولد سنة أربع وثلاثمائة من الهجرة، وتوفي سنة ست وثمانين وثلاثمائة من الهجرة النبوية، فهو من علماء القرن الرابع الهجري، والمؤلف أبو عبد الله بن بطة - رحمه الله - اشتهر بالعلم والفقه والحديث، فهو سلفي المعتقد، على مذهب الإمام أحمد بن حنبل - رحمة الله عليه - وغيره من أئمة أهل السنة.

وله مؤلفات في العقيدة، وبيان مذهب أهل السنة والجماعة وبيان المذاهب المخالفة لأهل السنة والجماعة، منها هذا الكتاب الذي بين أيدينا **«الشرح والإبانة، على أصول السنة والديانة، ومجانبة المخالفين، ومباينة أهل الأهواء المارقين»**، ويقال له: **«الإبانة الصغرى»**.

وله كتاب أكبر من هذا، وهو **«الإبانة الكبرى»**، وهو كتاب كبير توسع فيه - رحمه الله - في بيان معتقد أهل السنة والجماعة، وبيان المذاهب المخالفة لأهل السنة والجماعة، وقد توسع في هذا الكتاب، وذكر الأسانيد. أما كتابنا هذا، فإنه حذف منه الأسانيد اختصارًا - كما ذكر في المقدمة - وحتى لا يمل القارئ، بخلاف **«الإبانة الكبرى»** فإنه ساق فيه الأسانيد؛ فله هذان الكتابان العظيمان في مسائل الاعتقاد.

وابن بطة أيضًا محدث من المحدثين، ومن أهل الحديث، ورحل في طلب العلم، ونقل عنه الأئمة والعلماء من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم في مسائل الاعتقاد؛ فهم ينقلون عنه، ويعزون إلى كتابه الإبانة؛ مما يدل على أنه من الأئمة والعلماء، الذين يرجع إليهم وإلى مؤلفاتهم.

وابن بطة محدث يروي الأحاديث بالسند، لكن الأئمة والنقاد ضعفوه من جهة الوهم والحفظ، لا من جهة الديانة والأمانة، فهو من جهة الديانة والأمانة

ثقة وإمام، لكن من جهة الحفظ له أوهام وله أغلاط بينها النقاد في الحديث؛ ولهذا يروي الضعيف أحيانًا؛ كما في هذا الكتاب، وقد يروي أحاديث لا يوجد لها أصل - وإن كانت قليلة - لكنه محدث، يروي الأحاديث بالسند.

وهو أيضًا فقيه من الفقهاء الحنابلة، تفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وله مسائل ورسائل فقهية في المناسك وفي الصلاة وفي النكاح وفي الطلاق، وينقل عنه صاحب الإنصاف: المرداوي - من الحنابلة - في المسائل الفقهية؛ فهو إمام، فقيه، محدث، سلفي المعتقد، وله في مسائل الاعتقاد عناية عظيمة في بيان معتقد أهل السنة والجماعة، وفي بيان المذاهب المخالفة لهم، ولاسيما في «الإبانة الكبرى»، فإنه متوسع.

وفي «الإبانة الصغرى» التي بين أيدينا أيضًا ساق كثيرًا من البدع والمحدثات في الدين، وبين معتقد أهل السنة والجماعة ومن خالفهم، وله كتاب في السنن مفقود، وهذا ما يدل على أنه محدث، وله كتاب «إبطال الحيل»، وله رسائل في الفقه كثيرة.

قسَّم المؤلف - رحمه الله - هذا الكتاب الذي بين أيدينا إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: ساق فيه النصوص من كتاب الله تعالى وسنة رسوله، في الحث على لزوم السنة والجماعة والتحذير من البدع والمحدثات في الدين، والحث على موالاة الصحابة ومحبتهم، والتحذير من مخالفتهم. وساق في هذا القسم نصوصًا كثيرة ما يزيد على ثلاثمائة حديث وأثر، إلا أنه حذف الأسانيد.

وهذا القسم يقرب من نصف الكتاب، وقد ساق النصوص من الكتاب ومن السنة ومن الآثار عن الصحابة ومن بعدهم في الحث على لزوم السنة والجماعة، والتحذير من البدع ومخالفة الدين، والحث على حب الصحابة وموالاتهم، والبعد عن المذاهب التي تتنقص الصحابة أو لا تتولاهم.

والقسم الثاني: مسائل الاعتقاد: التوحيد، والإيمان بالله، وإثبات الوحدانية؛ الربوبية والألوهية لله عز وجل، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتب، والإيمان بالرسل، والإيمان باليوم الآخر، والحوض، والشفاعة، والصراط والميزان.

ومن مسائل الاعتقاد: إثبات الصفات لله عز وجل، والرد على المخالفين، وإثبات الكلام لله عز وجل، والرد على من قال: إن القرآن مخلوق؛ فساق مسائل الاعتقاد وأفاض، وهي مسائل عظيمة ونافعة؛ حيث تشمل أغلب مسائل الاعتقاد.

والقسم الثالث: وهذا القسم يلي القسم الثاني في الطول، ويحتوي على المسائل الفقهية في العبادات والعادات، وساق في هذا الآثار، وهذا قسم قصير.

ثم القسم الرابع: البدع والمحدثات في الدين، ساق فيه كثيرًا من البدع والمحدثات في الدين، وحذر منها وساق فيه الآثار، وهذا القسم قصير أيضًا.

فالكتاب إذن على أقسام أربعة كما ذكرنا، وإن شاء الله - تعالى - سوف نتناول الكتاب، ونتكلم فيه بما يفتح الله علينا به.

وقد حقق هذا الكتاب الدكتور رضا بن عفان المعطي، وهي رسالة ماجستير، فترجم للمؤلف - رحمه الله - ترجمة واسعة، وذكر نسبه ومولده، وتحدث عن الزمان الذي نشأ فيه وتأثير ذلك عليه، وعن شيوخه، وعن تلاميذه، وكذلك خرج الأحاديث والآثار.

ونسأل الله أن يفتح علينا وعليكم، وأن يلهمنا الصواب، وأن يرزقنا الإخلاص في العمل، والصدق في القول، وأن يرزقنا علمًا نافعًا وعملًا صالحًا ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[1].

اللهم، علمنا بما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا يا ذا الجلال والإكرام! يا حي يا قيوم!

---

(١) سورة البقرة آية: ٣٢.

بسم الله الرحمن الرحيم،
الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال المؤلف - رحمه الله تعالى - :

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر وأعن ولك الحمد، قال الشيخ الإمام أبو عبد الله عبيدُ الله ابن محمد بن محمد ابن حمدان بن بطة العكبري - رحمه الله - :

الشرح : القاعدة في هذا أن لفظ الجلالة إذا سبقه ضم أو فتح يفخم عبيدُ الله ﴿بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾(١) ؛ وإذا سبقه كسرة، فإنه يرقق: عليهِ الله، لله، عليهِ الله، عبيدِ الله، ﴿صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ﴾(٢) وهكذا.

(أبو عبد الله): هذه كنيته، واسمه: (عبيد الله)، واسم أبيه: (محمد)، وجده: (محمد بن حمدان) بن عمر بن عيسى بن إبراهيم بن عتبة بن فرقد الصحابي الجليل، و(ابن بطة) هذا لقبه، و(العكبري) هذا نسبه إلى البلد، بلدة عكبر.

❁ ❁ ❁

(١) سورة الفتح آية : ١٠ .
(٢) سورة إبراهيم آية : ١ - ٢ .

قال المؤلف - رحمه الله - : الحمد لله الذي أسبغ علينا نعمه، وظاهر لدينا مننه، وجعل من أجلها قدرًا، وأعظمها خطرًا، أن هدانا لمعرفته، والإقرار بربوبيته، وجعلنا من أتباع دين الحق، وأشياع ملة الصدق.

الشرح : افتتح المؤلف - رحمه الله - هذه الرسالة بالحمد لله، والحمد هو الثناء على المحمود، بالصفات الاختيارية.

فإذا أثنيت على محمود بالصفات الاختيارية، فإن هذا يسمى حمدًا، سواء كانت لازمة أو متعدية؛ أما إذا أثنيت عليه بالصفات اللازمة، فإنه يسمى مدحًا، كما لو أثنيت على الأسد وقلت له: الأسد قوي مفتول الساعدين، فإن هذا يسمى مدحًا، وليس حمدًا؛ لأن هذه الصفات لازمة وثابتة كلها.

أما إذا أثنيت على الإنسان بالكرم والشجاعة والجود، فإن هذا يسمى حمدًا، والله - تعالى - له جميع أنواع المحامد، وله الكمال، جميع المحامد بأنواعها هي ملك لله، ومستحق لها، فهو محمود عليها - سبحانه وتعالى - لما له من الصفات العظيمة، ولما له من النعم المتعدية إلى عباده - سبحانه وتعالى - وهو - سبحانه وتعالى - محمود على ما له من الصفات العظيمة والأسماء الحسنى، ومحمود على نعمه وآلائه على عباده سبحانه وتعالى .

والحمد أكمل من المدح؛ لذا قال: الحمد لله، ولم يقل: أمدح الله.

قال: (الحمد لله الذي أسبغ علينا نعمه)، والله - تعالى - أسبغ على عباده نعمه الظاهرة والباطنة، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[(١)] وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[(٢)].

---

(١) سورة النحل آية : ٥٣ .

(٢) سورة لقمان آية : ٢٠ .

والله - سبحانه وتعالى - خلقنا وأوجدنا من العدم، وربانا بنعمه، وأعطانا السمع والبصر والعقل، ثم هدانا للإسلام، ووفقنا للإيمان، هذه أعظم نعمة، أعظم وأجل ما يقسمه الله ويقدره الله على عبده من النعم هي الهداية للإسلام.

وأعظم مصيبة، وأعلى مصيبة، وأشد مصيبة يقدرها الله للعبد: هي الكفر - والعياذ بالله - وله الحكمة البالغة - سبحانه وتعالى - فالكفر مقدر، والإسلام مقدر، الإيمان مقدر، والمعاصي مقدرة، ولله الحكمة البالغة، فهو يهدي من يشاء بفضله ونعمته ومنته، فضلًا منه وإحسانًا، ويضل من يشاء بعدله وحكمته.

ونحمد الله على نعمة الإسلام والإيمان، ونسأله - سبحانه وتعالى - أن يثبتنا على دينه حتى الممات.

له الحمد نحمده ونثني عليه.

قوله: (أسبغ علينا نعمه) فما أسبغ من النعم كثيرة ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[1] نعمة الخلق والإيجاد، ونعمة السمع والبصر والعقل، نعمة الإيمان والإسلام، نعمة النفس الذي يتردد بين جنبي الإنسان، نعمة المال، نعمة الولد، نعمة الرزق ورغد العيش.

﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[2] لا يستطيع الإنسان عدها؛ ولهذا قال: (وظاهر لدينا منته) ظاهر يعني أردف علينا النعم بالمنن ظاهرها جعلها فوقها، وتأتي بعدها: أسبغ علينا نعمه وظاهر لدينا منته.



(١) سورة النحل آية : ٥٣ .
(٢) سورة إبراهيم آية : ٣٤ .

قال المؤلف - رحمه الله - : وجعل من أجلها قدرًا، وأعظمها خطرًا، أن هدانا لمعرفته، والإقرار بربوبيته، وجعلنا من أتباع دين الحق، وأشياع ملة الصدق.

الشرح : بين المؤلف - رحمه الله - أن من أجل النعم قدرًا وأعظمها خطرًا، أن هدانا لمعرفته والإقرار بربوبيته.

نعرف الله - سبحانه وتعالى - بأسمائه وصفاته، ونعرِّف الله لعباده بأسمائه وصفاته، فيقر العباد بربوبيته ووحدانيته وما له من الأسماء والصفات، ثم بعد ذلك يعبد الإنسان ربه ويوحده ويخلص له العبادة؛ فأنت أولًا تعرف ربك بأسمائه وصفاته وأفعاله بما له - سبحانه - من الأسماء الحسنى التي أثبتها في كتابه، وعلى لسان رسول الله ﷺ.

وكذلك ما وصف به نفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ فإذا عرفت الله فإنك تعبده وتوحده؛ ولهذا فإن توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات وسيلة إلى توحيد العبادة والألوهية.

فالغاية هي توحيد العبادة، فهي الغاية المحبوبة لله والمرضية له، والتي من أجلها خلق الله الخلق، خلق الجن والإنس لتوحيده بالعبادة، قال - سبحانه - : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]؛ ومن أجل ذلك أرسل الله الرسل وأنزل الكتب ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[2].

وهي دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم، كل نبي يدعو قومه إلى

---

(١) سورة الذاريات آية : ٥٦ .

(٢) سورة النحل آية : ٣٦ .

التوحيد، ويقول: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[(١)] كما أخبر الله عن نوح وهود وصالح وشعيب.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[(٢)].

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[(٣)].

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾[(٤)]. ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾[(٥)].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[(٦)].

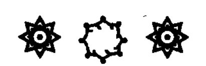
وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[(٧)].

إذن: فالغاية المحبوبة لله والمرضية له هي توحيد الله، وإفراده بالعبادة بجميع أنواعها، هذه هي الغاية. أما توحيد الأسماء والصفات وتوحيد الربوبية، هذه وسيلة؛ فالله تعالى تعرف إلى عباده بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ فلما عرفه العباد وجب عليهم توحيده وطاعته وإفراده بالعبادة؛ ولهذا المؤلف - رحمه الله - قال: (وجعل من أجلها قدرًا، وأعظمها خطرًا، أن هدنا لمعرفته، والإقرار بربوبيته).

---

(١) سورة الأعراف آية : ٥٩ .
(٢) سورة الأعراف آية : ٥٩ .
(٣) سورة الأعراف آية : ٦٥ .
(٤) سورة الأعراف آية : ٧٣ .
(٥) سورة الأعراف آية : ٨٥ .
(٦) سورة الأنبياء آية : ٢٥ .
(٧) سورة النحل آية : ٣٦ .

هذا توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، ثم قال: (وجعلنا من أتباع دين الحق) هذا هو توحيد العبادة؛ فالمتَّبع لدين الحق هو الذي يعبد الله ويخلص له العبادة، يوحده بالدعاء وبالخوف وبالرجاء، بالصلاة وبالزكاة وبالصوم وبالحج، ببر الوالدين وبصلة الرحم، بالجهاد في سبيل الله وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ولهذا قال: (وجعلنا من أتباع دين الحق) وهو دين الإسلام، وهو ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ (وأشياع ملة الصدق) أشياع يعني: المؤيدين والمؤمنين لملة الصدق، والملة الدين، وملة الصدق هي: ملة الإسلام.



الثناء على الله تعالى بما مَنَّ علينا من النعم

قال المؤلف - رحمه الله - : فله الحمد، نحمده ونثني عليه، بما اصطنع عندنا أن هدانا للإسلام، وعلمنا ووفقنا للسنة، وألهمنا وعلمنا ما لم نكن نعلم، وكان فضل الله علينا كبيرًا.

الشرح : صدق، فله الحمد، كرر الحمد لأهميته ولعظم شأنه؛ لأن الله تعالى هو الذي يستحق الحمد؛ فله الحمد نحمده ونثني عليه، والثناء هو التكرار للحمد مرة بعد أخرى، كما قال - سبحانه - في سورة الفاتحة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1] ثم قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[2] الرحمن ثناء، ونحمده ونثني عليه) تكرار للثناء، ثم ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[3] توسع في المحامد؛ ولهذا قال: (فله الحمد، نحمده ونثني عليه بما اصطنع عندنا) يعني بما أعطانا ووهبنا من النعم. اصطناع المعروف بما أسبغ علينا من النعم، يقال: فلان صنع إليك معروفًا، اصطنع إليك معروفًا، يعني أسدى إليك معروفًا، فالله تعالى أسدى إلينا النعم ووهبنا إياها، وأعظمها أن هدانا للإسلام (بما اصطنع عندنا)، (فله الحمد نحمده سبحانه ونثني عليه) ثناء بعد ثناء، حيث منّ علينا بالإسلام، وهدانا للإسلام، ووفقنا للإسلام.

ولهذا قال: (وعلمنا) سبحانه (ووفقنا للسنة) ولم يجعلنا من أهل البدعة، (وألهمنا وعلمنا ما لم نكن نعلم) كل هذا من فضله وإحسانه، لو شاء -

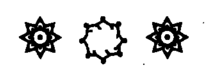
---

(١) سورة الفاتحة آية : ٢ .

(٢) سورة الفاتحة آية : ١ .

(٣) سورة الفاتحة آية : ٤ .

سبحانه - لم تكن كذلك، ولو شاء لم يهدك للإسلام، ولو شاء لم يعلمك، ولم يوفقك للسنة، ولكنت من أهل البدع، ولكنه - سبحانه - بفضله وعظيم منته وإحسانه هدانا للإسلام وعلمنا ووفقنا للسنة، وألهمنا وعلمنا ما لم نكن نعلم، وكان فضل الله علينا كبيرًا، فنحمد الله على ذلك.



الصلاة على النبي المصطفى

قال المؤلف - رحمه الله - : وصلى الله على محمد نبيه المرتضى، ورسوله المصطفى، أرسله لإقامة حجته، وإثبات وحدانيته، والدعاء إليه بالحكمة والموعظة الحسنة.

الشرح : بعد أن حمد الله، صلى على نبيه ﷺ قال: (صلى الله على محمد) وأصح ما قيل في الصلاة - في صلاة الله على عبده - ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي العالية قال: «صلاة الله على عبده ثناؤه عليه في الملأ الأعلى» ؛ فنحن نسأل الله أن يثني على عبده محمد في الملأ الأعلى. وقيل: إن الصلاة إذا أطلقت تشمل الثناء والرحمة، وإذا اجتمعا صارت الصلاة هي الثناء، كما في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ (١) .

لما عطف الرحمة على الصلاة، صارت الصلاة هي الثناء والرحمة خرجت من معناها - أي الصلاة - وإذا أطلقت الصلاة وحدها دخلت فيها الرحمة؛ فأنت تسأل الله أن يثني على عبده محمد ﷺ في الملأ الأعلى، وأن يرحمه، وفي الحديث القدسي يقول الله - سبحانه وتعالى - : «من ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي؛ ومن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منهم» (٢) .

---

(١) سورة البقرة آية : ١٥٧ .

(٢) البخاري: التوحيد (٧٤٠٥)، ومسلم: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٧٥)، والترمذي: الدعوات (٣٦٠٣)، وابن ماجه: الأدب (٣٨٢٢)، وأحمد (٢/ ٣٥٤) .

وصلى الله على عبده، يعني: اللهم، صل على عبدك، على محمد، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي العربي، المكي ثم المدني، من ولد إسماعيل بن إبراهيم الخليل - عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم - فهو عبد الله ورسوله المصطفى، يعني اصطفاه الله - سبحانه وتعالى - من بين خلقه، فهو - عليه الصلاة والسلام - نبي الله ورسوله المجتبى والمصطفى، وهو أفضل الأنبياء والمرسلين عليهم أفضل الصلاة والسلام.

ورسالته عامة شاملة للعرب والعجم، والجن والإنس - للثقلين - فمن أنكر نبوته - عليه الصلاة والسلام - فهو كافر بإجماع المسلمين، قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «والذي نفسي بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم لا يؤمن بي، إلا دخل النار»[(١)] ومن قال: إنه رسول إلى العرب خاصة، فهو كافر بإجماع المسلمين؛ من أنكر نبوته إلى العجم، أو أنكر نبوته إلى الجن، فهو كافر.

وهو خاتم النبيين - عليه الصلاة والسلام - ومن قال: إنه بعده نبي، فهو كافر بإجماع المسلمين؛ فهو نبي الساعة، فلا بد أن يؤمن الإنسان بأن محمدًا عبد الله ورسوله، عبد ورسول، ولا بد أن يؤمن بأن رسالته - عليه الصلاة والسلام - عامة للعرب وللعجم، وللجن والإنس، ولا بد أن يؤمن بأنه خاتم النبيين.

وشريعته عليه الصلاة والسلام ناسخة لجميع الشرائع، فليس بعده نبي، وليس بعده رسول، وليس بعده شريعة، شريعته هي الشريعة الخاتمة، (وصلى الله على محمد نبيه المرتضى) الذي ارتضاه الله - سبحانه وتعالى - (ورسوله المصطفى) اصطفاه وأرسله لإقامة الحجة على عباده؛ فالرسل أرسلهم الله

---

(١) مسلم: الإيمان (١٥٣)؛ وأحمد (٢/ ٣١٧).

لإقامة الحجة على العباد، قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[1].

أرسله الله لإقامة حجته، وإثبات وحدانيته في الربوبية وفي الأسماء والصفات وفي الألوهية والدعاء إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، أرسله الله يدعو إلى الله يدعو إلى توحيد الله، وينهى عن الشرك، يبلغ رسالة الله عز وجل، يأمر الناس بتوحيد الله وينهاهم عن الشرك، أرسله يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، بالحكمة واللين والرفق، والحكمة مبنية على العلم والموعظة الحسنة - لمن كان عنده شبهة - والجدال بالتي هي أحسن للمعاند.



(١) سورة النساء آية : ١٦٥ .

تكرار حمد الله

قال المؤلف - رحمه الله - : والحمد لله على الشرائع الظاهرة، والسنن الزاكية، والأخلاق الفاضلة، وسلم تسليمًا.

الشرح : كرر الحمد لبيان متعلقها (والحمد لله على الشرائع الظاهرة) الشرائع التي شرعها الله في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ جمع الشرائع بالنسبة؛ لأن الأحكام متعددة، الأحكام والأخلاق والأعمال هي (الشرائع الظاهرة) في كل أحد، لظهورها في الكتاب والسنة، (والسنن الزاكية) التي تزكي النفوس وتطهرها من أدرانها، (والأخلاق الفاضلة) التي جاء بها - عليه الصلاة والسلام - من الإحسان والبر والإيثار، والشجاعة، والكرم والعدل، إلى غير ذلك.

(وسلم تسليمًا) كثيرًا فبعد أن صلى على النبي ﷺ سلم عليه، ونحن نسلم على النبي ﷺ في كل صلاة نقول في التشهد: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

ولهذا قال الصحابة - رضوان الله عليهم - : «يا رسول الله - كما في الحديث - قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟»[1] يعني: قد علمنا كيف نسلم عليك في التشهد، نقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فكيف نصلي عليك؟ قال: «قولوا: اللهم، صل على محمد

---

(١) البخاري: الدعوات (٦٣٥٧)؛ ومسلم: الصلاة (٤٠٦)؛ والترمذي: الصلاة (٤٨٣)؛ والنسائي: السهو (١٢٨٩)؛ وأبو داود: الصلاة (٩٧٦)؛ وابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها (٩٠٤)؛ وأحمد (٤/ ٢٤٣)؛ والدارمي: الصلاة (١٣٤٢).

وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»[١].

❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري: أحاديث الأنبياء (٣٣٧٠)؛ ومسلم: الصلاة (٤٠٦)؛ والترمذي: الصلاة (٤٨٣)؛ والنسائي: السهو (١٢٨٨)؛ وأبو داود: الصلاة (٩٧٦)؛ وابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها (٩٠٤)؛ وأحمد (٤/ ٢٤٤)؛ والدارمي: الصلاة (١٣٤٢).

سؤال الله التوفيق في القول والعمل

قال المؤلف - رحمه الله - : ونستوفق الله لصواب القول، وصالح العمل.

الشرح : (نستوفق الله)، يعني نسأل الله التوفيق (لصواب القول وصالح العمل)، هذا دعاء بعد أن ذكر المؤلف - رحمه الله - الثناء على الله عز وجل ثم ثنى بالصلاة والسلام على نبيه ﷺ سأل الله عز وجل؛ أي: تضرع إليه لصواب القول وصالح العمل، وهذا هو طريق السعادة.

يعني من وفقه الله لصواب القول وصالح العمل، فهو السعيد، كان عمله صالحًا، هو ما كان خالصًا لوجه الله، موافقًا لشرع الله ودينه؛ فإذا كان العمل خالصًا لله، وموافقًا للشرع، فهو العمل الصالح المقبول عند الله؛ أما إذا كان العمل ليس خالصًا، فإنه يكون فيه شرك؛ فإذا فقد الإخلاص جاء الشرك؛ وإذا فقدت المتابعة جاءت البدعة.

يعني نسأل الله أن يوفقنا لصواب القول، فيكون القول صائبًا، والعمل صالحًا، وهذا هو طريق السعادة، فمن وفقه الله لصواب القول وصالح العمل كان من الموفقين ومن السعداء، نسأل الله التوفيق لصواب القول وصالح العمل.

❁ ❁ ❁

سؤال الله الإخلاص في العمل

قال المؤلف - رحمه الله - : ونسأله أن يجعل غرضنا فيما نتكلفه من ذلك ابتغاء وجهه وإيثار رضاه ومحبته، ليكون سعينا عنده مشكورًا، وثوابنا لديه موفورًا.

الشرح : بعد أن سأل الله التوفيق لصواب القول وصالح العمل، سأل الله الإخلاص؛ فالعمل الصالح إذا أطلق يراد به أن يكون موافقًا للشرع، والخالص المراد به أن يكون لوجه الله، وهذان ركنا العمل، شرطان لا يصح العمل إلا بهما.

الشرط الأول: أن يكون العمل صالحًا، وهو أن يكون موافقا للشرع والدين والسنة.

والشرط الثاني: أن يكون خالصًا لله، وقد جمع الله بين الشرطين في مواضع من كتابه، قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[(١)] العمل الصالح ما كان موافقًا للشرع، ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا، هذا هو العمل الخالص.

وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[(٢)] فإسلام الوجه هو إخلاص العمل لله، والإحسان هو أن يكون العمل موافقًا للشرع، وهو العمل الصالح،

---

(١) سورة الكهف آية : ١١٠ .

(٢) سورة لقمان آية : ٢٢ .

فقال - سبحانه وتعالى - : ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

ثبت في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»[2]. العمل بالنية، وهذا مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، ودل على الشرط الثاني ما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رد»[3] وفي لفظ لمسلم: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»[4].

فمقتضى شهادة أن لا إله إلا الله أن يكون العمل خالصًا لله، ومقتضى شهادة أن محمدًا رسول الله أن يكون العمل موافقًا للشرع، فتبين بهذا أن هذين الشرطين هما أصل الدين وأساس الملة، الشهادة لله تعالى بالوحدانية ولنبيه ﷺ بالرسالة، هذا أصل الدين وأساس الملة، وهو الذي ترتكز عليه الأعمال، وتبنى عليه؛ ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «بني الإسلام على خمس»[5].

الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان، عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ

---

(١) سورة البقرة آية : ١١٢ .

(٢) البخاري: بدء الوحي (١)؛ ومسلم: الإمارة (١٩٠٧)؛ والترمذي: فضائل الجهاد (١٦٤٧)؛ والنسائي: الطهارة (٧٥)؛ وأبو داود: الطلاق (٢٢٠١)؛ وابن ماجه: الزهد (٤٢٢٧)؛ وأحمد (١/ ٢٥) .

(٣) البخاري: الصلح (٢٦٩٧)؛ ومسلم: الأقضية (١٧١٨)؛ وأبو داود: السنة (٤٦٠٦)؛ وابن ماجه: المقدمة (١٤)؛ وأحمد (٦/ ٢٧٠) .

(٤) صحيح مسلم: كتاب الأقضية (١٧١٨)؛ وسنن أبي داود: كتاب السنة (٤٦٠٦)؛ ومسند أحمد (٦/ ١٤٦، ٦/ ١٨٠، ٦/ ٢٥٦) .

(٥) البخاري: الإيمان (٨)؛ ومسلم: الإيمان (١٦)؛ والترمذي: الإيمان (٢٦٠٩)؛ والنسائي: الإيمان وشرائعه (٥٠٠١)؛ وأحمد (٢/ ١٢٠) .

قال: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام»[١].

فجعل أصل الدين وأساس الملة، شهادة أن لا إله إلا الله؛ وإذا أطلقت شهادة أن لا إله إلا الله، دخلت فيها شهادة أن محمدًا رسول الله؛ وإذا أطلقت شهادة أن محمدًا رسول الله، دخلت فيها شهادة أن لا إله إلا الله.

الشهادتان لا تصح إحداهما بدون الأخرى؛ ومن شهد أن لا إله إلا الله، ولم يشهد أن محمدًا رسول الله، لم تقبل منه، ولم تصح شهادة أن لا إله إلا الله؛ ومن شهد أن محمدًا رسول الله، ولم يشهد أن لا إله إلا الله لم تصح منه ولم تقبل منه.

ولهذا فإن أهل الكتاب من اليهود والنصارى وإن كانوا يزعمون أنهم يؤمنون بالله، ويشهدون أن لا إله إلا الله، لكن الله أبطل إيمانهم؛ لأنهم لم يشهدوا أن محمدًا رسول الله، ولم يؤمنوا به؛ فقال - سبحانه - في سورة التوبة: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾[٢] فنفى عنهم الإيمان.

لماذا نفى عنهم الإيمان بالله، وهم يزعمون أنهم يؤمنون بالله؛ لأنهم لم يشهدوا أن محمدًا رسول الله، ولم يؤمنوا بمحمد - عليه الصلاة والسلام - ولم يقبلوا شرعه ودينه؛ فبطلت دعواهم الإيمان بالله.

فتبين بهذا أن هذين الأساسين هما أصل الدين وأساس الملة؛ ولهذا المؤلف - رحمه الله - سأل الله التوفيق لصواب القول وصالح العمل، هذا هو الركن الأول، وسأله الإخلاص في العمل، قال: (ونسأله أن يجعل غرضنا

---

(١) البخاري: الإيمان (٨)؛ ومسلم: الإيمان (١٦)؛ والترمذي: الإيمان (٢٦٠٩)؛ والنسائي: الإيمان وشرائعه (٥٠٠١)؛ وأحمد (٢/ ١٢٠).

(٢) سورة التوبة آية: ٢٩ .

فيما نتكلفه من ذلك ابتغاء وجهه)، وابتغاء وجهه، أي: (إيثار رضاه ومحبته).

نسأل الله أن يجعل غرضنا فيما نتكلف، فيما نقول ونعمل ونكتب ونؤلف، أن يكون العمل ابتغاء وجه الله، وأن يكون مرادًا به إيثار رضا الله ومحبته؛ فمن وفقه الله لصالح القول، وصواب القول، وصالح العمل، وجعل عمله خالصًا، صار سعيه مشكورًا عند الله، وثوابه لديه موفورًا؛ ولهذا قال: (ليكون)، هذا تعليل ونتيجة صواب العمل والإخلاص أن يكون سعينا عند الله (مشكوراً)، والثواب لديه (موفورًا).

ولهذا قال المؤلف: ليكون سعينا، يعني عملنا من صلاة وصوم وزكاة وحج، وبر الوالدين وصلة الرحم ودعوة الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإحسان إلى الناس، وكف الأذى، والبعد عن المحرمات، والبعد عن العدوان على الناس في الدماء، والعدوان على الناس في الأموال، والعدوان على الناس في الأعراض.

هذا السعي، وهذا العمل؛ (ليكون سعينا عنده مشكورًا، وثوابنا لديه موفورًا)، فمن كان عمله خالصًا لله، وموافقًا لشرع الله؛ فسعيه مشكور يشكره الله - سبحانه وتعالى - لصاحبه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾[1] فهو - سبحانه وتعالى - يثيب على العمل القليل ثوابًا كثيرًا؛ فمن أخلص عمله لله، وكان موافقًا للشرع، فسعيه عند الله مشكور، وثوابه موفور عظيم، فنسأل الله أن يرزقنا الإخلاص في العمل، والصدق في القول، وأن يوفقنا للصواب في القول والعمل، حتى يكون سعينا مشكورًا، وثوابنا لديه - سبحانه - موفورًا!!

۞ ۞ ۞

---

(١) سورة النساء آية : ١٤٧ .

قول أما بعد

قال المؤلف - رحمه الله - : أما بعد: فإني أسأل الله أن يحضرنا وإياك توفيقًا، ويفتح لنا ولك به أبواب الصدق، ويقيد لنا به العصمة من هفوات الخطأ، وفلتات الآراء، إنه رحيم ودود، فعال لما يريد.

الشرح : (أما بعد): هذه كلمة يؤتى بها للانتقال من شيء إلى شيء؛ فالمؤلف - رحمه الله - انتقل من الخطبة - خطبة الكتاب - إلى الدخول في الموضوع، وهذا من السنة؛ فقد كان النبي ﷺ يقولها في خطبه؛ فيسن للمسلم أن يأتي بها، سواء في الكتابة، أو في التأليف، أو في الرسائل، أو في الخطب والمواعظ.

واختلف في أول من قالها؛ فقيل: أول من قالها: «**قس بن ساعدة الإيادي**». وقيل أول من قالها: «**داود - عليه السلام -** »؛ فقيل: إنها داخلة في قوله: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾[1] والرسول ﷺ كان يقولها في خطبه - كما جاء في الحديث - : «**أما بعد، فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي رسول الله**»[2].

وهي أحسن من قول البعض: وبعد؛ التي يقولها البعض للدخول في الموضوع.

---

(١) سورة ص آية : ٢٠ .

(٢) مسلم: الجمعة (٨٦٧)؛ والنسائي: صلاة العيدين (١٥٧٨)؛ وابن ماجه: المقدمة (٤٥)؛ وأحمد (٣/ ٣١٠)؛ والدارمي: المقدمة (٢٠٦) .

(أما بعد: فإني أسأل الله أن يحضرنا وإياك توفيقًا)، هذا دعاء أيضًا، هذا من نصح المؤلف - رحمه الله - المؤلف عالم ناصح ينصح، يعلم طالب العلم، ويدعو له وينصحه، (فإني أسأل الله)؛ فالسؤال لا يكون إلا لله؛ فالله تعالى هو الذي بيده ملكوت السماوات والأرض، هو الذي بيده كل شيء، لا يُسأل إلا الله فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ فمن سأل غير الله تفريج الكربات، أو إجابة الدعوات أو ما أشبه ذلك، فإنه يكون مشركًا.

لكن لو سأل الإنسان مخلوقًا شيئًا يقدر عليه، فلا بأس إذا سأل حيًا حاضرًا فيما يقدر، يقول: يا فلان أسألك أن تقرضني مالًا، أسألك أن تعطيني كذا، أن تساعدني في كذا: في إصلاح سيارتي، في إصلاح مزرعتي، في إصلاح بيتي، فهذا لا بأس به؛ أما الغائب أو الميت، فإنه يكون شركًا؛ ولهذا؛ المؤلف - رحمه الله - سأل الله، قال: (فإني أسأل الله أن يحضرنا وإياك توفيقًا).

فنسأل الله التوفيق مرة أخرى، وهو قد قال: (نستوفق الله)؛ أي: نسأل الله التوفيق، ثم سأله مرة أخرى، فقال: (أن يحضرنا وإياك توفيقًا)؛ أي: يوفقنا، (ويفتح لنا ولك به أبواب الصدق)، فسأل الله التوفيق، وهذا التوفيق يفتح الله به أبواب الصدق في القول والعمل.

ومن وفقه الله للصدق - الصدق في الاعتقاد، وفي القول، وفي العمل - فقد حصل على السعادة الأبدية، والصادق في الاعتقاد هو الموحد الله بأن يشهد أن لا إله إلا الله عن صدق وإخلاص، بخلاف المنافقين، فإنهم لا يشهدون عن صدق وإخلاص، بل عن كذب ونفاق، وإن أقروا بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله بألسنتهم، إلا أن قلوبهم مكذبة.

قال الله تعالى في كتابه المبين: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[1] وقال: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ

---

(١) سورة البقرة آية: ٨ .

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾[(١)] فالمنافقون كاذبون في الشهادة لله بالوحدانية، وللنبي بالرسالة؛ لأنهم في الدرك الأسفل من النار - والعياذ بالله - لأن الألسن مصدقة تنطق، والقلوب مكذبة.

نسأل الله السلامة والعافية، وأن يفتح لنا أبواب الصدق في الاعتقاد حتى لا يكون الإنسان من المنافقين، وكذلك الصدق في القول، كي يكون الإنسان صادقًا في أقواله وفي حديثه.

ومن صفات المنافقين العملية، أنه «**إذا حدث كذب**»، وكذلك الصدق في العمل، أن يكون صادقًا في عمله، بأن تصدق أعماله أقواله، يكون منقادًا لله في شرعه ودينه؛ فتنقاد الجوارح بالأعمال.

والصادقون هم السعداء، قال الله تعالى: ﴿لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ﴾[(٢)] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[(٣)] وقال - سبحانه - : ﴿هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾[(٤)].

فالصدق منجاة؛ فمن اتصف بالصدق في اعتقاده وفي قوله وعمله، فهو السعيد؛ ومن اتصف بالكذب في عقيدته، أو في عمله أو في قوله، فهو من الهالكين، نسأل الله السلامة والعافية؛ ولهذا من نصح المؤلف - رحمه الله - أنه يسأل لنفسه ولك التوفيق، وهذا التوفيق يفتح الله به أبواب الصدق في القول والعمل.

---

(١) سورة المنافقون آية : ١ .
(٢) سورة الأحزاب آية : ٨ .
(٣) سورة الأحزاب آية : ٣٥ .
(٤) سورة المائدة آية : ١١٩ .

(ويقيد لنا به العصمة من هفوات الخطأ)، أي الصدق؛ فإذا وفق الله الإنسان لهذا الصدق، عصمه الله به من الزلل والخطأ؛ ولهذا قال: (ويقيد لنا به)؛ أي: بالصدق (العصمة من هفوات الخطأ وفلتات الآراء)؛ أي: المضلة.

ثم توسل إلى الله بأسمائه وصفاته، فقال: (إنه رحيم ودود، فعال لما يريد) توسل إلى الله في قبول هذا الدعاء، بأسمائه، إنه (رحيم)، فمن رحمته أن يوفق العبد لهذا الصدق، (ودود) يتودد إلى عباده بنعمه، (فعال لما يريد) سبحانه وتعالى بيده كل شيء.



سبب تأليف هذا الكتاب

قال المؤلف - رحمه الله - : إني لما رأيت ما قد عم الناس وأظهروه، وغلب عليهم فاستحسنوه من فظائع الأهواء وقذائع الآراء، وتحريف سنتهم، وتبديل دينهم، حتى صار ذلك سببًا لفرقتهم، وفتح باب البلية والعمى على أفئدتهم، وتشتيت ألفتهم، وتفريق جماعتهم، فنبذوا الكتاب وراء ظهورهم، واتخذوا الجُهَّال والضلال أربابًا في أمورهم من بعد ما جاءهم العلم من ربهم، واستعملوا الخصومات فيما يدعون، وقطعوا الشهادات عليها بالظنون، واحتجوا بالبهتان فيما ينتحلون، وقلدوا في دينهم الذين لا يعلمون فيما لا برهان لهم به في الكتاب، ولا حجة عندهم فيه من الإجماع، وايم الله لكثير مما ألقت الشياطين، على أفواه إخوانهم الملحدين، من أقاويل الضلال وزخرف المقال، من محدثات البدع بالقول المخترع، بدع تشتبه على العقول، وفتن تتلجلج في الصدور، فلا يقوم لتعرضها بشر، ولا يثبت لتلجلجها قدم، إلا من عصم الله بالعلم، وأيده بالتثبيت والحلم - جمعت في هذا الكتاب طرفًا مما سمعناه.

الشرح : هذا سبب تأليف الكتاب، والكلام كثير بين قوله: (لمَّا) وجوابها الفعل (جمعت).

قدم بين يدي بيان السنة، وبيان معتقد أهل السنة والجماعة وبيان السنن فى العبادات والعمل مقدمة طويلة، ساق فيها النصوص من كتاب الله وسنة

رسوله، وأقوال أهل العلم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، جعلها مقدمة، وهي القسم الأول، قدمها للتحذير من الشذوذ، وهو مخالفة الكتاب والسنة، وما عليه الصحابة والتابعون.

والتخويف من الندود بمعنى الشذوذ، وهو جمع ند، يقال: ند الجمل إذا شرد وهرب؛ ولهذا يقول العلماء: إذا ند جمل فلا يصح بيعه؛ لأنه لا يقدر على تسليمه، فالجمل الشارد، والطير في الهواء، والعبد الآبق لا يصح بيعه؛ لأن من شرط البيع القدرة على التسليم، فالمؤلف - رحمه الله - يقول إنه قدم بين يدي هذا الكتاب النصوص التي فيها التحذير من الشذوذ؛ أي: الانفراد عما عليه أهل السنة والجماعة.

والتخويف من الندود أي: أن يند الإنسان ويشذ عن أهل السنة والجماعة ويخالف ما عليه الصحابة والتابعون وما أمر الله عز وجل به رسوله بلزوم الجماعة، فقال: ﴿وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾[1].

وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2] بعدها قوله - سبحانه - : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟﴾[3]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[4].

---

(١) سورة الشورى آية : ١٥ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٠٥ .

(٣) سورة البقرة آية : ٢٧٨ .

(٤) سورة آل عمران آية : ١٠٠- ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٣ .

فالنصوص كلها جاءت بلزوم الجماعة، ومباينة أهل الزيغ والتفرق والشناعة. مباينتهم، يعني مخالفتهم، والبعد عنهم، أهل الزيغ: الانحراف في المعتقد، وهذا هو الأعظم، والتفرق بالبعد عن أهل السنة والجماعة والشناعة يشنعون على أهل السنة والجماعة.



قال المؤلف - رحمه الله - : وما يلزم أهل السنة من المجانبة والمباينة لمن خالف عقدهم، ونكث عهدهم، وقدح في دينهم، وقصد لتفريق جماعتهم.

الشرح : والذي يلزم أهل السنة والجماعة أن يجانبوا ويباينوا ويبتعدوا عمن خالف اعتقادهم من أهل البدع؛ كالجهمية والمعتزلة والرافضة والمرجئة والكرامية والأشاعرة وغيرهم ممن خالف السنة.

فإن المؤمن له عهد مع الله - سبحانه وتعالى - أن يلتزم بشرع الله ودينه، قال - سبحانه وتعالى - : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾[1] وقد أخذ الله الميثاق على بني إسرائيل ﴿وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[2].

هذا عهد وعقد لبني إسرائيل، وهو مأخوذ على هذه الأمة، من أقام الصلاة وآتى الزكاة، وآمن بالرسل، وآمن بمحمد ﷺ وعزره ونصره، ونصر سنته، واستقام على دينه، كفَّر الله سيئاته؛ ومن كفر فهو هالك وله العذاب العظيم؛ ولهذا قال: (وما يلزم أهل السنة من المجانبة والمباينة لمن خالف عقدهم، ونكث عهدهم، وقدح في دينهم).

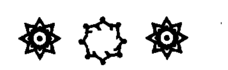
هذه طريقة أهل البدع، فأهل السنة والجماعة الذي يظهرونه، يباينون أهل

---

(١) سورة المائدة آية : ١ .

(٢) سورة المائدة آية : ١٢ .

البدع ويخالفونهم، (وقصد لتفريق جماعتهم) فأهل السنة يلزمهم البعد عن هؤلاء، الذين يخالفون عقيدة أهل السنة والجماعة وينكثون عهدهم، ويقدحون في دينهم، ويقصدون تفريق جماعتهم.



قال المؤلف - رحمه الله - : ثم على أثر ذلك شرح السنة، من إجماع الأئمة، واتفاق الأمة، وتطابق أهل الملة، فجمعت من ذلك ما لا يسع المسلمين جهله، ولا يعذر الله - تبارك اسمه - من أضاعه، ولا ينظر إلى من خالفه وطعن عليه، ممن دحضت حجته لما استهزأ بالدين، وزلت قدمه لما ثلب أئمة المسلمين وعمِيَ عن رشده حين خالف سنة المصطفى، والراشدين المهديين، صلى الله على نبيه، وآله الطاهرين الطيبين، وعلى أصحابه المنتخبين، وأزواجه أمهات المؤمنين وعلى التابعين وعلى تابعي التابعين من الأولين والآخرين إلى يوم الدين، وبالله نستعين.

الشرح : هذا هو القسم الثاني، بعد أن ذكر المؤلف - رحمه الله - الأدلة والنصوص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في الأمر بلزوم الجماعة، والبعد عن البدع والمحدثات في الدين، والأدلة والنصوص في تولي الصحابة والترضي عنهم، والبعد عمن خالف منهجهم، قال: (ثم على إثر ذلك شرح السنة) بعد ذلك شرح السنة (من إجماع الأئمة)، في بيان ما لا يسع المسلمين جهله .

لما ذكر النصوص، ذكر بعد ذلك مسائل الاعتقاد، ومسائل الاعتقاد استدل عليها بالنصوص؛ ولهذا قال: (ثم على إثر ذلك)، يعني بعد النصوص؛ فهذا هو القسم الثاني بعد النصوص التي ذكرها في الأمر بلزوم الجماعة، والتحذير من البدع، (على إثر ذلك) أردف إليها (شرح السنة)، مما أجمعت، واتفقت عليه الأمة، (وتطابق أهل الملة) يعني أهل دين الإسلام.

(فجمعت من ذلك ما لا يسع المسلمين جهله) وهي مسائل الاعتقاد، ما يجب على الإنسان أن يؤمن به، الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، ومسائل الصفات والملائكة والكتب والرسل

والإيمان باليوم الآخر، والشفاعة والميزان والصراط، والحوض والجنة والنار.

جمع في ذلك ما لا يسع المسلمين جهله، فلا بد للمسلم أن يؤمن بهذا، ما يصح الإيمان إلا بهذا، الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، ويلزم الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بالشفاعة، بالحساب، بالجزاء، بالجنة، بالنار، بالصراط، بالميزان هذا لا يسع الإنسان جهله، ولا يعذر فيه أحد؛ ولهذا قال المؤلف: (ثم على إثر ذلك شرح السنة من إجماع الأئمة، واتفاق الأمة، وتطابق أهل الملة، فجمعت من ذلك ما لا يسع المسلمين جهله، ولا يعذر الله - تبارك اسمه - من أضاعه) يعني أصول الدين الإيمان التي لا يعذر فيها أحد، هذه الأصول هي الإيمان بالله، والإيمان بالملائكة والإيمان بالكتب، والإيمان بالرسل، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقدر، هذه أركان الإيمان، وأصول الدين، لا بد من الإيمان بها؛ فمن أنكر شيئًا منها، فقد خرج عن دائرة الإسلام، وصار من الكافرين بإجماع المسلمين.

ولهذا قال المؤلف: إن هذه الأمور لا يسع المسلمين جهلها، ولا يعذر الله - تبارك اسمه - من أضاعها؛ فمن ضَيَّعَ أصول الإيمان وأركانه، وأصول الاعتقاد، لا يعذره الله (ولا ينظر إلى من خالفه، وطعن عليه) يعني لا ينظر إلى من خالف ذلك، وطعن على أهل السنة والجماعة (ممن دحضت حجته لما استهزأ بالدين).

فلا ينظر إلى المخالف الذي يخالف أهل السنة والجماعة، ويخالف أهل الحق، ويخرج عن دائرة المسلمين، ويطعن على أهل الحق (ممن دحضت حجته، واستهزأ بالدين) فالاستهزاء بالدين ردة عن الإسلام بنص القرآن، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [١].

---

(١) سورة التوبة آية : ٦٥ - ٦٦ .

(وزلت قدمه لما ثلب أئمة المسلمين) فالذي يثلب أئمة المسلمين ويعيبهم وينتقصهم، لا شك أن قدمه زل (وعمي عن رشده حين خالف سنة المصطفى، والراشدين المهديين)؛ فمن خالف سنة النبي ﷺ وخالف سنة الراشدين، فهو ممن أعمى الله بصيرته؛ ولهذا قال: (وعمي عن رشده) أعمى الله قلبه، وإن كان يبصر بعينيه، نسأل الله السلامة والعافية، (صلى الله على نبيه) وقد سبق الكلام عن الصلاة، (وآله) أصح ما قيل في الآل أنها تشمل أتباعه على دينه، ويدخل في ذلك الصحابة دخولًا أوليًا وأتباعه على دينه من أهل البيت.

(وآله الطاهرين الطيبين، وعلى أصحابه المنتخبين) عطف الأصحاب على الآل تخصيص بعد تعميم؛ لأنهم داخلون في الآل، هم من آله، فأصحابه من آله، ومن أتباعه على دينه، لكن هذا تخصيص؛ فصلى عليهم مرتين: المرة الأولى: في قوله: وعلى آله للعموم، والمرة الثانية: بالخصوص، والصحابة داخلون في الآل (وعلى أصحابه المنتخبين) الذين انتخبهم الله، واجتباهم واصطفاهم بصحبة نبيه، لا كان ولا يكون بعدهم، هم أفضل الناس، وخير الناس - بعد الأنبياء - الصحابة لا كان ولا يكون مثلهم، اصطفاهم الله، واصطفاهم: انتخبهم، بصحبة نبيه ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾[1] سبحانه وتعالى.

(وأزواجه أمهات المؤمنين) كذلك أزواجه الطاهرات المطهرات، وهن زوجاته في الآخرة - رضى الله عنهن وأرضاهن - (وأزواجه أمهات المؤمنين) يعني سأل الله أن يثني على نبيه، وعلى آله، أتباعه على دينه عمومًا، ثم خص أصحابه، وخص أزواجه، (وعلى التابعين) بإحسان، من تبعهم بإحسان لا بإساءة.

(وعلى تابعي التابعين) أيضًا، (من الأولين والآخرين) إلى يوم القيامة (إلى يوم الدين) وهو يوم الحساب والجزاء، ثم قال: (وبالله نستعين) يعني نطلب

---

(١) سورة القصص آية : ٦٨ .

العون، ونتوكل عليه في أمورنا كلها فيما نقول وفيما نعمل، وفيما نكتب وفيما نؤلف؛ إذا أعانك الله، فأنت موفق؛ وإذا لم يعاون الله العبد، فلا يستطيع أن يعمل.

إذا لم يكن من الله عون للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده

والاستعانة: هي التوكل عليه والاعتماد عليه - سبحانه وتعالى - ولهذا قال في سورة الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [١] نخص الله بالعبادة، ونخصه بالاستعانة، والاستعانة هي التوكل والاعتماد على الله ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [٢]، ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ [٣]، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [٤] فالتوكل شرط في صحة الإيمان، وهو الاعتماد على الله، وتفويض الأمر إليه، بعد فعل الأسباب النافعة، هذا هو الاستعانة، والتوكل يجمع أمرين:

الأمر الأول: فعل الأسباب النافعة المشروعة. **والأمر الثاني:** تفويض الأمر إلى الله في حصول النتيجة بعد ذلك؛ فالإنسان يعتمد على الله، ويتوكل عليه في أمور دينه ودنياه، في أمور الدنيا يبذر ويزرع ويبيع ويشتري، هذه أسباب، ثم يتوكل على الله في حصول النتيجة، أنت تحرث الأرض، وتبذرها وتزرعها، وتسقيها وتزيل عنها الآفات، ثم تتوكل على الله في حصول النتيجة.

وكذلك أيضًا في بيعك وشرائك، وتتوكل على الله في أمور دينك، فأنت تفعل الأسباب، تؤمن بالله ورسوله، تؤدي الواجبات، تنتهي عن المحرمات، تستقيم على دين الله، تقف عند حدود الله - ثم بعد ذلك - النتيجة على الله - سبحانه وتعالى - تفوض الأمر إليه سبحانه وتعالى.

---

(١) سورة الفاتحة آية : ٥ .

(٢) سورة الرعد آية : ٣٠ .

(٣) سورة النمل آية : ٧٩ .

(٤) سورة المائدة آية : ٢٣ .

قال المؤلف - رحمه الله تعالى - : ثم إني أثبت في كتابي هذا يا أخي وفقك الله لقبوله والعمل به، متونًا تركت أسانيدها؛ طلبًا للاختصار، وعدولاً عن الإطالة والإكثار؛ ليسهل على من قرأه، ولا يمل من استمع إليه ووعاه، والله ولي توفيقنا، والآخذ بأيدينا، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الشرح : يبين المؤلف - رحمه الله - أنه أثبت في كتابه هذا **«الشرح والإبانة، على أصول السنة والديانة»** متونًا ترك أسانيدها؛ طلبًا للاختصار، ثم هو يقول: (ثم إني أثبت في كتابي هذا يا أخي) هذا من تواضع المؤلف - رحمه الله - لأن القارئ قد يكون ابنًا له، وقد يكون أخًا له، قد يكون مماثلًا له في العلم، وقد يكون أقل منه.

والأخوة ثابتة بين جميع المؤمنين؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1] يقول: (ثم إني أثبت في كتابي هذا) الشرح والإبانة (وفقك الله لقبوله والعمل به) هذا من نصح المؤلف - رحمه الله - يعلمك ويدعو لك، وهذا إذا وفق الله المسلم لقبول العلم والعمل به؛ فهو على خير عظيم.

يقول: (إني أثبت في كتابي هذا متونًا)، يعني أحاديث، متون الأحاديث (تركت أسانيدها) حذف الأسانيد؛ (طلبًا للاختصار)، بينما في كتابه **«الإبانة الكبرى»** سرد الأسانيد، لكن في هذا الكتاب، وهو **«الإبانة الصغرى»** حذف الأسانيد، وبين السبب في ذلك.

قال: (تركت أسانيدها طلبا للاختصار)؛ لأنه لو ذكر الأسانيد، وسرد الأسانيد، لطال الكتاب، وهو أراد الاختصار، (وعدولًا عن الإطالة والإكثار)؛

---

(١) سورة الحجرات آية : ١٠ .

حتى لا يطول الكتاب، وحتى لا يكثر؛ (ليسهل على من قرأه)؛ لأن المختصر كل يقرؤه، خلاف الطويل، فإنه قد يضعف الإنسان عن قراءته، (ولا يمل من استمع إليه ووعاه)، فهذا هو السبب، في كون المؤلف قد حذف الأسانيد؛ لأجل أن يكون مختصرًا؛ فتسهل قراءته على القارئ، ولا يمل المستمع.

ثم قال المؤلف: (والله ولي توفيقنا، والآخذ بأيدينا)، هذا دعاء من المؤلف، نسأل الله أن يقبله، (والله ولي توفيقنا)، فهو - سبحانه وتعالى - يوفقنا للعلم والعمل (والآخذ بأيدينا) إلى سبيل الرشاد، (وهو حسبنا) كافينا، (ونعم الوكيل) سبحانه وتعالى.



القسم الأول

النصوص الواردة في الأمر بلزوم الجماعة، والنهي عن الفرقة، والتحذير من البدع ومخالفة الصحابة

قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾

قال المؤلف - رحمه الله - : فأول ما نبدأ بذكره من ذلك: ما أمر الله عز وجل به وذكره في كتابه، من لزوم الجماعة، والنهي عن الفرقة، وقال عز وجل: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾[1].

الشرح : هذا أمر من الله عز وجل لعباده أن يعتصموا بحبله. وحبل الله هو دينه - سبحانه وتعالى - أي: اعتصموا بدين الله. ودينه ما أنزله في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾[2]؛ أي: اعملوا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ جميعًا، واجتمعوا على ذلك؛ حتى تتألف القلوب، وحتى تكونوا يدًا واحدة على أعدائكم، ولا تفرقوا؛ لأن الفرقة والاختلاف شر.

ولا تفرقوا بترك العمل بالكتاب والسنة؛ فإن الاختلاف إنما يكون بترك العمل، والاجتماع يكون بالعمل بالكتاب والسنة.

۞ ۞ ۞

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾

قال المؤلف - رحمه الله - : ثم تهدد بالوعيد من فارق جماعة المسلمين فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(١).

الشرح : هذه الآية فيها تحذير من الفرقة والاختلاف، وتهديد بالوعيد قال - سبحانه وتعالى - : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾(٢) وهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى اختلفوا وتفرقوا في دينهم، لا عن جهل، ولكن بعد العلم؛ قال سبحانه: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾(٣) وقال سبحانه: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾(٤).

فكونهم يتفرقون بعد العلم والبينة والبصيرة - والعياذ بالله - يدل على أنهم غاوون، وأنهم انحرفوا عن بصيرة، والله تعالى نهانا أن نتشبه بأهل الكتاب فيصيبنا ما أصابهم، قال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾(٥) - وهم أهل الكتاب اليهود والنصارى - ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٦) والمعنى: أنكم إذا تفرقتم واختلفتم في كتابكم، حل بكم ما حل

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٥ .
(٢) سورة آل عمران آية : ١٠٥ .
(٣) سورة الشورى آية : ١٤ .
(٤) سورة البينة آية : ٤ .
(٥) سورة آل عمران آية : ١٠٥ .
(٦) سورة آل عمران آية : ١٠٥ .

بهم من العذاب الأليم، ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ لأنه ليس بين الناس نسب ولا عهد؛ من أطاع الله فهو السعيد؛ ومن عصى الله فهو الشقي.

ويؤخذ من ذلك: الاجتماع على كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ واعتقاد ما يعتقده السلف الصالح - من الصحابة والتابعين - في ربهم ونبيهم ودينهم، من الإيمان بأسماء الله وصفاته وأفعاله، والإيمان بربوبيته ووحدانيته وألوهيته، وأنه مستحق للعبادة وحده، وأنه لا يستحق العبادة غيره، والإيمان بالملائكة والإيمان بالكتب، والإيمان بالرسل، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، والإيمان بأسماء الله وصفاته، وإثباتها لله كما يليق بجلاله وعظمته، وإثبات الصفات والأسماء التي يثبتها لنفسه، أو أثبتها له رسوله ﷺ من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل.

ولهذا قال الله سبحانه في الآية الأخرى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾(١)؛ فمن كان في شق والله ورسوله في شق، فهو هالك ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(٢) سبيل المؤمنين هم الصحابة والتابعون.

والإيمان بما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، فمن جحد الأسماء والصفات، أو حرفها، أو نفاها، أو أبطل معناها، أو كيَّفها، أو فوَّض معناها، فقد شاق الله ورسوله، واتبع غير سبيل المؤمنين، وهو متوَّعد بأن يصليه الله الجحيم نسأل الله السلامة والعافية.

فمن خالف الصحابة والتابعين وأهل السنة والجماعة، فهو من الذين تفرقوا واختلفوا في دينهم؛ فهو متوَّعد بهذا الوعيد.

---

(١) سورة النساء آية : ١١٥ .
(٢) سورة النساء آية : ١١٥ .

قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾

قال المؤلف - رحمه الله - : وأمرنا الله بالاجتماع على دينه وطاعته في قوله: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾[١] حبل الله هو دينه وطاعته.

وقال عز وجل: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾[٢].

الشرح : هذا هو الذي أمر الله به عباده: أن يعبدوه مخلصين له الدين، فلا يكون في العبادة من شرك، ولا تكفي العبادة وحدها؛ لأن الإنسان قد يعبد الله ويعبد غيره، كما يفعل المشركون الذين يعبدون الله ويعبدون غيره، فلا بد من الإخلاص؛ ولهذا قال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[٣].

والإخلاص هو أن يكون العمل خالصًا لله، وأن تكون العبادة لله وحده، لا يشاركه فيها أحد، والدين هنا معناه العبادة، و﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[٤]؛ أي: مخلصين له العبادة.

والدين يأتي بمعان؛ فيأتي بمعنى التوحيد والطاعة كما في هذه الآية:

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .
(٢) سورة البينة آية : ٥ .
(٣) سورة البينة آية : ٥ .
(٤) سورة البينة آية : ٥ .

﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾(١)؛ أي: مخلصين له العبادة، وكما في قوله تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾(٢)؛ أي: العبادة وقوله: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾(٣).

ويأتي بمعنى الجزاء والحساب؛ كما في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾(٤)؛ أي: يوم الجزاء والحساب؛ فالدين له معان متعددة، والمراد بالدين هنا العبادة ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾(٥)، وهذا هو الذي أمر الله به عباده، أن يعبدوه مع الإخلاص في العبادة، و﴿حُنَفَآءَ﴾(٦) جمع حنيف، والحنيف هو المائل عن الشرك والبدع، ومستقيم على التوحيد، ومنه سُمي إبراهيم عليه السلام حنيفًا: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾(٧)؛ أي: مائلًا عن الشرك، مستقيمًا على التوحيد.

ولهذا يقال لملة الإسلام: هي الملة العوجاء؛ لأنها مائلة عن الباطل وعن الأديان الأخرى، وهي مستقيمة في نفسها، و﴿إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾؛ أي: مائلًا عن الشرك إلى التوحيد، والحنف: الميل ﴿وَيُقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾(٨) هذا الدين المستقيم القيم الذي لا عوج فيه، وهو دين الإسلام، وهو عبادة الله مع الإخلاص، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة.

۞ ۞ ۞

(١) سورة البينة آية : ٥ .
(٢) سورة الزمر آية : ٢ .
(٣) سورة الزمر آية : ٣ .
(٤) سورة الفاتحة آية : ٤ .
(٥) سورة البينة آية : ٥ .
(٦) سورة البينة آية : ٥ .
(٧) سورة النحل آية : ١٢٣ .
(٨) سورة البينة آية : ٥ .

قوله تعالى:
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا﴾

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾[(١)].

الشرح : وهذا هو المشروع في الجهاد عند قتال العدو، أن يكون صف المسلمين صفًّا متراصًا، وكذلك في الصلاة، أن تكون صفوفهم متراصة، ليس فيها خلل.

وفي الآية إثبات صفة المحبة لله عز وجل كما يليق بجلاله وعظمته، وفيها الرد على من أنكر محبة الله من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم من الذين ينكرون محبة الله.

فالله يُحِب ويُحَب، كما قال - سبحانه وتعالى - في آية المائدة: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[(٢)] والجهمية يقولون: (إن الله لا يُحِب ولا يُحَب). فأنكروا المحبة، وقالوا: إن المحبة لا تكون إلا لمناسبة بين المحب والمحبوب، ولا مناسبة بين الخالق والمخلوق توجب المحبة، وهذا من أبطل الباطل، وأيُّ مناسبة أعظم من مناسبة بين الرب والعبد، فالرب - سبحانه وتعالى - يتولى عباده ويربيهم بنعمه، والعبد يتأله ربه ويعبده، فهذه أعظم مناسبة.

---

(١) سورة الصف آية : ٤ .
(٢) سورة المائدة آية : ٥٤ .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٌ مَّرۡصُوصٌ﴾[١] فإذا وجد الخلل في الصفوف - صفوف المجاهدين أو في الصلاة - فإنه يؤدي إلى الخلل في القلوب، وتنافر القلوب فإذا اختلف الناس اختلفت قلوبهم؛ ولهذا كان مما ورد في الأمر بالمراصة في الصفوف: **«تراصوا في الصفوف، ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم»**[٢] فالاختلاف في الصفوف في الصلاة يؤدي إلى اختلاف القلوب؛ ولهذا قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٌ مَّرۡصُوصٌ﴾[٣]؛ أي: ليس فيه خلل.

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة الصف آية : ٤ .

(٢) النسائي: الإمامة (٨١١)؛ وأبو داود: الصلاة (٦٦٤)؛ وأحمد (٤/ ٢٩٧) .

(٣) سورة الصف آية : ٤ .

قوله تعالى:
﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾

قال المؤلف - رحمه الله - : وما أمر به المؤمنين من مباينة من خالف عقدهم، ونكث عهدهم، وطعن في دينهم من مجانبتهم، وترك مجالستهم، والاستماع لخطئهم وخطلهم، والخطل في اللسان: هو الزلل في اللسان.

فقال تبارك وتعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ (١).

الشرح : في هذا بيان أن الله - سبحانه وتعالى - أمر المؤمنين بمباينة من خالف عقدهم - يعني من خالف اعتقادهم - ونكث عهدهم، وطعن في دينهم.

فالمؤمن عليه أن يباين من خالف عقيدته كاليهودي والنصراني والوثني؛ لأن عقيدته تخالف عقيدة المسلم؛ فلا بد من مباينته والبعد عنه، وعدم اتخاذه صديقًا أو معاشرًا.

أمرهم بمجانبتهم - أي: البعد عنهم - يكون في جانب وهم في جانب،

---

(١) سورة النساء آية : ١٤٠ .

وترك مجالستهم؛ فلا تتخذ الكافر صديقًا تزوره ويزورك؛ ولكن إن جمعك به مجلس من دون اختيار، فهذا شيء آخر؛ أما كونك تتخذه صديقًا، تفضي إليه بأسرارك، وتثق به، وتزوره ويزورك، فهذا من الموالاة، فعليك بالبعد عنه إلا في حالة دعوته للإسلام، فلا بأس بأن تزوره وتدعوه للإسلام، كما زار النبي ﷺ اليهودي الذي دعاه للإسلام فأسلم، وكما زار عمه أبا طالب فدعاه للإسلام ولم يقدر الله له الإسلام.

فالمسلم عليه أن يباين من خالف اعتقاده وعقيدته، ويجانبه ولا يجالسه ولا يستمع لخطئه وخطله، فلا يستمع لخطئه في أفعاله، وخطله - أي: زلله - في أقواله؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ (١) ومن شاق الرسول، واتبع غير سبيل المؤمنين وهم الصحابة والتابعون ومن بعدهم من العلماء والأئمة، من اتبع غير سبيلهم وشاق الرسول، ولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم.

وقال سبحانه في هذه الآية الكريمة التي ساقها المؤلف في سورة النساء: ﴿وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ (٢) فلا يجوز للمسلم أن يجلس في مجلس يُعصى الله ورسوله فيه.

فإذا جلس الإنسان في مجلس يُستهزأ فيه بالله أو بكتابه أو برسوله، فإنه يجب عليه أن ينكر عليهم؛ فإن زال المنكر، فالحمد لله؛ وإن لم يُزل، فيجب عليك أن تفارق هذا المجلس ولا تجلس معهم؛ فإن جلست، فأنت مثلهم.

---

(١) سورة النساء آية : ١١٥ .

(٢) سورة النساء آية : ١٤٠ .

فمن جلس في مجلس يُعصى الله، يُكفر فيه بالله أو بكتابه أو برسوله، ولم ينكر عليهم، ولم يقم من المجلس، فله الحكم، يكون كافرًا مثلهم، كما قال سبحانه: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾[1].

وإذا جلست في مجلس فيه الغيبة والنميمة، فعليك أن تنصحهم، فإن امتثلوا، فالحمد لله، وإن لم يمتثلوا، فقم، وإن لم تقم، فأنت لك حكمهم، حكم المغتاب وحكم النمام؛ وإذا جلست في مجلس يُشرب فيه الخمر، فعليك أن تنكر عليهم؛ فإن زال المنكر وتركوا شرب الخمر، فالحمد لله؛ وإن امتنعوا، فقم عن المجلس؛ فإن لم تقم، فأنت شريك لهم، حكمك حكم من شرب الخمر.

ومن جلس في مجلس يُستهزأ فيه بالدين، ويُكفر فيه بالله ورسوله، فحكمه حكمهم، يكون كافرًا مثلهم، إلا إذا أنكر عليهم، أو قام عن المجلس، فإن لم ينكر، ولم يقم عن المجلس، فحكمه حكمهم، نسأل الله السلامة والعافية.



(١) سورة النساء آية : ١٤٠ .

حديث أمر النبي في هجران الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك

قال المؤلف - رحمه الله - : وأمر رسول الله ﷺ الثلاثة الذين تخلفوا عنه بهجرانهم ومباينتهم، وأمرهم أن يعتزلوا نساءهم حتى أنزل الله عز وجل توبتهم.

الشرح : في هذا دليل على أنه ينبغي هجران أهل البدع والمعاصي؛ ولهذا أمر الرسول ﷺ الصحابة بهجران الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك وهم: كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية؛ فهجرهم النبي ﷺ والمسلمون خمسين ليلة، لا يكلمونهم، ولا يردون عليهم السلام، ولا يجيبون دعوتهم، وأمر النبي ﷺ هؤلاء الثلاثة - أيضًا - أن يعتزلوا نساءهم، ولما مضت أربعون ليلة حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم الدنيا بأسرها؛ فجاءهم الفرج، وأنزل الله توبته عليهم من فوق سبع سماوات قرآنا يتلى إلى يوم القيامة: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1].

فالنبي ﷺ والصحابة هجروا هؤلاء الثلاثة خمسين ليلة، ولم يهجروا المنافقين، فقال المحققون من أهل العلم كشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وغيره: «**إن الهجر كالدواء، إن كان ينفع يُهجر العاصي والمبتدع، أما إذا كان الهجر يزيده شرًا فلا يُهجر، وليستمر على دعوته**»

---

(١) سورة التوبة آية : ١١٨ .

فبعض العصاة إذا هجرته زاد شره وبلاؤه؛ فهذا لا تهجره، ولكن تستمر في نصيحته؛ أما إذا كان الهجر ينفعه، ويترك المعصية، ويرجع عن المعصية والبدعة فاهجره.

والشاهد من هذا أن أهل البدع يجب هجرهم، والعصاة يجب هجرهم، ومن ذلك أهل البدع والمبتدعة في الأسماء والصفات، من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة يجب هجرانهم، ومباينتهم، والبعد عنهم، وعدم مجالستهم، وعدم السلام عليهم، وعدم إجابة دعوتهم؛ حتى يتوبوا عن بدعتهم.



حديث أول ما دخل النقص على بني إسرائيل

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ﷺ: «أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل يلقى أخاه فيقول: يا هذا، اتق الله ودع ما تصنع؛ فإنه لا يحل لك. ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده؛ فلما فعلوا ذلك، ضرب الله قلوب بعضهم ببعض. ثم قال: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾[1] **إلى قوله:** ﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[2]**».**

الشرح : هذا هو النص الثاني من النصوص التي ذكرها في القسم الأول، وهو الأمر بلزوم الجماعة والسنة، والتحذير من البدع، وهذا الحديث في سنده انقطاع، فهو حديث منقطع، رواه أبو داود في سننه، والترمذي في باب التفسير، وضعفه الشيخ ناصر الدين الألباني، ورواه ابن وضاح في البدع والنهي عنها، لكن الحديث له شواهد يرتقي بها إلى درجة الحسن لغيره يكون حسنًا، والآية كافية في هذا، وهي قول الله عز وجل: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ۝٧٨ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[3] ونصوص تدل على أنه لا يجوز للمسلم أن يجالس العاصي

---

(١) سورة المائدة آية : ٧٨ .
(٢) سورة المائدة آية : ٨١ .
(٣) سورة المائدة آية : ٧٨ - ٧٩ .

والمبتدع، أو يكون أكيله وشريبه وهو على معصية إلا مع الإنكار عليه، فينكر عليه أولًا؛ فإن ارتدع... وإلا فليهجره، ولا يجالسه ولا يؤاكله ولا يشاربه، إلا إذا كان الهجر يزيده شرًا - كما سبق - فإنه يستمر في نصيحته.

ولهذا في هذا الحديث: «**أول ما دخل النقص على بني إسرائيل، كان الرجل يلقى أخاه يقول: يا هذا، اتق الله ودع ما تصنع**»[(١)] يعني من المعاصي «**فإنه لا يحل لك**»[(٢)] ينهاه عن المعصية «**ثم يلقاه من الغد**»[(٣)] فلا يهجره «**فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده**»[(٤)] أن يأكل معه ويشرب معه ويجلس معه، ما كأنه عصى الله .

«**فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ثم لعنهم على ألسن أنبيائهم، ثم قال:** ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾[(٥)]» والآية كافية.

فالله تعالى قص علينا خبرهم لنعتبر ولننزجر؛ لئلا نفعل مثل فعلهم، فيصيبنا ما أصابهم، كما قال بعض السلف: مضى القوم ولم يعلم بهم سواهم، فالله تعالى حينما قص علينا خبر بني إسرائيل وأنهم لعنوا على ألسن

---

(١) الترمذي: تفسير القرآن (٣٠٤٧)؛ وأبو داود: الملاحم (٤٣٣٦)؛ وابن ماجه: الفتن (٤٠٠٦) .

(٢) الترمذي: تفسير القرآن (٣٠٤٧)؛ وأبو داود: الملاحم (٤٣٣٦)؛ وابن ماجه: الفتن (٤٠٠٦) .

(٣) الترمذي: تفسير القرآن (٣٠٤٧)؛ وأبو داود: الملاحم (٤٣٣٦)؛ وابن ماجه: الفتن (٤٠٠٦) .

(٤) الترمذي: تفسير القرآن (٣٠٤٧)؛ وأبو داود: الملاحم (٤٣٣٦)؛ وابن ماجه: الفتن (٤٠٠٦) .

(٥) سورة المائدة آية : ٧٨ - ٧٩ .

أنبيائهم، بين السبب أنهم لا يتناهون عن منكر فعلوه، فهذا فيه تحذير لنا من أن نفعل فعلهم فيصيبنا ما أصابهم.

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ۝٧٨ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[1] فالله تعالى لعنهم على ألسن أنبيائهم بسبب أنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه؛ فالذي لا ينهى عن المنكرات يصيبه ما أصاب بني إسرائيل، فهذا ليس خاصًا ببني إسرائيل؛ فالله - عز وجل - ذكر ذلك لنا لنحذر من صفاتهم؛ حتى لا يصيبنا ما أصابهم.

فالواجب على المسلم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر على قدر استطاعته، باللين والرفق والحكمة، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم عن أبي سعيد: **«من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده؛ فإن لم يستطع فبلسانه؛ فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»**[2].

تنكر باللين والرفق، باليد إذا كنت تستطيع، كأن كنت أميرًا أو لك سلطة مثل رجال الحسبة، على قدر صلاحياتهم، تنكر بيدك؛ فإن عجزت تنكر باللسان والبيان والإيضاح؛ فإن عجزت تنكر بالقلب، مع ظهور علامات الإنكار على الوجه، والبعد عن مجالستهم، والإنكار بالقلب أن تظهر علامات الكراهة على وجهك، وأن تفارق المجلس الذي يُعصى الله فيه؛ لا بد من هذا، فإذا فعل الإنسان ذلك أنكر المنكر وبرئ.

لكن من رضي وتابع كما جاء في الحديث الآخر: **«يكون فيكم أمراء**

---

(١) سورة المائدة آية : ٧٨ - ٧٩ .

(٢) مسلم: الإيمان (٤٩)؛ والترمذي: الفتن (٢١٧٢)؛ والنسائي: الإيمان وشرائعه (٥٠٠٨)؛ وأبو داود: الصلاة (١١٤٠)؛ وابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها (١٢٧٥)؛ وأحمد (٣/ ٥٢) .

تعرفون وتنكرون؛ فمن عرف برئ؛ ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع»[١] فإنه يصيبه ما أصابهم، ويشمله الإثم، فكذلك هنا ينبغي للإنسان أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

ومن ذلك: أن ينكر على أهل البدع في الأسماء والصفات، مثل الأشاعرة والمعتزلة والجهمية، ويبين لهم الحق، وينهاهم عن بدعتهم؛ فإن استمروا على بدعتهم هجرهم، ولا يجالسهم، ولا يأكل معهم، فلا يكون أكيل جهمي ولا معتزلي ولا أشعري إلا إذا تاب.



(١) مسلم: الإمارة (١٨٥٤)، والترمذي: الفتن (٢٢٦٥)، وأبو داود: السنة (٤٧٦٠)، وأحمد (٦/ ٢٩٥).

حديث مثل القائم على حدود الله والمدّهن فيها

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ﷺ: «مثل القائم على حدود الله والمدهن فيها كمثل قوم استهموا على سفينة في البحر، فأصاب بعضهم أسفلها وبعضهم أعلاها، وكان الذين في أسفلها يخرجون ويستقون الماء، ويصبون على الذين أعلاها فيؤذونهم، فقالوا: لا ندعكم تمرون علينا فتؤذوننا، فقال الذين في أسفلها: أما إذا منعتمونا فننقب السفينة من أسفلها فنستقي. قال: فإن أخذوا على أيديهم فمنعوهم، نجوا جميعًا؛ وإن تركوهم، هلكوا جميعًا»[(١)].

الشرح : وهذا الحديث رواه البخاري في صحيحه، والترمذي، وأحمد، والمؤلف روى الحديث بالمعنى، ولفظ البخاري حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي، حدثنا الأعمش قال: حدثني الشعبي أنه سمع النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - يقول: قال النبي ﷺ : **«مثل المدهن[(٢)] في حدود الله والواقع فيها مثل قوم استهموا سفينة، فصار بعضهم في أسفلها وصار بعضهم في أعلاها، فكان الذين في أسفلها يمرون بالماء على الذين في أعلاها فتأذوا به، فأخذ فأسًا فجعل ينقر أسفل السفينة، فأتوه فقالوا: ما لك؟ قال: تأذيتم بي ولا بد لي من الماء. فإن أخذوا على يديه، أنجوه ونَجَّوْا أنفسَهم؛**

---

(١) البخاري: الشركة (٢٤٩٣)؛ والترمذي: الفتن (٢١٧٣)؛ وأحمد (٤/ ٢٦٨) .

(٢) المدهن: المداهن.

وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم»[١].

وهذا الحديث ضربه النبي ﷺ ضرب فيه مثلًا، والأمثال ينتقل بها الإنسان من الأمر الحسي إلى الأمر المعنوي؛ ولهذا قال الله عز وجل: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾[٢] كان بعض السلف إذا لم يفهم المثل بكى وتلا هذه الآية: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾[٣].

فالنبي ﷺ ضرب مثلًا للعصاة الواقعين في معصية، ومن يقوم عليهم، **«مثل القائم في حدود الله والمدهن فيها»**[٤] هنا مثل المدهن في حدود الله والواقع فيها، الحدود تطلق على المعاصي، وتطلق على الواجبات، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ﴾[٥] يعني المناهي، وتطلق الحدود على الواجبات كقوله عز وجل: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ﴾[٦]؛ أي: لا تتجاوزوها، فهذه حدود الله، هذه الواجبات فلا تتجاوزوها ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ﴾[٧] هذه المنهيات.

«مثل القائم على حدود الله والواقع فيها»[٨] أو **«المدهن فيها»**[٩] يعني: مثل العاصي الذي هو واقع في المعصية ومن ينهاه ومن يأخذ على يده مثل

---

(١) البخاري: الشهادات (٢٦٨٦)؛ والترمذي: الفتن (٢١٧٣)؛ وأحمد (٤/ ٢٧٣) .
(٢) سورة العنكبوت آية : ٤٣ .
(٣) سورة العنكبوت آية : ٤٣ .
(٤) البخاري: الشركة (٢٤٩٣)؛ والترمذي: الفتن (٢١٧٣)؛ وأحمد (٤/ ٢٦٨) .
(٥) سورة البقرة آية : ١٨٧ .
(٦) سورة البقرة آية : ٢٢٩ .
(٧) سورة البقرة آية : ١٨٧ .
(٨) صحيح البخاري: كتاب الشهادات (٢٦٨٦)؛ وسنن الترمذي: كتاب الفتن (٢١٧٣)، ومسند أحمد (٤/ ٢٦٨) .
(٩) البخاري: الشركة (٢٤٩٣)؛ والترمذي: الفتن (٢١٧٣)، وأحمد (٤/ ٢٦٨) .

سفينة، السفينة مكونة من طابقين، سكن بعضهم في الطابق الأعلى، وسكن بعضهم في الطابق الأسفل، فكان الذين في الطابق الأسفل إذا احتاجوا إلى الماء صعدوا إلى الطابق الثاني، وأدلوا دلوهم وأخذوا الماء، فمروا به على الطابق الثاني، ثم نزلوا به؛ فتأذى أهل الطابق الأعلى، قالوا: آذيتمونا، كلما جئتم أخذتم كذا وتأذينا بالماء الذي يصب علينا.

نقروا من أسفل السفينة حتى يدخل الماء؛ أما أهل الدور الثاني - أو الطابق الثاني - أحد أمرين: إما أن يسكتوا عنهم؛ فإذا سكتوا عنهم وتركوهم يخرقون السفينة، دخل الماء فغرقوا جميعًا؛ وإذا أخذوا على أيديهم ومنعوهم، أنجوا أنفسهم وأنجوا أهل الطابق الأسفل.

فكذلك العصاة الآن مثل الذي يخرق السفينة، فالعصاة إذا عصوا الله عز وجل وأظهروا معاصيهم، وسكت الناس عنهم؛ جاءت العقوبات والنكبات وعمت الجميع، عمت الصالح والطالح، العاصي وغير العاصي، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[1] بل يعني: تعم على الذين ظلموا وغيرهم إذا سكتوا.

وقال - عليه الصلاة والسلام - في الحديث الصحيح: **«إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه، أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده»**[2] فإذا ظهرت المنكرات وسكت الناس، جاءت النكبات والعقوبات، فعمت الصالح والطالح، ثم يبعثون على نياتهم.

وثبت أن النبي ﷺ استيقظ في بعض الليالي فزعًا وهو يقول: **«لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب»**. فقالت زينب - رضي الله عنها - : يا

---

(١) سورة الأنفال آية : ٢٥ .

(٢) الترمذي: الفتن (٢١٦٨)؛ وأبو داود: الملاحم (٤٣٣٨)؛ وابن ماجه: الفتن (٤٠٠٥)؛ وأحمد (١/٧) .

رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث»[1] والخبث: المعاصي، إذا كثر الخبث، وانتشرت المعاصي، ولم يغيرها الناس؛ جاءت العقوبات والمصائب والنكبات، فعمت الجميع، عمت الصالح والطالح، ثم يبعثون على نياتهم.

فالواجب على المسلمين أن يتقوا الله عز وجل وأن يأتمروا بالمعروف ويتناهوا عن المنكر، ويأخذوا على أيدي السفهاء، ويأطروهم على الحق أطرًا؛ لئلا تأتي العقوبات فتشمل الجميع.

وإنكار المنكر - كما سبق - يكون باليد، ويكون باللسان، ويكون بالقلب، يكون باليد لولاة الأمور، واللسان في بيته إذا كان يستطيع، ومن له ولاية، ويكون باللسان لمن يعلم هذا الأمر من العلماء، ومن يعلم أن هذا الأمر منكر، ينكر باللسان والبيان والنصيحة والوعظ واللين والرفق.

والمرتبة الثالثة إذا عجز وكان يترتب على الإنكار باللسان ضرر على نفسه في بدنه أو ماله أو أهله، ينتقل إلى الإنكار بالقلب، بمعنى أنه يكره هذا المنكر، وتظهر علامات الإنكار على وجهه، ويفارق المجلس والمكان الذي يُعصى الله فيه؛ أما إذا ترك الإنسان إنكار المنكر، لا ينكر لا باليد ولا باللسان ولا بالقلب؛ فإنه يكون آثما، يُخشى عليه من العقوبة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهذا الحديث من أصح الأحاديث في صحيح البخاري ضرب النبي ﷺ به المثل، فالعصاة هم الذين يخرقون السفينة، والناس العقلاء والصالحون هم الذين يأخذون على أيديهم؛ فإن أخذوا على أيديهم ومنعوهم من المعاصي،

---

(١) البخاري: أحاديث الأنبياء (٣٣٤٦)؛ ومسلم: الفتن وأشراط الساعة (٢٨٨٠)؛ والترمذي: الفتن (٢١٨٧)؛ وابن ماجه: الفتن (٣٩٥٣)؛ وأحمد (٦/ ٤٢٨، ٦/ ٤٢٩).

سلموا - سلم العصاة وسلموا من العقوبات - وإن تركوهم ولم ينكروا عليهم، جاءت العقوبات والمصائب والنكبات، فعمت العاصي وغير العاصي، ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾[1] وهذا يشمل أهل البدع وأهل المعاصي.

المؤلف - رحمه الله - ذكر هذه النصوص للتحذير من البدع، وأنه يجب الإنكار على أهل البدع، والبدعة أشد من المعصية، الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والرافضة والخوارج والمرجئة يجب الإنكار عليهم؛ لأنهم عصاة مبتدعة، فلا بد من الإنكار عليهم، وبيان معتقد أهل السنة والجماعة وبيان النصوص، والرد عليهم ومناقشتهم، وبيان فساد مذاهبهم، وإبطال شبههم؛ حتى لا تعم العقوبات والمصائب والنكبات.

❁ ❁ ❁

(١) سورة الأنفال آية : ٢٥ .

حديث افترقت بنو إسرائيل على ثنتين وسبعين فرقة

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ﷺ : «افترقت بنو إسرائيل على ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة ناجية وثنتين وسبعين في النار»[(١)].

الشرح : الحديث - كما قال المحقق - رواه أبو داود والترمذي، وفي سنده من هو متكلَّم فيه: عبد الرحمن بن زياد الأفريقي، والحاكم والآجري في الشريعة.

ولكن الحديث له طرق متعددة، ولا بأس بسنده، فقد اعتمده أهل العلم والأئمة وقبلوه، وقالوا: إن هذه الفرق الثلاث والسبعين فرق مبتدعة عصاة، إلا واحدة وهم أهل السنة والجماعة؛ ولهذا قال العلماء: إن الجهمية والرافضة والقدرية والغلاة خارجون من الثنتين والسبعين فرقة لكفرهم وضلالهم.

وفي هذا الحديث بيان أن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلها متوعدة بالنار إلا فرقة واحدة ناجية، وهم أهل السنة والجماعة.

وجاء في الحديث الآخر: أن النبي ﷺ سُئل من هم؟ قال: **«من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»**[(٢)] وفي لفظ: **«وهي الجماعة»**[(٣)] هم أهل

---

(١) الترمذي: الإيمان (٢٦٤١) .

(٢) الترمذي: الإيمَانِ (٢٦٤١) .

(٣) أبو داود: السنة (٤٥٩٧)؛ وأحمد (٤/ ١٠٢)؛ والدارمي: السير (٢٥١٨) .

السنة والجماعة من الصحابة والتابعين والأئمة ومن تبعهم ممن استقام على دين الله وشرعه، وعمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ واتبع سبيل المؤمنين فهو من الناجين؛ ومن حاد عن سبيل الحق وتنكب الجادة، فهو من الهالكين.

وهذا الحديث وأمثاله يفيد فائدتين:

الفائدة الأولى: هي علم من أعلام النبوة، وهو أن هذه الفِرق لا بد أن توجد في الأمة، فهو دليل من دلائل النبوة، دليل على صدق النبي ﷺ وأنه رسول الله حقًّا حيث وقع كما أخبر.

الفائدة الثانية: التحذير من هذه الفرق وسلوك طرقها، والبعدُ عنها، وسلوكُ سبيل المؤمنين، وأن يحرص الإنسان أن يكون من الفرقة الناجية، أهل السنة والجماعة الذين لزموا الكتاب والسنة، واستقاموا على الجادة، ولم يتنكبوا الصراط المستقيم ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .

حديث: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ»[١].

الشرح : وهذا الحديث رواه الترمذي أيضًا، وأبو داود وابن ماجه وأحمد والدارمي والبغوي ونقل الألباني تصحيحه عن الضياء المقدسي في مختاراته، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : إن الضياء المقدسي له كتاب سماه «المختارة» تصحيحه فيه أحسن من تصحيح الحاكم.

فالحديث حسن لا بأس بسنده، وهو دليل على الأمر بلزوم السنة، وسنة الخلفاء الراشدين من بعده - عليه الصلاة والسلام - وإنما يؤخذ من سنة الخلفاء الراشدين وهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، إذا لم يوجد في المسألة نص، فإنه يؤخذ بسنة الخلفاء الراشدين.

أما إذا كان في المسألة نص فيجب اتباع النص؛ وإن قالوا قولًا يخالف النص، فيجب الأخذ بالنص الذي دل عليه الكتاب والسنة، ويُحمل قول الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - على الاجتهاد، وأنهم اجتهدوا، ويُترضى عنهم.

ومن ذلك: أن الخلفاء الثلاثة أبا بكر الصديق وعمر وعثمان كانوا يفتون الناس بعد وفاة النبي ﷺ بأن يفردوا بالحج، واجتهدوا وقالوا لمن سألهم:

---

(١) الترمذي: العلم (٢٦٧٦)؛ وأبو داود: السنة (٤٦٠٧)؛ وابن ماجه: المقدمة (٤٢)؛ وأحمد (٤/ ١٢٦)؛ والدارمي: المقدمة (٩٥) .

أفرد الحج وائت بالعمرة في وقت آخر، حتى لا يزال هذا البيت يُحج ويُعتمر.

والنبي ﷺ أمر بالمتعة؛ للأحاديث الكثيرة أن النبي ﷺ أمر الصحابة في حجة الوداع، خيرهم عند الميقات، فلما قرب من مكة أمرهم أن يفسخوا إحرامهم بالحج أو بالحج والعمرة إلى عمرة، ويكونون متمتعين؛ فلما وصلوا مكة ألزمهم وحتم عليهم عند المروة، حتى تحللوا كلهم إلا من ساق الهدي.

ولهذا ذهب بعض العلماء إلى وجوب التمتع، وهو رواية عن الإمام أحمد واختار ابن القيم قال: أنا أميل إلى هذا القول من قول شيخنا - يعني شيخ الإسلام ابن تيمية - وهو اختيار الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله - أنه يجب المتعة، والصواب الذي عليه الجمهور أنه ليس واجبًا.

وشيخ الإسلام يرى أن هذا واجب في حق الصحابة حتى يزول اعتقاد الجاهلية؛ لأنهم في الجاهلية كانوا يحرِّمون المتعة في أشهر الحج، ويرون أن المتعة في أشهر الحج من أفجر الفجور، ويقولون: ليس هناك عمرة في وقت الحج إلا إذا انتهت أيام الحج «إذا انسلخ شهر صفر وبرأ الدبر»(١) يعني الجروح التي في ظهر البعير «وعفا الأثر حلت العمرة لمن اعتمر»(٢).

فخالفهم النبي ﷺ وأمر الصحابة أن يجعلوا إحرامهم بالحج أو بالحج والعمرة متمتعين، وأخذ بهذا ابن عباس وعلي - رضي الله عنهما - وجماعة، وأبو موسى، كانوا يفتون بالمتعة، ولما ناظروا ابن عباس - رضي الله عنهما - وقالوا: أنت تفتي بالمتعة، وأبو بكر وعمر يفتون الناس بالإفراد - إفراد الحج - فكيف تخالف؟

فقال ابن عباس - رضي الله عنهما - واشتد عليهم، وقال: أنا أفتيكم

---

(١) البخاري: الحج (١٥٦٤)؛ ومسلم: الحج (١٢٤٠)؛ وأحمد (١/ ٢٦١).

(٢) البخاري: الحج (١٥٦٤)؛ ومسلم: الحج (١٢٤٠)؛ والنسائي: مناسك الحج (٢٨٧٠)؛ وأحمد (١/ ٢٥٢).

بالسنة، أنا معي السنة، وأنتم معكم قول أبي بكر وعمر، يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله، وتقولون: قال أبو بكر وعمر ؟ كيف تعارضون السنة بقول أبي بكر وعمر ؟ فإذا كان الذي يعارض السنة بقول أبي بكر وعمر يُخشى أن تنزل عليه حجارة من السماء، فكيف بمن يعارض السنة بقول فلان وعلان؟

فالمقصود أن سنة الخلفاء الراشدين إنما يؤخذ بها إذا لم يكن في المسألة سنة، ومن ذلك: زيادة الأذان الأول يوم الجمعة، زيادة أمير المؤمنين عثمان هذا من سنة الخليفة الراشد، فلم يكن هذا في عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وصدر من خلافة عثمان؛ فكان إذا دخل الخطيب أذن المؤذن؛ فلما كثر الناس في المدينة، أمر عثمان رضي الله عنه بالأذان الأول، أن يؤذن على الزوراء تنبيهًا للناس، وأجمع عليه الصحابة، فهذه سنة خليفة راشد.

فالنبي ﷺ يقول في هذا الحديث: **«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ»**[1] عضوا: تمسكوا بها، والنواجذ: جمع ناجذ، والناجذ: هو السن الذي قبل الأضراس، والإنسان له أربعة نواجذ في فمه، في كل جهة ناجذ قبل الأضراس، اثنان في الفك الأسفل، واثنان في الفك الأعلى، **«عضوا عليها بالنواجذ»**[2] وهذا يقال للشيء الذي يراد التمسك به.

فالشيء الذي يُتمسك به يقال له: عضوا عليه بالنواجذ، يعني لا تهمله ولا تضيعه، **«عضوا عليها بالنواجذ»**[3] المعنى: تمسكوا بها، واهتموا بها، واعتنوا بها، كما يعتني الإنسان بالشيء الذي يعض عليه بنواجذه ولا يتركه.

---

(١) الترمذي: العلم (٢٦٧٦)؛ وأبو داود: السنة (٤٦٠٧)؛ وابن ماجه: المقدمة (٤٢)؛ وأحمد (٤/١٢٦)؛ والدارمي: المقدمة (٩٥) .

(٢) الترمذي: العلم (٢٦٧٦)؛ وابن ماجه: المقدمة (٤٢)؛ وأحمد (٤/١٢٦)؛ والدارمي: المقدمة (٩٥) .

(٣) الترمذي: العلم (٢٦٧٦)؛ وابن ماجه: المقدمة (٤٢)؛ وأحمد (٤/١٢٦)؛ والدارمي: المقدمة (٩٥) .

والمؤلف - رحمه الله - أراد من هذا التحذير من البدع في الأسماء والصفات، بدعة الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم، فالواجب على الإنسان أن يعض على السنة بالنواجذ، سنة النبي ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين، ويبتعد عن البدع والمحدثات في الدين، سواء كانت بدعًا في الأسماء، أو في الصفات، أو في العبادات، أو في الأعمال.

❁ ❁ ❁



حديث: لقد جئتكم بها بيضاء نقية

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ﷺ: «لقد جئتكم بها بيضاء نقية؛ فلا تختلفوا بعدي» .

الشرح : هذا الحديث رواه أحمد والبغوي في شرح السنة بدون لفظ «فلا تختلفوا بعدي» والحديث - وإن نُقل تضعيفه عن بعضهم - حسن بكثرة طرقه، فلا بأس به.

ولهذا حسنه الشيخ الألباني - رحمه الله - لكثرة طرقه، فالحديث حسن «لقد جئتكم بها بيضاء نقية؛ فلا تختلفوا بعدي» هذه زيادة، يعني الشريعة التي جاء بها النبي بيضاء نقية واضحة، ليس فيها لبس، فيجب التمسك بالشريعة، من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والبعد عما خالفهما من البدع.

❁ ❁ ❁

حديث: قد تركتكم على الواضحة

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ﷺ: «قد تركتكم على الواضحة، فلا تذهبوا يمينًا ولا شمالًا»[(١)].

الشرح : وهذا بمعنى الحديث السابق، رواه ابن ماجه بلفظ: «على مثل البيضاء»، «**قد تركتكم على مثل البيضاء أو تركتكم على الواضحة - وهي الشريعة - فلا تذهبوا يمينًا ولا شمالًا**»[(٢)] بمعنى: أنكم تتنكبون الطريق المستقيم، وتعدلوا عن المحجة البيضاء وعن السنة، وهذا فيه تحذير من البدع، والأمر بلزوم السنة والجماعة.



---

(١) أبو داود: كتاب العلم (٣٦٥٦) .
(٢) أبو داود: كتاب العلم (٣٦٥٦) .

حديث: إن الله يدخل العبد الجنة بالسنة يتمسك بها

قال المؤلف - رحمه الله -: وقال ﷺ: «إن الله ليدخل العبد الجنة بالسنة يتمسك بها»(١).

التخريج: وهذا الحديث رواه الدارقطني في الأفراد من حديث عائشة

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الجنائز (١٣٣٨، ١٣٧٤) وكتاب الزكاة (١٥٠٣) وكتاب الشهادات (٢٦٦١) وكتاب الجزية (٣١٨٤) وكتاب المغازي (٤١٤١، ٤٤٦٣) وكتاب تفسير القرآن (٤٧٥٠) وكتاب الطب (٥٧٠٥، ٥٧٥٢) وكتاب الدعوات (٦٣٠٦، ٦٣٤٨) وكتاب الرقاق (٦٤٧٧، ٦٤٧٨، ٦٤٩٣، ٦٥٠٩، ٦٥٤٢) وكتاب القدر (٦٦٠٧)؛ وصحيح مسلم: كتاب الإيمان (١٨، ٢١٦، ٢١٨، ٢٢٠) وكتاب الصلاة (٤٠٠، ٤٨٨) وكتاب صلاة المسافرين وقصرها (٨٢٢) وكتاب الزكاة (٩٨٧) وكتاب الإمارة (١٨٨٤) وكتاب فضائل الصحابة (٢٤٤٤، ٢٤٨٤) وكتاب البر والصلة والآداب (٢٦٣٠) وكتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩٩) وكتاب التوبة (٢٧٧٠) وكتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٧٠) وكتاب الزهد والرقائق (٢٩٨٨)؛ وسنن الترمذي: كتاب الصلاة (٣٨٨، ٤١٣) وكتاب الجمعة (٤٩١) وكتاب الجنائز (١٠٢١) وكتاب السير (١٥٧٩) وكتاب فضائل الجهاد (١٦٣٧) وكتاب صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٤٦، ٢٤٦٠) وكتاب صفة الجنة (٢٥٥٧، ٢٥٦٠) وكتاب القراءات (٢٩٤٥) وكتاب تفسير القرآن (٣٠٧٥، ٣٠٩١)، وسنن النسائي: كتاب الاستعاذة (٥٥٢٢)، وسنن أبي داود: كتاب الصلاة (٤٢٩) وكتاب السنة (٤٧٠٣، ٤٧٤٤، ٤٧٥٣)؛ وسنن ابن ماجه: المقدمة (٢٢٥) وكتاب إقامة الصلاة والسنة فيها (١٤٢٦) وكتاب الجهاد (٢٨١١) وكتاب تعبير الرؤيا (٣٩٢٠) وكتاب الفتن (٤٠٧٧)، ومسند أحمد (٤/ ١٢٢، ٤/ ٢٨٧)، وموطأ مالك: كتاب النداء للصلاة (٢٤٣) وكتاب الجامع (١٦٦١، ١٧٥٠)؛ وسنن الدارمي: كتاب الرقاق (٢٨٠٧، ٢٨٢٣) وكتاب فضائل القرآن (٣٤٢٩) .

بلفظ: «من تمسك بالسنة دخل الجنة»(١) ورواه المؤلف أيضًا في الإبانة الكبرى بسند منقطع، ورواه الهروي في ذم الكلام، ورواه اللالكائي بلفظ: «من أحيا سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة»(٢).

---

(١) صحيح البخاري: كتاب العلم (١٢٩) وكتاب مواقيت الصلاة (٥٧٤) وكتاب الجنائز (١٢٣٧، ١٢٣٨) وكتاب الحج (١٧٩٢) وكتاب الصوم (١٨٩١) وكتاب في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس (٢٣٨٨) وكتاب الشروط (٢٧٣٦) وكتاب بدء الخلق (٣١٩٢، ٣٢٢٢، ٣٢٧٧) وكتاب تفسير القرآن (٤٤٩٧) وكتاب اللباس (٥٨٢٧) وكتاب الاستئذان (٦٢٦٨) وكتاب الدعوات (٦٣٢٣، ٦٤١٠) وكتاب الرقاق (٦٤٤٣، ٦٤٤٤، ٦٥٦٠، ٦٥٧٤) وكتاب الحيل (٦٩٥٦) وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٠، ٧٢٨١) وكتاب التوحيد (٧٣٩٢، ٧٤٨٧)؛ وصحيح مسلم: كتاب الإيمان (١٣)؛ وسنن الترمذي: كتاب الصلاة (٤١٠) وكتاب الزكاة (٦١٩) وكتاب الجنائز (٩٧٧) وكتاب السير (١٥٧٢، ١٥٧٣) وكتاب البر والصلة (١٩١٢) وكتاب الزهد (٢٤٠٩) وكتاب صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٦٠، ٢٥٢٠) وكتاب صفة الجنة (٢٥٥٢) وكتاب صفة جهنم (٢٥٩٩) وكتاب الإيمان (٢٦٣٨، ٢٦٤٤) وكتاب الأمثال (٢٨٦٠، ٢٨٦١) وكتاب تفسير القرآن (٣١٠٥، ٣١٧٣) وكتاب الدعوات (٣٣٩٥، ٣٤١٠، ٣٥٠٦، ٣٥٠٧، ٣٥٠٨، ٣٥٤٥)، وسنن النسائي: كتاب الأذان (٦٧٤) وكتاب السهو (١٣٤٨) وكتاب قيام الليل وتطوع النهار (١٧٩٤) وكتاب الجنائز (١٨٧٢) وكتاب الصيام (٢٠٩٠، ٢٠٩٧، ٢٠٩٨، ٢٠٩٩، ٢١٠٢، ٢١٠٤) وكتاب النكاح (٣٣٤٩) وكتاب البيوع (٤٦٨٤) وكتاب الاستعاذة (٥٥٢٢)؛ وسنن أبي داود: كتاب الصلاة (٣٩١، ٤٢٩، ٥٢٧) وكتاب الجنائز (٣١١٦) وكتاب الأيمان والنذور (٣٢٥٢) وكتاب السنة (٤٧٥١) وكتاب الأدب (٥٠٦٥، ٥٠٧٠)، وسنن ابن ماجه: المقدمة (١٨٧، ١٩١) وكتاب إقامة الصلاة والسنة فيها (٩٢٦) وكتاب النكاح (٢٠١٣) وكتاب الأحكام (٢٤١٢) وكتاب الديات (٢٦١٨) وكتاب الأدب (٣٧٨٠) وكتاب الدعاء (٣٨٦٠، ٣٨٦١، ٣٨٧٢)، ومسند أحمد (١/ ٣٤، ١/ ٦٠، ١/ ٦٥، ١/ ٦٩، ١/ ١٥٦، ١/ ١٦١، ١/ ٢٣٥، ١/ ٢٥٧، ١/ ٢٦٤، ١/ ٣٣٤، ١/ ٣٧٤، ١/ ٣٨٢، ١/ ٤٢٥، ١/ ٤٤٣، ٢/ ١٧٠، ٢/ ١٧٦، ٢/ ٢٠٤، ٢/ ٢١٠) وموطأ مالك: كتاب الصيام (٦٩١).

(٢) الترمذي: العلم (٢٦٧٨).

. . . .

الشرح: فالحديث معناه له أصل، لكن بلفظ: «إن الله يدخل العبد الجنة بالسنة يتمسك بها»[1] نظر، لكن المعنى صحيح، فالمتمسك بالكتاب والسنة لا شك أنه من أهل الجنة والكرامة، وفيه التحذير من البدع.

❁ ❁ ❁

(١) صحيح البخاري: كتاب الشهادات (٢٦٦١) وكتاب المغازي (٤١٤١) وكتاب تفسير القرآن (٤٧٥٠) وكتاب الرقاق (٦٥٤٢)؛ وصحيح مسلم: كتاب الإيمان (٢١٦، ٢١٨) وكتاب التوبة (٢٧٧٠)؛ وسنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن (٣٠٩١)؛ وسنن النسائي: كتاب الخيل (٣٥٧٨) وكتاب الاستعاذة (٥٥٢٢)؛ وسنن أبي داود: كتاب الصلاة (٤٢٩) وكتاب الزكاة (١٦٩٦) وكتاب المناسك (٢٠٢٧) وكتاب النكاح (٢١١٤، ٢١٢٦) وكتاب الطلاق (٢١٩٩) وكتاب الجهاد (٢٥١٣) وكتاب الخراج والإمارة والفيء (٢٩٣٧) وكتاب اللباس (٤٠٩١، ٤١٤٩) وكتاب السنة (٤٦٥٢، ٤٧٠٣، ٤٧٤٤، ٤٧٥٣) وكتاب الأدب (٤٨٠١، ٤٨٧١)، وسنن ابن ماجه: المقدمة (٥٩، ٢٢٥) وكتاب المساجد والجماعات (٧٧٧) وكتاب إقامة الصلاة والسنة فيها (١٤٢٦) وكتاب الصيام (١٧٢٠) وكتاب النكاح (١٨٩١، ١٩٣٣) وكتاب التجارات (٢٢٣٥) وكتاب الأشربة (٣٣٧٦) وكتاب الأدب (٣٦٩١) وكتاب تعبير الرؤيا (٣٩٢٠) وكتاب الفتن (٤٠٧٧) وكتاب الزهد (٤١٢٢، ٤١٧٣، ٤٢٤٦، ٤٢٨٥، ٤٢٨٦، ٤٣١١، ٤٣١٧، ٤٣٢٣)؛ ومسند أحمد (١/ ٣، ٢/ ٣٠٢، ٢/ ٣٥١، ٢/ ٤٥٦، ٤/ ١٢٢، ٤/ ٢٨٧، ٤/ ٤٣٦، ٦/ ١٩٤)، وموطأ مالك: كتاب الطهارة (١٠٠) وكتاب النداء للصلاة (٢٤٣) وكتاب الجهاد (١٠٠٠) وكتاب النكاح (١١٢٠، ١١٣٧) وكتاب الطلاق (١٢٠٤، ١٢٠٦، ١٢١١، ١٢١٩) وكتاب الجامع (١٦٦١، ١٧٥٠)، وسنن الدارمي: كتاب الرقاق (٢٨٠٧) .

حديث: والله لو أن موسى وعيسى حيّان لما حل لهما إلا أن يتبعاني

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ﷺ: «والله لو أن موسى وعيسى حيّان لما حل لهما إلا أن يتبعاني»(١).

الشرح : في هذا تكملة من الحديث السابق يقول: **«لقد جئتكم بها بيضاء نقية، والله لو أن موسى وعيسى حيان ما وسعهما إلا اتباعي»**(٢) وهذا صحيح، فإن الله تعالى أخذ الميثاق على كل نبي لئن بُعث محمد وهو نبي لتتبعنه.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾(٣)، وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾(٤).

ففي الآية دليل على أن الله قد أخذ الميثاق على كل نبي أن يؤمن بمحمد ﷺ؛ ولهذا قال النبي ﷺ: **«والله لو أن موسى وعيسى حيان لما وسعهما إلا اتباعي»**(٥) وإذا نزل عيسى - عليه الصلاة والسلام - في آخر الزمان فإنه يكون

---

(١) أحمد (٣/ ٣٨٧) .

(٢) المصدر السابق .

(٣) سورة آل عمران آية : ١٨٧ .

(٤) سورة آل عمران آية : ٨١ - ٨٢ .

(٥) أحمد (٣/ ٣٨٧) .

فردًا من أفراد الأمة المحمدية، ويحكم بهذه الشريعة، ومن الحكم بالشريعة أنه إذا نزل انتهى أخذ الجزية من اليهود والنصارى فلا يقبل منهم الجزية، ما يكون لهم إلا الإسلام أو السيف.

وهو خير هذه الأمة وأفضلها، ويُلغز بهذا فيقال: من هو أفضل أمة محمد - وهو أفضل من أبي بكر بالإجماع - ؟ فنقول: هو عيسى - عليه الصلاة والسلام - فهو أفضل من أبي بكر بالإجماع؛ فهو نبي وهو من هذه الأمة. وقد يقال: إنه صحابي؛ لأنه التقى بالنبي ﷺ ليلة المعراج حيًا؛ فهو صحابي.



حديث: خرج ﷺ وهم يتنازعون في القدر

قال المؤلف - رحمه الله - : وخرج ﷺ وهم يتنازعون في القدر فقال: «أبهذا أُمرتم؟ أوليس عن هذا نهيتم؟ إنما هلك من كان قبلكم بتماريهم في دينهم»(١).

الشرح : وهذا حديث رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وحسنه، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، والحديث لا بأس بسنده، وفيه التحذير من المراء والنزاع والاختلاف والفرقة، والأمر بلزوم السنة والجماعة.

ولهذا لما خرج النبي ﷺ وهم يتنازعون في القدر، أنكر عليهم وقال: «أبهذا أُمرتم؟ أوليس عن هذا نهيتم؟ إنما هلك من كان قبلكم بتماريهم» يعني: خصامهم ونزاعهم في دينهم، وأهل البدع يتمارون، يخاصمون ويخالفون، ففيه التحذير من أهل البدع ومرائهم وخصامهم ونزاعهم، ومخالفتهم للنصوص وأهل السنة والجماعة .

❁ ❁ ❁

---

(١) الترمذي: القَدَرِ (٢١٣٣) .

حديث: لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض

(قال المؤلف - رحمه الله - : وخرج ﷺ يومًا على أصحابه وهم يقولون: ألم يقل الله كذا وكذا؟ يرد بعضهم على بعض، فكأنما فقئ في وجهه حب الرمان، فقال: «إنما أفسد على الأمم هذا، فلا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، فإن ذلك يوقع الشك في قلوبكم»[(١)].

الشرح : وهذا الحديث أخرجه الترمذي وابن ماجه والطبراني وهو حديث صحيح، وله ألفاظ، وفي بعض الألفاظ أن النبي ﷺ خرج إليهم وهم يتنازعون، يأخذ هذا بآية، ويأخذ هذا بآية، فلما خرج عليهم - عليه الصلاة والسلام - غضب، وكأنما فقئ في وجهه حب الرمان من الغضب، فقال: «أبهذا أمرتم؟ أم بهذا وكلتم؟ أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟ ما عرفتم منه فاعملوا به، وما لم تعلموه فكلوه إلى عالم»[(٢)].

وفي هذا اللفظ الذي ساقه المؤلف، قال: «فكأنما فقئ في وجهه حب الرمان من الغضب، فقال: إنما أفسد على الأمم هذا، فلا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، فإن ذلك يوقع الشك في قلوبكم»[(٣)].

ففيه التحذير من المراء والخصام والنزاع والاختلاف والفرقة، وضرب النصوص بعضها ببعض، وأن هذه طريقة أهل البدع والزيغ والانحراف.

---

(١) ابن ماجه: القدرِ (٨٥)، وأحمد (٢/١٧٨) .
(٢) ابن ماجه: القدرِ (٨٥)، وأحمد (٢/١٧٨) .
(٣) ابن ماجه: القدرِ (٨٥)، وأحمد (٢/١٧٨) .

أما أهل الحق فإنهم يعملون بالمحكم الواضح البين، والمتشابه يردونه إلى المحكم ويفسرونه به، فتكون النصوص تتوافق ولا تختلف؛ فهم يعملون بنصوص الشرع، ويفسرون بعضها ببعض؛ حيث إن النصوص من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ يفسر بعضه بعضًا؛ فلا تضرب النصوص بعضها ببعض، وإنما يُعمل بها، ويُجمع بينها؛ لأن النصوص يوافق بعضها بعضًا، ويصدق بعضها بعضًا، من الكتاب والسنة.

أما أهل الزيغ والبدع فطريقتهم ضرْب النصوص بعضها ببعض، ويعملون ببعض النصوص ويتركون البعض الآخر، كما قال الله عز وجل في كتابه المبين:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (١).

ثبت في صحيح مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: **«إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذي سمى الله فاحذروهم»** (٢) فلا يجوز للإنسان أن يضرب النصوص بعضها ببعض، ويأخذ بالمتشابه ويترك المحكم؛ لأن هذه طريقة أهل الزيغ.

ففي هذه النصوص التحذير من طريقة أهل الزيغ، وأهل البدع الذين يأخذون ببعض النصوص ويتركون البعض، والذين يتعلقون بالمتشابه ويتركون المحكم.

---

(١) سورة آل عمران آية : ٧ .

(٢) البخاري: تفسير القرآن (٤٥٤٧)؛ ومسلم: العلم (٢٦٦٥)؛ والترمذي: تفسير القرآن (٢٩٩٤)؛ وأبو داود: السنة (٤٥٩٨)؛ وابن ماجه: المقدمة (٤٧)؛ وأحمد (٦/ ١٢٤)؛ والدارمي: المقدمة (١٤٥) .

مثال ذلك: نصوص العلو والفوقية كثيرة، حتى زادت أفراده على ثلاثة آلاف دليل، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾(١)، ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾(٢) ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾(٣)، ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝﴾(٤)، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾(٥)، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾(٦)، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾(٧)، ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾(٨)، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾(٩)، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾(١٠)، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾(١١).

نصوص محكمة واضحة لا لبس فيها، أن الله تعالى له العلو والفوقية، وهو فوق العرش، فوق المخلوقات بذاته، ولكن بعض من في قلوبهم زيغ يتركون النصوص الواضحة المحكمة البينة التي تزيد على ثلاثة آلاف دليل، ويتعلق ببعض المتشابهات، ففي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾(١٢) يأتي عليه ويقول بأن هذا دليل على أن الله مختلط بالمخلوقات، وليس في السماء.

فتراه يترك هذه الأدلة كلها ويتعلق بنص متشابه؛ فهذا يعني أن في قلبه زيغ، لكن أهل الحق يفسرون هذا النص بما يتوافق مع النصوص الأخرى؛

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٨ .
(٢) سورة الشورى آية : ٥١ .
(٣) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .
(٤) سورة الأعلى آية : ١ .
(٥) سورة الأعراف آية : ٥٤ .
(٦) سورة طه آية : ٥ .
(٧) سورة فاطر آية : ١٠ .
(٨) سورة المعارج آية : ٤ .
(٩) سورة الحديد آية : ٤ .
(١٠) سورة النحل آية : ٥٠ .
(١١) سورة الأنعام آية : ١٨ .
(١٢) سورة الزخرف آية : ٨٤ .

فقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾[(١)] أي: معبود؛ فهو معبود في السماء ومعبود في الأرض، ولكن ذاته - جل وعلا - فوق العرش سبحانه!.

ومثله، قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[(٢)] يقول: هذا دليل على أنه مختلط بالمخلوقات، وأنه في الأرض. ونرد عليهم فنقول: إن المعية في لغة العرب تأتي لمطلق المصاحبة، لا تفيد اختلاطًا ولا امتزاجًا، وليس فيها أنه مختلط بالمخلوقات ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾[(٣)] بعلمه واطلاعه وإحاطته وقدرته ونفوذ سمعه وبصره، وهو فوق العرش؛ تقول العرب: ما زلنا نسير والقمر معنا، ما زلنا نسير والنجم معنا، والنجم والقمر فوقك، كما يقول الإنسان: المتاع معي، وهو فوق رأسه.

ومن الأمثلة على ذلك: أن أهل الزيغ والسفور، الذين يبيحون للمرأة سفورها، ويقولون بجواز كشف المرأة عن وجهها، ويتركون النصوص الواضحة؛ مستدلين بحديث الخثعمية في حجة الوداع، وأن الخثعمية جاءت إلى النبي ﷺ تسأله عن الحج عن أبيها، وأن الفضل كان رديف النبي ﷺ فجعل ينظر إليها وتنظر إليه، فجعل النبي ﷺ يصرف وجه الفضل؛ فقالوا: إن هذا دليل على أنها كاشفة عن وجهها، وأنها سافرة الوجه، ينظر إليها وتنظر إليه.

ويتركون النصوص المحكمة الواضحة التي لا لبس فيها؛ مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾[(٤)] وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾[(٥)] أي: تدني المرأة

---

(١) سورة الزخرف آية: ٨٤ .
(٢) سورة الحديد آية: ٤ .
(٣) سورة الحديد آية: ٤ .
(٤) سورة الأحزاب آية: ٥٣ .
(٥) سورة الأحزاب آية: ٥٩ .

الخمار، وتستر وجهها، وترخيه على صدرها؛ فهذه نصوص واضحة.

ومن أقوى الأدلة من السنة النبوية على وجوب الحجاب: ما ثبت في صحيح البخاري في حديث عائشة في قصة الإفك؛ لما ذهب الجيش وتركوها في مكانها يظنون أنها في الهودج، جلست في مكانها، قالت: لعلهم يفقدونني ثم يأتون، فغلبتها عيناها ونامت، فجاء صفوان بن المعطل السُّلَمي وكان متأخرًا عن الجيش؛ فلما رأى سواد إنسان عرفها وجعل يسترجع ويقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، أهل رسول الله.

قالت عائشة: **«فاستيقظت باسترجاع صفوان»**[1] يعني وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون **«فاستيقظت باسترجاع صفوان، فخمرت وجهي بجلبابي وكان يعرفني قبل الحجاب»**[2] أي: غطيت وجهي بجلبابي، وكان يعرفني قبل الحجاب، فدل على أن النساء قبل الحجاب كن يكشفن وجوههن، وهذا في صحيح البخاري الذي هو أصح الكتب بعد كتاب الله.

فدعاة السفور يتركون النصوص المحكمة، ويتعلقون بحديث الخثعمية يقولون: بأنه دليل على أن المرأة يجوز لها أن تكون كاشفة لوجهها.

❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري: المغازي (٤١٤١)؛ ومسلم: التوبة (٢٧٧٠)؛ وأحمد (٦/ ١٩٤).

(٢) البخاري: المغازي (٤١٤١)؛ ومسلم: التوبة (٢٧٧٠)؛ وأحمد (٦/ ١٩٤).

حديث: لا تجالسوا أهل القدر

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ﷺ: «لا تجالسوا أهل القدر؛ فإنهم الذين يخوضون في آيات الله عز وجل»[١].

التخريج: رواه الحاكم، ورمز السيوطي لصحته في الجامع الصغير، وفيض القدير، ورواه ابن أبي عاصم في السنة، واللالكائي والبيهقي في الاعتقاد، وابن بطة في الكبرى، والآجري في الشريعة، كلهم من حديث عمر مرفوعًا، وقد حكم ابن الجوزي على الحديث بعدم الصحة، وقال: هذا الحديث لا يصح، وطرقه كلها تدور على يحيى بن ميمون وقد كذبوه، فالعلل متناهية، قلت: بل هو صدوق كما قال صاحب التقريب، وقد ضعفه الألباني في تخريج شرح الطحاوية، كما أشار صاحب مرقاة المفاتيح إلى ضعفه.

الشرح : فهذا الحديث اختلف في صحته وضعفه، فعلى القول بصحته فلا إشكال فيه؛ إذ فيه النهي عن مجالسة أهل القدر؛ لأنهم من أهل البدع، وهم الذين يخوضون في آيات الله عز وجل، ويؤولون النصوص على غير تأويلها، وعلى القول بضعفه، فالمعنى صحيح، وأنه لا ينبغي مجالسة أهل القدر؛ لأنهم من أهل البدع.

وأهل القدر طائفتان: الطائفة الأولى الذين أنكروا علم الله وكتابته للأشياء، فهؤلاء كفار، وهم الطائفة الأولى من القدرية، وهم الذين قال فيهم الإمام الشافعي - رحمه الله - : **«ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقروا به خُصموا، وإن أنكروه كفروا»**.

---

(١) أبو داود: السنة (٤٧٢٠)، وأحمد (١/ ٣٠) .

ومراتب القدر أربعة، لا بد من الإيمان بها، ولا يتم الإيمان بالقدر إلا بالإيمان بهذه المراتب:

المرتبة الأولى: علم الله بالأشياء قبل كونها، وعلم الله يشمل الإيمان بعلم الله الأزلي، وعلم الله في الحال بالأشياء الواقعة، وعلم الله في المستقبل، وعلم الله بالمستحيل الذي لم يكن لو كان كيف يكون، فلا بد من إثبات علم الله.

ثم المرتبة الثانية: الكتابة، كتابة الله للأشياء قبل كونها، وكل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ﴾ (١) الكتاب هو اللوح المحفوظ، وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ (٢)، وقال سبحانه: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ (٣) وقال سبحانه: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ (٤).

والمرتبة الثالثة: إرادة الله للأشياء الكائنة، وأن كل شيء في هذا الوجود فالله أراد وجوده، قد سبقت به إرادة الله، كما سبق به علمه وكتابته.

والمرتبة الرابعة: خلق الله - عز وجل - للأشياء، فكل شيء في هذا الكون فإن الله خَلَقَهُ، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (٥) وقال سبحانه: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ

---

(١) سورة الحج آية : ٧٠ .

(٢) سورة الحديد آية : ٢٢ .

(٣) سورة يس آية : ١٢ .

(٤) سورة الأنعام آية : ٥٩ .

(٥) سورة الحج آية : ١٤ .

﴿ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾[1] وفي الخلق قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[2]، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[3].

فهذه مراتب الإيمان بالقدر، أربع:

١ - علم الله بالأشياء قبل كونها.

٢ - كتابته لها في اللوح المحفوظ.

٣ - إرادة الله للأشياء قبل كونها.

٤ - خلق الله لجميع الأشياء.

فأهل الحق، وأهل الإيمان، وأهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين آمنوا بهذه المراتب الأربع كلها.

أما القدرية فهم طائفتان: طائفة أنكرت المرتبة الأولى والمرتبة الثانية، أنكروا علم الله بالأشياء قبل كونها، وقالوا: إن الله لا يعلم الأشياء حتى تقع، قالوا: «إن الأمر أُنُف»، يعني مُستأنف وجديد، وهؤلاء كفرة - والعياذ بالله -؛ لأنهم لما أنكروا علم الله الأزلي نسبوا الجهل إلى الله، وهؤلاء خرجوا في أواخر عهد الصحابة - رضي الله عنهم - .

وهم الذين ذكرهم الإمام مسلم في أول حديث في كتابه في صحيح مسلم لما ذكر حميد الطويل وصاحبه، وأنهم اكتنفوا أبا عبد الرحمن عبد الله بن عمر وسألوه، وكانوا قد أتوا من جهة البصرة في وقت الحج، وقالوا: «يا أبا عبد الرحمن، إنه ظهر قِبَلنا أناس يتقفرون العلم، ويزعمون أن الأمر أُنُف - يعني مستأنف وجديد لم يسبق به علم الله -، فقال: إذا لقيت هؤلاء فأخبرهم أني منهم بريء وأنهم برآء مني، والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لأحدهم

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٢٥ .

(٢) سورة الرعد آية : ١٦ .

(٣) سورة الفرقان آية : ٢ .

مثل أحد ذهبا ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر خيره وشره»[(١)].

ثم استدل بحديث عمر الطويل، وهو حديث جبرائيل أن النبي ﷺ لما سأله جبرائيل عن الإيمان فقال: «الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»[(٢)].

وهؤلاء هم الطائفة الأولى، وهم انقرضوا، وهم الذين قال فيهم الإمام الشافعي - رحمه الله - : «ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا به خُصموا، وإن أنكروه كفروا» أي: إن أقروا بالعلم، وأن الله علم الأشياء قبل كونها، وكتبها في اللوح المحفوظ، فيلزمهم أن يقروا بأن الله أراد أفعال العباد، وخلقها، وإن أنكروه كفروا.

أما الطائفة الثانية - وهم عامة القدرية - : فإنهم يؤمنون بالمرتبتين الأوليين، يؤمنون بعلم الله للأشياء، علم الله الأزلي، ويؤمنون بالكتابة، ولكن ينكرون عموم إرادة الله للأشياء حتى تشمل أفعال العباد، وينكرون عموم خلقه وإيجاده للأشياء حتى تشمل أفعال العباد.

فقالوا: إن أفعال العباد خارجة عن إرادة الله وخلقه وإيجاده، فالعباد هم الذين أرادوا أفعالهم وخلقوها وأوجدوها مستقلين، والله لم يوجدها، فالعباد هم الذين خلقوا أفعالهم، وأوجدوا عباداتهم وأفعالهم من طاعات ومعاصٍ، هؤلاء يسمون عامة القدرية وهؤلاء مبتدعة.

فالطائفة الأولى كفرة، وهم الذين قال فيهم الإمام الشافعي: «ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا به خُصموا، وإن أنكروه كفروا» وهم الذين أخرجهم العلماء من الثنتين والسبعين فرقة، وقالوا: إنهم كفروا، خرجوا من الثنتين

---

(١) الترمذي: الإيمان (٢٦١٠).

(٢) مسلم: الإيمان (٨)؛ والترمذي: الإيمان (٢٦١٠)؛ والنسائي: الإيمان وشرائعه (٤٩٩٠)؛ وأبو داود: السنة (٤٦٩٥)؛ وابن ماجه: المقدمة (٦٣)؛ وأحمد (١/ ٥١).

والسبعين فرقة، الذين قال فيهم النبي ﷺ: **«وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة»**[١] فهذه الثنتان والسبعين فرقة مبتدعة، خرج منهم القدرية؛ لأنهم كفرة.

أما عامة القدرية وهم الذين أنكروا عموم إرادة الله وخلقه للأشياء، حتى أخذوا أفعال العباد، وأقروا بالعلم والكتابة، فهؤلاء مبتدعة، لا يجالسون؛ والطائفة الثانية لا يجالسون؛ فإنهم يخوضون في آيات الله، ويؤولون النصوص على غير تأويلها؛ فيجب البعد عنهم والحذر من مجالستهم، إلا على وجه مناظرتهم ومناصحتهم وإلزامهم بالحق.

فهذا الحديث - على القول بصحته - واضح، وعلى القول بعدم صحته فالمعنى صحيح؛ لأن أهل البدع لا يجالسون؛ لأنهم يخوضون في آيات الله، والقدرية من أهل البدع.



(١) ابن ماجه: الفتن (٣٩٩٣)، وأحمد (٣/ ١٢٠).

حديث: المراء في القرآن كفر

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ﷺ: «المراء في القرآن كفر»[١].

التخريج: رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وصححه ابن حبان كما في التعليق على شرح السنة للبغوي، ورمز السيوطي لصحته في الجامع الصغير، ورواه أبو داود في سننه «**باب النهي عن الجدل في القرآن**»، ورواه الآجري في الشريعة من طريقين، ورواه ابن بطة في الكبرى، ورواه الطبراني كما في كنز العمال، ورواه اللالكائي ورواه السِّلفي من حديث أبي هريرة مرفوعًا، ولفظه: «**أهل القدر شرار هذه الأمة، ومراء في القرآن كفر**».

الشرح: هذا الحديث لا بأس بصحته، وهو صحيح، والمراء معناه: الجدال، «**الجدال في القرآن كفر**»[٢] أي: من الأعمال الكفرية، فلا يجب للإنسان أن يجادل في القرآن، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[٣].

فلا يجوز المراء والجدال في القرآن، إذ هو من الأعمال الكفرية، قد يكون كفرًا أكبر، وقد يكون كفرًا أصغر، فإن جادل في آيات الله على وجه التعنت والعناد والإنكار لما دلت عليه يكون كفرًا أكبر، وإن كان جداله دون

---

(١) أبو داود: السنة (٤٦٠٣)، وأحمد (٢/٥٢٨).

(٢) سنن أبي داود: كتاب السنة (٤٦٠٣)، ومسند أحمد (٢/٤٧٨).

(٣) سورة غافر آية: ٣٥.

ذلك يكون كفرًا أصغر، فالجدال والمراء في القرآن كفر، إما أكبر، إن كان يؤدي إلى إنكار آيات الله وجحدها وعدم الإيمان بها، وإن كان مع الإيمان بها ولكنهم دون ذلك فإنه يكون كفرًا أصغر؛ فلا يجوز المراء ولا الجدال في القرآن. وهذا فيه التحذير من أهل البدع، والذين يجادلون في القرآن هم من أهل البدع؛ فالمؤلف - رحمه الله - أراد أن يحذر من أهل البدع، الذين يجادلون في القرآن من القدرية والمرجئة والجهمية والمعتزلة والخوارج والأشاعرة وغيرهم من الذين يجادلون في آيات الله، فإن هؤلاء ينبغي الحذر منهم والبعد عنهم.



حديث: إنكم لا ترجعون إلى الله بشيء

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ﷺ: «إنكم لا ترجعون إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه» يعني: القرآن.

التخريج: رواه الترمذي عن جبير بن نفير مرسلًا، وقال: حديث غريب، ورواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي من حديث أبي ذر مرفوعًا، ورواه البخاري في خلق أفعال العباد، ورواه الآجرّي في الشريعة موقوفًا على خباب ابن الأرت، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ورمز السيوطي لحسنه في الجامع الصغير، وقال شارحه المناوي: قال البخاري: لا يصح لإرساله وانقطاعه.

الشرح : ظاهر كلام الأئمة والعلماء في هذا الحديث أنه ثابت، وقال البخاري: إنه مرسل منقطع، ولكن يصح بشواهده، وأنه وُصل من طرق أخرى، ومعناه صحيح، وهو أن الإنسان لا يرجع إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه، يعني القرآن؛ لأن الله تكلم به، فهو أفضل الذكر، فهو كلام الله عز وجل الذي يتعبد به المسلم، ثم أفضل الكلام بعد كلام الله كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» فأفضل ما يتعبد به الإنسان ربه تلاوة القرآن، ثم التعبد بالذكر.

والحديث فيه الحذر من أهل البدع الذين يخالفون ما دل عليه القرآن، وما دلت عليه السنة، فالواجب على المسلم أن يتعبد بكلام الله عز وجل وأن يعمل بما دل عليه كتاب الله، وأن يحذر من تحريف القرآن وتأويله على غير تأويله، كما يفعله أهل البدع.

❁ ❁ ❁

حديث: إن قريشًا منعتني أن أبلغ كلام ربي

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ﷺ: «إن قريشًا منعتني أن أبلغ كلام ربي»[1].

التخريج: رواه أبو داود في كتاب السنة، والترمذي وقال: حديث غريب صحيح، وابن ماجه، ورواه البخاري في خلق أفعال العباد مُعلقًا، ثم رواه فيه مسندًا.

الشرح : وهذا الحديث صحيح، وهو قوله - عليه الصلاة والسلام - : **«إن قريشًا منعتني أن أبلغ كلام ربي»**[2] وذلك في أول البعثة، حينما كان عليه الصلاة والسلام بمكة ومنعوه أن يبلغ كلام الله، والحديث فيه إثبات كلام الله عز وجل وأن الله تكلم بالقرآن.

وفيه الرد على الجهمية الذين أنكروا أن يكون القرآن كلام الله عز وجل؛ فقالوا: إن الله لا يتكلم، وقالوا: إن الكلام وصف لمخلوقاته، وكذلك المعتزلة، والأشاعرة الذين يقولون: إن الكلام ليس بحرف ولا صوت، وإنما هو كلام نفسي؛ أي أن هذا المعنى من الله، والكلام الذي هو الحروف ليس من الله، وإنما هي من جبريل أو محمد؛ فبعضهم قال: إن جبريل اضطره الله ففهم المعنى القائم بنفسه فعبر بهذا بالقرآن، فهذا القرآن الذي بين أيدينا

---

(١) الترمذي: فضائل القرآن (٢٩٢٥)، وأبو داود: السنة (٤٧٣٤)، وابن ماجه: المقدمة (٢٠١)، وأحمد (٣/ ٣٩٠)، والدارمي: فضائل القرآن (٣٣٥٤) .

(٢) الترمذي: فضائل القرآن (٢٩٢٥)، وأبو داود: السنة (٤٧٣٤)، وابن ماجه: المقدمة (٢٠١)، وأحمد (٣/ ٣٩٠)، والدارمي: فضائل القرآن (٣٣٥٤) .

عبارة عبر بها جبرائيل، وقال آخرون من الأشاعرة: إن الذي عبر به محمد، وقالت طائفة ثالثة من الأشاعرة: إن جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ، والله لم يتكلم بكلمة.

وهذا من أبطل الباطل، فهذا الحديث فيه رد عليهم؛ لأن النبي قال: «**إن قريشًا منعتني أن أبلغ كلام ربي**»[١] والنصوص في هذا كثيرة من الكتاب ومن السنة، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[٢] ولم يقل: حتى يسمع ما هو عبارة عن كلام الله، دل على أن الله تكلم بالقرآن، والكلام لا يُسمى كلامًا إلا إذا كان من حرف وصوت.

فالله تعالى تكلم بالقرآن، وسمعه جبرائيل من الله عز وجل وأنزله على قلب محمد ﷺ كما قال الله - سبحانه وتعالى - في كتابه المبين: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[٣].

ومقصود المؤلف - رحمه الله - التحذير من أهل البدع الذين أنكروا أن يكون القرآن كلام الله عز وجل من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ومن أقوالهم الباطلة المخالفة للنصوص، فهذا من النصوص التي فيها الرد على أهل البدع.

❁ ❁ ❁

---

(١) الترمذي: فضائل القرآن (٢٩٢٥)، وأبو داود: السنة (٤٧٣٤)، وابن ماجه: المقدمة (٢٠١)، وأحمد (٣/ ٣٩٠)، والدارمي: فضائل القرآن (٣٣٥٤).

(٢) سورة التوبة آية : ٦ .

(٣) سورة الشعراء آية : ١٩٣ - ١٩٥ .

حديث: إن الله أحيا أباك فكلمه كفاحًا

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ﷺ لجابر: «أعلمت أن الله أحيا أباك فكلمه كفاحًا»(١).

التخريج: رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب، ورواه ابن ماجه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني والبزار من طريق الفيض بن وثيق عن أبي عبادة الزرقي وكلاهما ضعيف، وفي رواية الطبراني حماد بن عمر وهو كذاب، ورواه البخاري في خلق أفعال العباد من حديث جابر معلقًا، ورواه الحاكم وصححه، ولفظه: «فكلمه كلامًا».

الشرح : هذا الحديث ثابت، له أسانيد صحيحة ثابتة، وهو قول النبي ﷺ لجابر بن عبد الله بن حرام «إن الله أحيا أباك وكلمه كفاحًا»(٢) وذلك أن عبدالله بن حرام: والد جابر رضي الله عنه قتل شهيدًا يوم أحد، فحزن عليه ابنه جابر رضي الله عنه؛ فقد خلف جابرًا وأخوات له، وأوصاه قبل موته بأن يقضي دينه، وأن يقوم على أخواته، وكان دينه كثيرًا، فلما حزن جابر طمأنه النبي ﷺ فقال له: «أما علمت أن الله كلم أباك كفاحًا وقال له: تمنَّ، قال: يا رب أن أرد إلى الدار الدنيا فأقتل شهيدًا مرة أخرى فقال الله عز وجل: إني كتبت أنهم إليها لا يرجعون»(٣).

وهذه منقبة لعبد الله بن حرام والد جابر رضي الله عنه «إن الله كلم أباك

---

(١) الترمذي: تفسير القرآن (٣٠١٠)، وابن ماجه: المقدمة (١٩٠).

(٢) الترمذي: تفسير القرآن (٣٠١٠)، وابن ماجه: المقدمة (١٩٠).

(٣) الترمذي: تفسير القرآن (٣٠١٠)، وابن ماجه: المقدمة (١٩٠).

كفاحًا»(١) يعني: من غير واسطة، بعد موته «وقال له: تمن»(٢) هذا في البرزخ، لما رأى عبد الله بن حرام رضي الله عنه ما أعطاه الله من الفضل العظيم والأجر الكبير للشهادة تمنى أن يرجع مرة أخرى إلى الدنيا فيقتل شهيدًا مرة أخرى؛ حتى يضاعف له الثواب والأجر.

قال الله له: تمن، قال: يا رب إذا كان لي أمنية أن أرد مرة أخرى إلى الدنيا فأقتل شهيدًا، فقال الله عز وجل: «**إني كتبت أنهم إليها لا يرجعون**»(٣) لا أحد يرجع إلى الدنيا بعد موته، انتهى.

فالشاهد من الحديث: «**إن الله كلم أباك كفاحًا**»(٤) فيه إثبات الكلام لله عز وجل وأن الله كلم والد جابر - عبد الله بن حرام - كفاحًا بحرف وصوت، وسمعه عبد الله بن حرام.

ففيه الرد على الجهمية والمعتزلة والأشاعرة من أهل البدع الذين أنكروا كلام الله عز وجل فالجهمية أنكروا الكلام وقالوا: إن الله لا يوصف بالكلام، وما ورد في النصوص من إضافة الكلام لله فهي صفات لخلقه، إضافة المخلوق إلى خالقه للتشريف، وكذلك المعتزلة أنكروا الصفات وأثبتوا الأسماء، والأشاعرة أثبتوا سبع صفات ومنها الكلام، لكنهم لم يثبتوا الكلام على وجهه، قالوا: الكلام معنى قائم بالنفس، ليس بحرف ولا صوت.

فهذا الحديث فيه الرد عليهم؛ فالله تعالى كلم والد جابر - عبد الله بن حرام - كفاحًا من دون واسطة بحرف وصوت . وفيه التحذير من أهل البدع الذين ينكرون ما دلت عليه هذه النصوص، فمقصود المؤلف أن يحذر من أهل البدع من الأشاعرة والمعتزلة والجهمية الذين أنكروا كلام الله عز وجل.

---

(١) الترمذي: تفسير القرآن (٣٠١٠)، وابن ماجه: المقدمة (١٩٠) والجهاد (٢٨٠٠) .
(٢) مسلم: الإيمان (١٨٢)، والدارمي: الرقاق (٢٨٢٩) .
(٣) أحمد (٣/٣٦١) .
(٤) الترمذي: تفسير القرآن (٣٠١٠)، وابن ماجه: المقدمة (١٩٠) والجهاد (٢٨٠٠) .

حديث: يكون من بعدي فتنة يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ﷺ: «يكون من بعدي فتنة يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا إلا من أحياه الله بالعلم»[(١)].

التخريج: رواه ابن ماجه عن أبي أمامة مرفوعًا، ورواه ابن حبان في صحيحه، ورواه ابن بطة في الكبرى من عدة طرق عن سعد بن أبي وقاص وابن مسعود وأبي أمامة والضحاك بن قيس والمقداد بن الأسود وعبد الله بن عمرو بن العاص، ورواه الآجري أيضًا في الشريعة مرفوعًا من طريق أبي هريرة وأبي أمامة ومعقل بن يسار وأبي موسى وأنس وأبي مزيد الأنصاري، وأصل الحديث في صحيح مسلم بدون زيادة: «إلا من أحياه الله بالعلم»[(٢)].

الشرح : والحديث ثابت، وهو في صحيح مسلم بدون الجملة الأخيرة: **«ستكون من بعدي فتنة يصبح فيها الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا»**[(٣)] وفي بعضها: **«يبيع دينه بعرض من الدنيا»**[(٤)] ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وفيه التحذير من الفتن، والبعد عن أسبابها ومواقعها، وأن الإنسان قد

---

(١) ابن ماجه: الفتن (٣٩٥٤)، والدارمي: المقدمة (٣٣٨) .

(٢) ابن ماجه: الفتن (٣٩٥٤)، والدارمي: المقدمة (٣٣٨) .

(٣) مسلم: الإيمان (١١٨)، والترمذي: الفتن (٢١٩٥)، وأحمد (٢/ ٣٠٣) .

(٤) مسلم: الإيمان (١١٨)، والترمذي: الفتن (٢١٩٥)، وأحمد (٢/ ٣٠٣) .

يفتن في دينه - والعياذ بالله -، فتن الحروب، وفتن الشهوات، وفتن الشبهات، ومن أعظمها فتنة المسيح الدجال الذي يخرج في آخر الزمان يدعي الصلاح، وأنه رجل صالح أولًا، ثم يدعي النبوة، ثم يدعي الربوبية، ويقول: أنا ربكم - والعياذ بالله -، ويفتن كثيرًا من الناس، وبعض الناس يعلم كذبه، لكن يفتن والعياذ بالله.

ولهذا ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «**ما بعد خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أو خلق أعظم فتنة من الدجال**»[1] أو كما قال - عليه الصلاة والسلام -؛ ولهذا شرع الله لنا في كل صلاة في آخر التشهد أن نستعيذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال. فهذه الفتن التي تكون في آخر الزمان.

وعند اشتداد الفتن ينبغي للإنسان أن يحذر من أسبابها «**يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا**»[2] وفي اللفظ الآخر: «**يبيع دينه بعرض من الدنيا**»[3] - نسأل الله السلامة والعافية - .

ومن ذلك: فتنة الشبهات التي وقع بها الجهمية والمعتزلة والأشاعرة الذين اشتبه عليهم الأمر فانحرفوا، فخالفوا النصوص، وخالفوا أهل السنة والجماعة وخالفوا الصحابة والتابعين؛ فالواجب على المسلم وعلى طالب العلم أن يحذر من الفتن وأسبابها.

❁ ❁ ❁

---

(١) مسلم: الفتن وأشراط الساعة (٢٩٤٦)، وأحمد (٤/ ١٩) .

(٢) مسلم: الإيمان (١١٨)، والترمذي: الفتن (٢١٩٥)، وأحمد (٢/ ٣٠٣) .

(٣) مسلم: الإيمان (١١٨)، والترمذي: الفتن (٢١٩٥)، وأحمد (٢/ ٣٠٣) .

حديث: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ﷺ: «اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - »[١].

التخريج: رواه الترمذي وحسنه، وأخرجه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، ونقل ابن كثير في النهاية تصحيح ابن حبان له، وصححه الألباني في تخريج الطحاوية، ورمز السيوطي لصحته في الجامع الصغير كما في فيض القدير، وأخرجه ابن عساكر كما في الدر المنثور للسيوطي، ورواه الطبراني بزيادة: «فإنهما حبل الله الممدود فمن تمسك بهما» الحديث، وقال الهيثمي: وفيهم من لم أعرفهم.

الشرح : وهذا الحديث ثابت: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر»[٢] وفيه فضل الشيخين أبي بكر وعمر، وفيه أيضًا إشارة إلى خلافتهما، هذا من الأدلة التي استدل بها الصحابة على أحقية أبي بكر بالخلافة، ومن بعده عمر .

وهذا الحديث أخص من الحديث الآخر: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي»[٣] فهذا فيه أمر بالأخذ بسنة الخلفاء الراشدين عند خفاء

(١) الترمذي: المناقب (٣٦٦٢)، وابن ماجه: المقدمة (٩٧)، وأحمد (٥/ ٣٨٢) .

(٢) الترمذي: المناقب (٣٦٦٢)، وابن ماجه: المقدمة (٩٧)، وأحمد (٥/ ٣٨٢) .

(٣) الترمذي: العلم (٢٦٧٦)، وأبو داود: السنة (٤٦٠٧)، وابن ماجه: المقدمة (٤٢)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، والدارمي: المقدمة (٩٥) .

السنة، والأول فيه أمر بالاقتداء بالشيخين أبي بكر وعمر وهو دليل على فضلهما، وفيه التحذير من البدع، فالذي يقتدي بالشيخين، ويعمل بسنة الرسول ﷺ يكون بعيدًا عن الشبه، وأهل البدع وأهل الشبهات والشهوات لا يقتدون بالشيخين، بأبي بكر وعمر وإنما يعملون بأهوائهم وشهواتهم؛ فلذلك انحرفوا وضلوا عن سواء السبيل.



حديث: لم يزل أمر بني إسرائيل معتدلاً

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ﷺ: «لم يزل أمر بني إسرائيل معتدلًا حتى نشأ فيهم المولدون، أبناء سبايا الأمم، فأخذوا بالرأي وتركوا السنن»[١].

التخريج: رواه ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا، ورواه الدارمي عن عروة مرسلًا، ورواه الطبراني بلفظ: «فقالوا بالرأي فضلّوا وأضلوا»[٢].

ورواه ابن بطة في الكبرى من حديث واثلة بن الأسقع مرفوعًا، ورواه الهروي في ذم الكلام من حديث عروة بن الزبير عن أبيه مرفوعًا، وعزاه السيوطي لابن ماجه والطبراني ورمز لحسنه، وفي سند ابن ماجه سويد بن سعيد وهو ضعيف، وأخرجه ابن وهب في جامعه موقوفًا على الزبير بن العوام - رضي الله تعالى عنه - .

الشرح : وهذا الحديث فيه التحذير من الأخذ بالرأي، والمراد به الرأي المجرد الذي لا يستند إلى النصوص، وفيه أن بني إسرائيل لم يزل أمرهم معتدلًا . . .

وفيه أن «بني إسرائيل لما يزل أمرهم معتدلًا» يعني: مستقيمًا على الشريعة، واتباع ما جاء في التوراة التي أنزلها الله على موسى «حتى نشأ فيهم المولدون» وهم «أبناء سبايا الأمم» .

فإنهم لما اختلطوا بغيرهم من أبناء الأجناس الأخرى، كما حصل

---

(١) ابن ماجه: المقدمة (٥٦) .

(٢) ابن ماجه: المقدمة (٥٦) .

للمسلمين لما اختلطوا بالأعاجم، وترجمت كتب اليونان والرومان؛ فسدت ألسنتهم، ووجدت البدع.

ففي الحديث التحذير من الأخذ بالرأي وترك السنن.

والمراد بالرأي: الرأي المجرد الذي لا يستند إلى السنن. ولهذا قال: «فأخذوا بالرأي وتركوا السنن» فيه التحذير من البدع، والآراء والأهواء المضلة، وفيه الأخذ بالسنة.

والرأي رأيان: رأي محمود، وهو الذي جاءت فيه النصوص بالثناء على أهله. والرأي الثاني: الرأي المجرد، الذي لا يستند إلى النصوص. وهذا هو الجمع بين النصوص.

فهناك نصوص فيها الذم؛ أي: ذم الأخذ بالرأي، ونصوص فيها مدح الأخذ بالرأي. والجمع بينهما: أن النصوص والآثار التي فيها مدح الأخذ بالرأي المراد بها: الرأي المستند إلى النصوص، المستنبط منها. والنصوص التي فيها ذم الرأي: ذم الرأي المجرد الذي لا يستند إلى النصوص. وهو ما دل عليه هذا الحديث.

قال: «فأخذوا بالرأي، وتركوا السنن» يعني: الرأي المجرد المخالف للسنن. فالحديث فيه التحذير من الرأي والهوى، وإنما نشأت البدع من خوارج ومعتزلة وجهمية وأشاعرة ومرجئة وقدرية ورافضة من الأخذ بالرأي، والأهواء المضلة وترك السنن والنصوص.



حديث: إن الله لا ينزع العلم انتزاعًا

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ﷺ: «إن الله لا ينزع العلم انتزاعًا من صدور الرجال، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، فإذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالًا، فسئلوا فأفتوا بغير علم؛ فضلوا وأضلوا»[(١)].

التخريج: رواه الترمذي وقال: «حديث حسن صحيح»، وابن ماجه، ورواه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» بسند صحيح، ورواه الشهاب القضاعي في مسنده، وقال الهيثمي في «المجمع»: رواه الطبراني في الأوسط، والبزار بطرق فيها ضعف، ورواه عبد الرزاق في مصنفه، وابن المبارك في الزهد.

الشرح : ذكر المؤلف - رحمه الله - أنه رواه الترمذي، ورواه الشهاب وابن ماجه وعبد الرزاق لكن فات على المحشي أنه أخرجه الشيخان: البخاري ومسلم. ولفظ البخاري: حدثنا إسماعيل بن أبي أويس قال: حدثني مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رءوسًا جهالًا، فسئلوا فأفتوا بغير علم؛ فضلوا وأضلوا»**[(٢)] قال الفربري: حدثنا عباس قال: حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن هشام نحوه .

وكذلك أخرجه الإمام مسلم.

---

(١) البخاري: الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٣٠٧)، ومسلم: العلم (٢٦٧٣)، والترمذي: العلم (٢٦٥٢)، وابن ماجه: المقدمة (٥٢)، وأحمد (٢/ ١٦٢)، والدارمي: المقدمة (٢٣٩) .

(٢) البخاري: العلم (١٠٠)، ومسلم: العلم (٢٦٧٣)، والترمذي: العلم (٢٦٥٢)، وابن ماجه: المقدمة (٥٢)، وأحمد (٢/ ١٦٢)، والدارمي: المقدمة (٢٣٩) .

فالنبي ﷺ يقول: **«إن الله لا ينزع العلم انتزاعًا من صدور الرجال، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء»**(١) وهذا الحديث فيه الحث على التعلم، وأخذ العلم من أفواه العلماء قبل قبضهم؛ أي: موتهم.

وفيه أن قبض العلم بقبض العلماء، ولو كانت الكتب بين أيديهم. فالقرآن بين أيديهم والسنة ولكن العلماء هم الذين يبينون للناس، ويوضحون معاني الكتاب العزيز، ومعاني السنة، ويجمعون بين النصوص، ويؤولونها على تأويلها.

ولا يكفي أن يأخذ المسلم العلم من الكتب؛ فليس هناك أحد تعلم وصار طالب علم من الكتب أبدًا؛ فالعلم إنما يؤخذ من أفواه العلماء، ولو ظل المسلم طول حياته يطلب من الكتب ما صار طالب علم، ولهذا قال العلماء: **«من كان شيخه كتابه فخطؤه أكثر من صوابه»**.

والحديث واضح، يقول النبي: **«إن الله لا ينزع العلم انتزاعًا من صدور الرجال»**(٢) أي: ما يُقبض من صدور الرجال، لكن يقبض بموت العلماء. فإذا لم يبق عالمًا، وفي رواية: **«حتى إذا لم يبق عالمًا، اتخذ الناس رءوسًا جهالًا، فسئلوا فأفتوا بغير علم؛ فضلوا وأضلوا»**(٣).

لأنه إذا مات العلماء؛ فإن المناصب - من الإفتاء والقضاء والتدريس وغيرها التي لا بد لها من يتولاها من أهل العلم - يتولاها من ليس أهلًا لها ممن لا علم لديهم؛ فيفتون بغير علم فيَضلون ويُضلون.

---

(١) البخاري: الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٣٠٧)، ومسلم: العلم (٢٦٧٣)، والترمذي: العلم (٢٦٥٢)، وابن ماجه: المقدمة (٥٢)، وأحمد (٢/ ١٦٢)، والدارمي: المقدمة (٢٣٩).

(٢) البخاري: الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٣٠٧)، ومسلم: العلم (٢٦٧٣)، والترمذي: العلم (٢٦٥٢)، وابن ماجه: المقدمة (٥٢)، وأحمد (٢/ ١٦٢)، والدارمي: المقدمة (٢٣٩).

(٣) البخاري: العلم (١٠٠)، ومسلم: العلم (٢٦٧٣)، والترمذي: العلم (٢٦٥٢)، وابن ماجه: المقدمة (٥٢)، وأحمد (٢/ ١٦٢)، والدارمي: المقدمة (٢٣٩).

حديث: نهي رسول الله ﷺ عن قيل وقال

قال المؤلف - رحمه الله - : ونهى رسول الله ﷺ عن قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال(١).

التخريج: رواه البخاري عن المغيرة بن شعبة، ورواه ابن بطة في الكبرى - عن المغيرة أيضًا - من ثلاث طرق، ورواه اللالكائي عن أبي هريرة، ورواه الآجُرّيّ في الشريعة بلاغًا، وعزاه السيوطي للبيهقي بلفظ: «كره» من حديث المغيرة ورمز لصحته.

الشرح : وهذا الحديث ثابت في الصحيح **«أن النبي ﷺ نهى عن قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال»**(٢) وفي لفظ: **«نهى عن عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعٍ وهات»**(٣).

والنهي فيه للتحريم، ومن ذلك ما يفعله أهل البدع، قيل كذا وقال كذا، فالذي يكثر من قيل وقال لا بد أن يقع في الكذب.

وكذلك إضاعة المال في غير وجه شرعي، وكثرة السؤال يشمل: سؤال المال بغير حق، وكذلك سؤال العلم إذا كان على وجه التعنت وإعجاز

---

(١) البخاري: الزكاة (١٤٧٧)، ومسلم: الأقضية (٥٩٣)، وأحمد (٤/ ٢٤٩)، والدارمي: الرقاق (٢٧٥١) .

(٢) البخاري: الزكاة (١٤٧٧)، ومسلم: الأقضية (٥٩٣)، وأحمد (٤/ ٢٤٩)، والدارمي: الرقاق (٢٧٥١) .

(٣) البخاري: في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس (٢٤٠٨)، ومسلم: الأقضية (٥٩٣)، وأحمد (٤/ ٢٤٦)، والدارمي: الرقاق (٢٧٥١) .

المسئول، أو على وجه الرياء . أما إذا كان على وجه الاسترشاد والاستفهام؛ فهذا مأمور به؛ قال الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[(١)].

وفي الحديث الآخر: «**نهى عن عقوق الأمهات**»؛ لأن هذا من الكبائر، «**ومنع وهات**» منع يعني: منع الواجب، وهات، يأخذ ما لا يستحق، ما لا يحل له، يمنع الواجب ويأخذ ما لا يستحق.

۞ ۞ ۞

(١) سورة النحل آية : ٤٣ .

حديث: كان ﷺ يكره كثرة المسائل

قال المؤلف - رحمه الله - : «وكان ﷺ يكره كثرة المسائل»[١]، «ونهى ﷺ عن الأغلوطات»[٢] وقيل: هي شداد المسائل وصعابها.

التخريج: رواه أحمد عن معاوية وإسناده جيد، ورواه أبو داود كما في الفتح الرباني، ورواه الآجُرِّيّ بدون سند في الشريعة.

الشرح : وقال محققه الفقي: رواه البخاري، وقائل هذه العبارة «شداد المسائل وصعابها»: الإمام الأوزاعي كما في رواية أحمد وأبي داود وهي عندهما بلفظ **«الغَلوطات»** - بفتح الغين المعجمة - أي: المسائل التي يغالط بها العلماء؛ ليزلّوا فيها، فيُهَيِّجُوا - بذلك - فتنة وشرًّا.

وإنما نهى عنها لأنها غير نافعة في الدين، ولا تكاد تكون إلا فيما لا يقع، ورواه ابن بطة في الكبرى، ورُوي أيضًا تفسير الحديث عن الأوزاعي، ورواه الخطابي في غريب الحديث، ورواه الهروي في ذم الكلام بدون قول الأوزاعي.

---

(١) أبو داود: العلم (٣٦٥٦)، وأحمد: باقي مسند الأنصار (٢٢٥٧٥) .

(٢) صحيح البخاري: كتاب الإيمان (٢١)، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان (٤٣) وكتاب الأضاحي (١٩٧٧)، وسنن الترمذي: كتاب الطهارة (٣، ٦، ١٢، ١٤، ١٧، ٢٠، ٣١، ٥٦، ٥٨، ٦١، ٩٠، ٩٤، ١٠٧، ١١٨، ١٣٥، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٠) وكتاب الصلاة (١٤٩، ١٥٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٩٢، ١٩٨، ٢٠٣، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٧٠، ٢٨٤، ٢٨٧، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٨، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١٢، ٣١٩، ٣٣٤، ٣٥٠، ٣٥١،=

والمراد بالكراهة في الحديث: كراهة التحريم؛ لأن الكراهة إذا جاءت في النصوص، وفي كلام السلف يراد بها كراهة التحريم في الغالب.

ألا ترى أن الله عز وجل في سورة الإسراء لما ذكر الكبائر العظيمة: من الشرك بالله، وعقوق الوالدين، وتطفيف المكيال والميزان، وقتل النفس بغير حق، والمشي في الأرض مرحًا - قال بعد ذلك: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾[(١)] يعني: محرمًا.

وكما في الحديث السابق: «إن الله كره قيل وقال، وكثرة السؤال، وعقوق الأمهات، ومنع وهات»[(٢)] وهذه محرمة. فالمراد: كراهة التحريم.

وقد تأتي الكراهة قليلة، ويراد بها كراهة التنزيه. كما جاء في الحديث في شأن صلاة العشاء: «أن النبي ﷺ كان يكره النوم قبلها، والحديث بعدها»[(٣)]؛ فهذه كراهة تنزيه.

لكن المراد بالكراهة في الحديث الذي ذكره المؤلف: كراهة التحريم؛ «كان النبي ﷺ يكره كثرة المسائل»؛ لأن كثرة المسائل قد تؤدي إلى التعنت، وقد تكون سببًا في التحريم في زمن النبوة؛ ولهذا أنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[(٤)] وجاء في الحديث: «إن أعظم

= ٣٥٣، ٣٥٨، ٣٦٨، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٨١، ٣٨٨، ٣٩١، ٣٩٩، ٤٠١، ٤١٨، ٤٢٠، ٤٢٦، ٤٤٥، ٤٤٩، ٤٥٧، ٤٥٩، ٤٦٤، ٤٦٦، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٤، ٤٧٨) وكتاب الجمعة (٥٠٣، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥١٩، ٥٢١، ٥٢٣، ٥٣٣، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٥٠، ٥٥٣، ٥٧٦، ٥٨٧، ٥٩٢، ٥٩٧، ٥٩٨، ٦٠٤، ٦٠٩) وكتاب الزكاة (٦٣٢، ٦٣٥، ٦٤٤، ٦٥٢، ٦٦٦)، وسنن النسائي: كتاب الإيمان وشرائعه (٤٩٨٩) .

(١) سورة الإسراء آية : ٣٨ .

(٢) البخاري: الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٩٢)، ومسلم: الأقضية (٥٩٣)، وأحمد (٤/٢٤٦)، والدارمي: الرقاق (٢٧٥١) .

(٣) البخاري: مواقيت الصلاة (٥٦٨)، ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٦٤٧)، والنسائي: المواقيت (٤٩٥)، وأبو داود: الصلاة (٣٩٨) .

(٤) سورة المائدة آية : ١٠١ .

المسلمين جرمًا عند الله من سأل عن شيء لم يُحرم، فحرم من أجل مسألته»[1] فكان الرسول ﷺ يكره كثرة المسائل.

«ونهى عن الغلوطات»[2] والغلوطات هي: إيقاع الإنسان في الغلط والعنت، وقيل: هي شداد المسائل وصعابها. وأهل البدع إنما حصلت منهم البدع بسبب كثرة مسائلهم، وسؤالهم عن الأغلوطات، وعن الأشياء التي لم تقع، وعن الفرضيات؛ ولهذا وقعوا في البدع.

❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري: الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٩)، ومسلم: الفضائل (٢٣٥٨)، وأبو داود: السنة (٤٦١٠)، وأحمد (١/ ١٧٦) .

(٢) أبو داود: العلم (٣٦٥٦)، وأحمد: باقي مسند الأنصار (٢٢٥٧٥) .

حديث: اتركوني ما تركتكم

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ﷺ: «اتركوني ما تركتكم»[١].

التخريج: رواه البخاري بلفظ: «ذروني»[٢]، والترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح، ورواه ابن بطة في الكبرى، واللالكائي، والهروي في ذم الكلام، وابن حبان في صحيحه، ورمز السيوطي لصحته في الجامع الصغير، وعزاه لأحمد ومسلم والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة، ورواه عبد الرزاق في المصنف.

الشرح : وهذا حديث صحيح، وهو قوله: **«اتركوني ما تركتكم»**[٣] أي: أنه ينبغي للناس ألا يسألوا عن أشياء يشددون بها على أنفسهم، كما فعلت بنو إسرائيل؛ فإن بني إسرائيل شددوا على أنفسهم، فقد أمرهم الله أن يذبحوا بقرة، ولو أخذوا أي بقرة فذبحوها لأجزأتهم، لكنهم شددوا فشدد الله عليهم.

---

(١) البخاري: الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٨)، ومسلم: الحج (١٣٣٧)، والترمذي: العلم (٢٦٧٩)، والنسائي: مناسك الحج (٢٦١٩)، وابن ماجه: المقدمة (٢)، وأحمد (٢/ ٢٤٧) .

(٢) البخاري: الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٨)، ومسلم: الحج (١٣٣٧)، والترمذي: العلم (٢٦٧٩)، والنسائي: مناسك الحج (٢٦١٩)، وابن ماجه: المقدمة (٢)، وأحمد (٢/ ٢٤٧) .

(٣) البخاري: الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٨)، ومسلم: الحج (١٣٣٧)، والترمذي: العلم (٢٦٧٩)، والنسائي: مناسك الحج (٢٦١٩)، وابن ماجه: المقدمة (٢)، وأحمد (٢/ ٢٤٧) .

قالوا: يا موسى ما ندري البقرة، أي بقرة هذه؟ لما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾[١] وهذا من تعنتهم ﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[٢] ثـــم ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾[٣] أي: هي بقرة وسط، ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة ﴿فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ﴾[٤] ولو أخذوا أي بقرة لأجزأتهم.

لكن شددوا، قالوا يا موسى ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا﴾[٥] فشددوا فشدد الله عليهم.

﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾[٦] ثم أيضا ما وقفوا عند هذا الحد ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ۝٧٠ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾[٧] شددوا فشدد الله عليهم، جاءت هذه الأوصاف فضيقت عليهم، فهم الذين شددوا على أنفسهم.

ولهذا قال النبي ﷺ: «اتركوني ما تركتكم»[٨] ولما قال النبي ﷺ: «إن الله أوجب عليكم الحج فحجوا» قام رجل فقال: يا رسول الله أكل عام؟

---

(١) سورة البقرة آية : ٦٧ .

(٢) سورة البقرة آية : ٦٧ .

(٣) سورة البقرة آية : ٦٨ .

(٤) سورة البقرة آية : ٦٨ .

(٥) سورة البقرة آية : ٦٩ .

(٦) سورة البقرة آية : ٦٩ .

(٧) سورة البقرة آية : ٧٠ - ٧١ .

(٨) البخاري: الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٨)، ومسلم: الحج (١٣٣٧)، والترمذي: العلم (٢٦٧٩)، والنسائي: مناسك الحج (٢٦١٩)، وابن ماجه: المقدمة (٢)، وأحمد (٢/ ٢٤٧) .

فسكت النبي ﷺ وقال: «لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت لما استطعتم»[١] فالحج مرة فمن زاد فهو تطوع.

هذه أمثلة لقوله: «اتركوني ما تركتكم»[٢] ولهذا كان الصحابة رضوان الله عليهم أعظم الناس أدبًا وتعظيمًا وتوقيرًا للنبي ﷺ؛ فكانوا - رضوان الله عليهم - لا يحدقون النظر فيه؛ إجلالًا له وهيبة - عليه الصلاة والسلام - .

وكانوا لا يسألونه، وكان يُعجبهم أن يأتي الرجل العاقل من البادية فيسأل؛ فيستمع الصحابة ويستفيدون من سؤاله.

ولما سكتوا مرة وقال: سلوني، سلوني، وهابوا، ولم يسألوه أرسل الله جبرائيل، فجاء جبرائيل في صورة رجل، شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يعرفه أحد من الصحابة، وتعجبوا من هذا الرجل! شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، وما يعرفونه! والعادة أن الرجل الغريب والمسافر تكون عليه آثار السفر، فيكون بثيابه تراب وغبار، وشعره متشعث؛ لأن الأسفار في ذلك الزمان ليست كالأسفار في زماننا، فقد كان السفر على الإبل، وعلى مسافات بعيدة؛ فلا بد أن يُرى أثر السفر على الغريب

«فجاء وجلس إلى النبي ﷺ وأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام. فقال النبي ﷺ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا». قال: صدقت؛ فعجبنا له - لأن هذا سؤال العارف - فقال: أخبرني عن الإيمان؟ فقال النبي ﷺ: «الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن

---

(١) مسلم: الحج (١٣٣٧)، والنسائي: مناسك الحج (٢٦١٩)، وأحمد (٢/٥٠٨).

(٢) البخاري: الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٨)، ومسلم: الحج (١٣٣٧)، والترمذي: العلم (٢٦٧٩)، والنسائي: مناسك الحج (٢٦١٩)، وابن ماجه: المقدمة (٢)، وأحمد (٢/٢٤٧).

بالقدر خيره وشره». قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». قال: صدقت، قال: أخبرني عن الساعة؟ قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل»، قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان»، ثم ذهب الرجل. فقال: «ردوه»؛ فذهبوا ليردوه فلم يروا أحدًا[(١)].

وفي رواية أنه قال: فلبثنا مليًا، فقال النبي ﷺ لعمر: «أتدري من السائل؟» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «هذا جبريل يعلمكم دينكم»[(٢)] وفي لفظ: «أمر دينكم»[(٣)].

فجعل ﷺ الإسلام والإيمان والإحسان دينًا؛ فهذا دليل على أن ديننا مبني على هذه المراتب: الإسلام والإيمان والإحسان. قال: «إنما جاء ليعلمكم أمر دينكم»[(٤)] لما هابوه - عليه الصلاة والسلام - ولم يسألوه، أرسل الله جبرائيل فسأل.

هذا يدل على أن الصحابة - رضوان الله عليهم - تأدبوا، ولا يسألون كثيرًا، فأرسل الله جبرائيل يسأل حتى يتعلموا.

وكان يأتي الرجل من البادية فيسأل، فيستفيدون؛ ولهذا قال: «اتركوني ما

---

(١) مسلم: الإيمان (٨)، والترمذي: الإيمان (٢٦١٠)، والنسائي: الإيمان وشرائعه (٤٩٩٠)، وأبو داود: السنة (٤٦٩٥)، وابن ماجه: المقدمة (٦٣)، وأحمد (١/ ٥٢).

(٢) البخاري: الإيمان (٥٠)، ومسلم: الإيمان (٩)، والنسائي: الإيمان وشرائعه (٤٩٩١)، وابن ماجه: المقدمة (٦٤)، وأحمد (٢/ ٤٢٦).

(٣) مسلم: الإيمان (٨)، والترمذي: الإيمان (٢٦١٠)، والنسائي: الإيمان وشرائعه (٤٩٩٠)، وأبو داود: السنة (٤٦٩٥)، وابن ماجه: المقدمة (٦٣)، وأحمد (١/ ٥١).

(٤) سنن النسائي: كتاب الإيمان وشرائعه (٤٩٩٠).

تركتكم»[1] خشية أن يسألوا شيئًا ليس لهم به علم، أو خشية أن يسألوا شيئًا يكون سببًا لتحريم شيء، أو خشية أن يشقوا على النبي ﷺ، أو يسألوا شيئًا وهو لا يريده؛ فلهذا تأدبوا، وعملوا بهذا الحديث «اتركوني ما تركتكم»[2].

۞ ۞ ۞

(١) البخاري: الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٨)، ومسلم: الحج (١٣٣٧)، والترمذي: العلم (٢٦٧٩)، والنسائي: مناسك الحج (٢٦١٩)، وابن ماجه: المقدمة (٢)، وأحمد (٢/ ٢٤٧).

(٢) البخاري: الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٨)، ومسلم: الحج (١٣٣٧)، والترمذي: العلم (٢٦٧٩)، والنسائي: مناسك الحج (٢٦١٩)، وابن ماجه: المقدمة (٢)، وأحمد (٢/ ٢٤٧).

حديث: أعظم المسلمين جرمًا من سأل عن أمر لم يُحرم

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ﷺ: «أعظم المسلمين جرمًا من سأل عن أمر لم يُحرم فُحرم من أجل مسألته»[١].

التخريج: رواه مسلم، وأبو داود، والحميدي في مسنده، وابن الجارود في المنتقى، والآجُرّيّ في الشريعة، وابن بطة في الكبرى من أربع طرق.

الشرح : قال الخطابي: هذا الحديث فيمن سأل تكلفًا أو تعنتًا، فيما لا حاجة به إليه، فأما من سأل لضرورة، بأن وقعت له مسألة فسأل عنها، فلا إثم عليه ولا عتب؛ لقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾[٢].

وهذا الحديث فيه تحريم السؤال بغير حاجة، وهو حديث صحيح رواه الإمام مسلم، وهو قوله ﷺ: **«أعظم المسلمين جرمًا** - يعني ذنبًا - **من سأل عن أمر لم يُحرم فحُرم من أجل مسألته»**[٣] بسبب تعنته. وكما قال الخطابي - رحمه الله - : السؤال الممنوع هو سؤال التكلف والتعنت.

النصوص التي فيها النهي عن السؤال محمولة على سؤال التكلف والتعنت، والإيذاء للمسئول، وسؤال الفرضيات، وما لم يقع. والنصوص التي فيها الأمر بالسؤال محمولة على السؤال للاسترشاد والاستفهام لشيء يحتاج إليه الإنسان.

---

(١) البخاري: الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٩)، ومسلم: الفضائل (٢٣٥٨)، وأبو داود: السنة (٤٦١٠)، وأحمد (١/ ١٧٩) .

(٢) سورة النحل آية : ٤٣ .

(٣) البخاري: الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٩)، ومسلم: الفضائل (٢٣٥٨)، وأبو داود: السنة (٤٦١٠)، وأحمد (١/ ١٧٦) .

حديث: من أحدث حدثًا أو آوى محدثًا

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ﷺ: «من أحدث حدثًا، أو آوى محدثًا، فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا»[1] فقالوا للحسن: ما الحدث؟ فقال: أصحاب الفتن كلهم محدِثون، وأهل الأهواء كلهم محدثون.

التخريج: رواه البخاري وأوله: «المدينة حرم، ما بين عير إلى كذا، فمن أحدث...»[2] وذكره، والترمذي في سننه باب النهي عن بيع الولاء وهبته.

الشرح : وهذا حديث ثابت، قول النبي ﷺ: **«المدينة حرم ما بين عير إلى ثور فمن أحدث فيها حدثًا، أو آوى محدثًا؛ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»**[3] المعروف في الحديث **«لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»**، **«ولعنة اللاعنين»** قد تكون جاءت في بعض الروايات، فقال: **«لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»**[4] هذا فيه التحريم من إحداث الحدث.

---

(1) البخاري: الحج (1870)، ومسلم: الحج (1370)، والترمذي: الولاء والهبة (2127)، وأبو داود: المناسك (2034)، وأحمد (1/ 81) .

(2) البخاري: الجزية (3172)، ومسلم: الحج (1370)، والترمذي: الولاء والهبة (2127)، والنسائي: القسامة (4734)، وأبو داود: المناسك (2034)، وأحمد (1/ 81) .

(3) البخاري: الفرائض (6755)، ومسلم: الحج (1370)، والترمذي: الولاء والهبة (2127)، وأبو داود: المناسك (2034)، وأحمد (1/ 81) .

(4) البخاري: الحج (1870)، ومسلم: الحج (1370)، والترمذي: الولاء والهبة (2127)، وأبو داود: المناسك (2034)، وأحمد (1/ 126) .

والحدث: البدعة والمعصية. قال: «فمن آوى محدثًا»[١] أي: مبتدعًا؛ ففيه التحذير من البدع، وإيواء المبتدعين. فمن فعل هذا فقد ارتكب كبيرة؛ ولهذا قال النبي - عليه الصلاة والسلام - : «**فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**»[٢].

والكبيرة: ما ترتب عليه حد في الدنيا، أو وعيد في الآخرة. كاللعن أو وعيد بالنار أو بالغضب، وقد وعد من فعل هذا باللعن، وهذا يدل على أنه كبيرة.

«**لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا**»[٣] قيل: المراد التوبة، أي لا تقبل توبته، وقيل: المراد بالصرف الفريضة، والعدل النافلة، وقيل: المراد بالعدل الفداء، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾[٤] يعني: لا يفتدي من عذاب الله بشيء.

(فقالوا للحسن: ما الحدث؟) هو الحسن البصري، سُئِل: ما الحدث؟ قال: أصحاب الفتن كلهم محدثون؛ أي: أهل البدع والأهواء كلهم محدثون. والمراد بالحدث: البدع والمعاصي. ففيه التحريم من البدع، وإيواء أهل البدع من الجهمية والرافضة والمعتزلة والخوارج والمرجئة؛ فكل هؤلاء مبتدعة.

❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري: الجزية (٣١٨٠)، ومسلم: الحج (١٣٧٠)، والترمذي: الولاء والهبة (٢١٢٧)، والنسائي: القسامة (٤٧٣٤)، وأبو داود: المناسك (٢٠٣٤)، وابن ماجه: الديات (٢٦٥٨)، وأحمد (١/ ٨١) .

(٢) البخاري: الحج (١٨٦٧)، ومسلم: الحج (١٣٦٦)، وأحمد (٣/ ١٩٩، ٣/ ٢٣٨، ٣/ ٢٤٢) .

(٣) البخاري: الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٣٠٠)، ومسلم: الحج (١٣٧٠)، والترمذي: الولاء والهبة (٢١٢٧)، والنسائي: القسامة (٤٧٣٤)، وأبو داود: المناسك (٢٠٣٤)، وأحمد (١/ ٨١) .

(٤) سورة الأنعام آية : ٧٠ .

حديث: كلاب النار أهل البدع

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ﷺ: «كلاب النار أهل البدع»[١].

التخريج: رواه أحمد، والدارقطني في الأفراد، كما في كنز العمال، واللالكائي، والآجُرّيّ من حديث أبي أمامة مرفوعًا، ورواه ابن ماجه من حديث عبد الله بن أبي أوفى وفي سنده الأزهر بن صالح، ورواه ابن ماجه بسند ضعيف في سننه باب ذكر الخوارج.

وذكره الذهبي في الواهيات وقال: تفرد به إسماعيل بن أبان ورُمي بالكذب. ورواه ابن الجوزي في تلبيس إبليس بلفظ: «**الخوارج كلاب أهل النار**» وقال محقق الكتاب: إن الأعمش لم يسمع بها من ابن أبي أوفى ورواه أبو طاهر السِّلَفي من حديث أبي أمامة بلفظ المصنف.

الشرح : وهذا الحديث في صحته نظر، والأقرب أنه لا يصح، وهو قوله ﷺ: «**كلاب أهل النار أهل البدع**» ولكن أهل البدع لا شك أنهم متوعَّدون كما تُوعِّد أهل الكبائر.

فإذا كان الزاني متوعَّدًا، والسارق متوعدًا، وشارب الخمر متوعدًا، وآكل مال اليتيم متوعدًا بالنار، فأهل البدع كذلك؛ لأن البدع أشد من المعصية. فهم متوعَّدون؛ لأنهم من أهل الكبائر، أما هذا الحديث فلا يصح.

لكن أهل البدع متوعدون؛ لأنهم ارتكبوا كبائر، وكبيرتهم أعظم من

---

(١) الترمذي: تفسير القرآن (٣٠٠٠)، وابن ماجه: المقدمة (١٧٦)، وأحمد (٥/ ٢٥٣) .

المعاصي. والكبائر التي تنشأ عن الشهوات: كالزنى، والسرقة، وشرب الخمر، وعقوق الوالدين، وقطيعة الرحم، وشهادة الزور، كل هذه كبائر، منشؤها الشهوات. وأما البدع منشؤها الشبهات، فهي أعظم وأشد.



حديث: من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ﷺ: «من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام»[١].

التخريج: أورده السيوطي في الجامع الصغير، وعزاه للطبراني ورمز لضعفه، وقال المناوي: ورواه أبو نعيم والبيهقي في الشعب. قال ابن الجوزي: موضوع. وقال الحافظ العراقي: وأسانيده كلها ضعيفة.

بل قال ابن الجوزي: إنها كلها موضوعة. ورواه السلفي من كلام الأوزاعي، وكذا رواه الهروي في ذم الكلام، ورواه أيضًا مرفوعًا من حديث عائشة - رضي الله تعالى عنها - .

الشرح : وهذا الحديث الأقرب أنه ليس بمرفوع، وأنه موقوف على بعض الصحابة أو بعض أهل العلم **«من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام»** والتوقير: معناه التعظيم.

فالحديث التحذير من توقير أهل البدع وتعظيمهم؛ لأن توقيرهم وتعظيمهم نشر لبدعتهم، وإظهار لشأنهم، والواجب الإنكار على أهل البدع، والتحذير من بدعهم، وعدم إظهار شأنهم، فإذا وقرهم وعظمهم وأجَلَّهم وبجَّلهم، فإنه

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧/ ٣٥) (٦٧٧٢) من حديث عروة عن عائشة رضي الله عنها، والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٦١) (٩٤٦٤) عن إبراهيم بن ميسرة، كنز العمال (١/ ٣٨٣) (١١٠٢)، السلسلة الضعيفة (٤/ ٣٤٠) (١٨٦٢).

يكون سببًا في نشر البدع واعتناقها، وسببًا في اختفاء السنن فإذا ظهرت البدعة اختفت السنة. فتوقير أصحاب البدع - لا شك - محرم، وأنه لا يجوز. أما هذا الحديث فلاِ يصح مرفوعًا. وإنما هو موقوف.



حديث: خط لنا رسول الله ﷺ يومًا خطًّا

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - : «خط لنا رسول الله ﷺ يومًا خطًّا؛ فقال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطًا عن يمين الخط ويساره وقال: هذه سُبل، على كل سبيل منه شيطان يدعو، ثم تلا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ (١) يعني الخطوط التي عن يمينه ويساره .

التخريج: رواه أحمد، والنسائي، والدارمي كما في المرعاة، ورواه محمد ابن نصر المروزي في السنة، ورواه المصنف في الكبرى من عِدة طرق.

الشرح : وهذا الحديث ثابت عن ابن مسعود رضي الله عنه وهو قوله: «خط لنا رسول الله ﷺ يومًا خطًّا مستقيمًا - في اللفظ الآخر «مستقيمًا» - فقال: هذا سبيل الله، ثم خط خطوطًا متعرجة عن يمينه وعن شماله وقال: «هذه سُبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم تلا الآية الكريمة: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢) ».

فالحديث فيه الحث على لزوم الطريق المستقيم، وهو ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هذا هو سبيل الله، فهو حبل الله، وهو دينه، وهو ما أمر به الله في كتابه، أو أمر به رسوله ﷺ وهو لزوم السنة.

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .

(٢) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .

فإن الخطوط المتعرجة عن يمينه وعن شماله هذه هي طرق أهل الضلال، وأهل البدع. ففي الحديث أيضًا التحذير من البدع والمعاصي، والحث على لزوم السنة، والاستقامة على شرع الله ودينه.

❁ ❁ ❁



حديث: إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم

قال المؤلف - رحمه الله - : وقالت عائشة - رضي الله تعالى عنها وأرضاها - : «تلا رسول الله ﷺ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾[1] قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا رأيتم الذين يجادلون فيه، فهم الذين عنى الله فاحذروهم» .

التخريج: رواه البخاري، ومسلم، وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه، والآجُرِّيّ والمصنف في الكبرى من سبع طرق، وابن أبي عاصم في السنة، واللالكائي، والهروي، والدارمي.

الشرح : والحديث ثابت في الصحيحين، وهو أن عائشة - رضي الله عنها - أخبرت عن النبي ﷺ أنه تلا هذه الآية من آل عمران، وهي قول الله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾[2] .

قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا رأيتم الذين يجادلون فيه - وفي

---

(١) سورة آل عمران آية : ٧ .

(٢) سورة آل عمران آية : ٧ .

لفظ «في آيات الله»- **فهم الذين عنى الله، فاحذروهم»** [١] وفي اللفظ الآخر: **«إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله، فاحذروهم»** [٢].

والحديث فيه: الحث على العمل بالمحكم، والإيمان بالمتشابه، ورد المتشابه إلى المحكم. والتحذير من طريق أهل الزيغ والضلال، وهو: العمل بالمتشابه وترك المحكم.

فإن طريقة أهل الحق وأهل الاستقامة والراسخين في العلم العمل بالمحكم. والمحكم: هو الواضح، البين المعنى، الذي لا لبس فيه. والمتشابه: هو الذي فيه اشتباه.

المحكم مثل: النصوص المحكمة الواضحة في إثبات العلو لله عز وجل، وأنها واضحة لا لبس فيها، تزيد على ثلاثة آلاف دليل من الكتاب ومن السنة ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [٣]، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [٤]، ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [٥]، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [٦]، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [٧]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [٨]، ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [٩].

---

(١) البخاري: تفسير القرآن (٤٥٤٧)، ومسلم: العلم (٢٦٦٥)، والترمذي: تفسير القرآن (٢٩٩٤)، وأبو داود: السنة (٤٥٩٨)، وابن ماجه: المقدمة (٤٧)، وأحمد (٦/ ٤٨)، والدارمي: المقدمة (١٤٥) .

(٢) البخاري: تفسير القرآن (٤٥٤٧)، ومسلم: العلم (٢٦٦٥)، والترمذي: تفسير القرآن (٢٩٩٤)، وأبو داود: السنة (٤٥٩٨)، وابن ماجه: المقدمة (٤٧)، وأحمد (٦/ ١٢٤)، والدارمي: المقدمة (١٤٥) .

(٣) سورة الأنعام آية : ١٨ .

(٤) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .

(٥) سورة الأعلى آية : ١ .

(٦) سورة الأعراف آية : ٥٤ .

(٧) سورة الملك آية : ١٦ .

(٨) سورة فاطر آية : ١٠ .

(٩) سورة المعارج آية : ٤ .

فهذه نصوص محكمة واضحة لا لبس فيها. فأهل الحق يعملون بالمحكم، ويردون المتشابه إلى المحكم؛ كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾(١) يعني: معبود في السماء، ومعبود في الأرض، وهو فوق العرش. هذه طريقة الراسخين في العلم، وهم أهل الحق.

أما طريقة أهل الزيغ: فتقوم على ترك النصوص المحكمة، والتعلق بالمتشابه، يترك ثلاثة آلاف نص، ويستدل بـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾(٢) ويقول: هذه الآية دليل على أن الله في الأرض، وأنه مختلط بالمخلوقات.

فعن عائشة أنها كانت تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا رأيتم الذين يجادلون فيه»(٣) وفي لفظ «الذين يتَّبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمى الله، فاحذروهم»(٤) سمى الله؛ أي: سماهم الله في قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾(٥).

لكن طريقة الراسخين في العلم: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(٦) آمنا بالمتشابه، ويردونه إلى المحكم، ويفسرونه به،

---

(١) سورة الزخرف آية : ٨٤ .

(٢) سورة الزخرف آية : ٨٤ .

(٣) البخاري: تفسير القرآن (٤٥٤٧)، ومسلم: العلم (٢٦٦٥)، والترمذي: تفسير القرآن (٢٩٩٤)، وأبو داود: السنة (٤٥٩٨)، وابن ماجه: المقدمة (٤٧)، وأحمد (٦/ ٤٨)، والدارمي: المقدمة (١٤٥) .

(٤) البخاري: تفسير القرآن (٤٥٤٧)، ومسلم: العلم (٢٦٦٥)، والترمذي: تفسير القرآن (٢٩٩٤)، وأبو داود: السنة (٤٥٩٨)، وابن ماجه: المقدمة (٤٧)، وأحمد (٦/ ٤٨)، والدارمي: المقدمة (١٤٥) .

(٥) سورة آل عمران آية : ٧ .

(٦) سورة آل عمران آية : ٧ .

ويعملون بالنصوص من الجانبين، ويضمون النصوص بعضها إلى بعض، ويعلمون أن نصوص الكتاب يصدق بعضها بعضًا، ونصوص السنة يصدق بعضها بعضًا، ولا تتناقض ولا تتعارض.

وهذا بخلاف أهل الزيغ، فإنهم يتعلقون بالمتشابه، ويتركون المحكم. - نسأل الله السلامة والعافية - وبهذا وقعت ووجدت الشبه والبدع؛ بسبب كون أهل البدع - من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والرافضة والخوارج والمرجئة وغيرهم - اتبعوا المتشابه، وتركوا المحكم، وعملوا ببعض النصوص، وتركوا البعض الآخر، فضلوا وأضلوا.

فالواجب الحذر من طريقتهم، والعمل بالنصوص المحكمة، ورد المتشابه إليها.



حديث: ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه، إلا أوتوا الجدل، ثم قرأ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[(١)] ».

التخريج: رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه، وابن أبي عاصم في السنة.

وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى سنن سعيد بن منصور وأحمد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان، ورواه الآجُرّيّ وفي سنده الحجاج بن دينار لا بأس به. وقد ذكره مسلم في مقدمته، وأبو غالب صدوق يخطئ، وباقي السند ثقات، ورواه المصنف في الكبرى، واللالكائي والهروي.

الشرح : فهذا الحديث لا بأس بسنده. رواه الترمذي بسند لا بأس به، ورواه الإمام مسلم في مقدمته، وهو قوله ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه، إلا أوتوا الجدل، ثم قرأ الآية الكريمة: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[(٢)] ».

وفيه التحذير من الجدال، وهذا الجدل اتصف به أهل البدع، من الجهمية

---

(١) سورة الزخرف آية : ٥٨ .

(٢) سورة الزخرف آية : ٥٨ .

والمعتزلة والأشاعرة والمرجئة والرافضة وغيرهم، يجادلون في النصوص، ويؤولونها ويحرفونها، ويجادلون أهل الحق.

ففي هذا الحديث تحذير من الجدل «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه، إلا أوتوا الجدل»[١] وهو يدل على أن من أوتي الجدل، وأعرض عن النصوص، فإنه ضال - نسأل الله السلامة والعافية -؛ فالواجب الحذر من الجدل، والعمل بالكتاب والسنة، وترك المراء والجدال.



(١) الترمذي: تفسير القرآن (٣٢٥٣)، وابن ماجه: المقدمة (٤٨).

حديث: المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر خمسين شهيدًا

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ﷺ: «المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر خمسين شهيدًا» .

التخريج: رواه الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الحلية، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وكذا في تخريجه للمشكاة.

الشرح : وهذا الحديث: «المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر خمسين شهيدًا» في الرواية المشهورة: «له أجر خمسين» بدون تقييده بـ «شهيدًا» . والحديث له شواهد، والأقرب أنه ثابت. وقد أثبته العلامة ابن القيم - رحمه الله - في «الكافية الشافية»، وقال: إن المتمسك بالسنة عند فساد الأمة له أجر خمسين.

وجاء في بعضها: قالوا: يا رسول الله منا أو منهم؟ قال: «منكم»[1] وفي لفظ: «القابض على دينه كالقابض على الجمر، والمتمسك بسنتي له أجر خمسين»، قالوا: يا رسول الله منا أو منهم؟ قال: «منكم؛ تجدون على الخير عونًا، ولا يجدون على الخير عونًا»[2] .

ولا يدل هذا على أن المتمسك بالسنة أفضل من الصحابة! بل المراد: له

---

(١) الترمذي: تفسير القرآن (٣٠٥٨) .

(٢) الترمذي: تفسير القرآن (٣٠٥٨) .

أجر خمسين في هذا الجانب، وفي هذه الخصلة، وهي: التمسك بالسنة، والعض عليها، مع كثرة الفساد ممن حوله، ولا يجد على الخير أعوانًا يعينونه؛ فلأجل ذلك صار له أجر خمسين. لكن ليس معنى ذلك أنه أفضل من الصحابة.

فالصحابة لهم مزايا متعددة؛ فمزية الصحبة لا يلحقهم فيها مَنْ بعدَهم إلى يوم القيامة، ومزية الجهاد في سبيل الله مع رسول الله ﷺ، ومزية تبليغ الشريعة وتبليغ الدين. فالصحابة لا يلحقهم من بعدهم.

والقاعدة: أن المزية الخاصة، أو الفضيلة الخاصة لا تقضي على الفضائل العامة؛ فهذه فضيلة خاصة، فالذي يتمسك بالسنة عند فساد الأمة في آخر الزمان، له أجر خمسين من الصحابة في هذا الجانب، في هذه المزية، وهذه الفضيلة الخاصة، وهو له أجر التمسك بالسنة، وهو أجر خمسين.

لكن الصحابة أفضل منه، فالمزية الخاصة لا تقضي على المزايا العامة.

ومن ذلك أيضًا ما جاء في الحديث الصحيح أن أول من يُكسى يوم القيامة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام؛ فالناس يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلًا، كما قال النبي - عليه الصلاة والسلام - : «وأول من يُكسى إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - »[(١)] فهذه مزية خاصة لإبراهيم - عليه الصلاة والسلام - .

ولكن نبينا - عليه الصلاة والسلام - وهو حفيده، أفضل من جده إبراهيم وهو يليه في المرتبة؛ ولهذا يتأخر عن الشفاعة يوم القيامة، ونبينا - صلى الله عليه وسلم - يتقدم في الشفاعة. فمزية الشفاعة العظمى - التي يغبطه فيها الأولون والآخرون - لنبينا محمد ﷺ، وإبراهيم له هذه المزية الخاصة، وهي أنه أول من يُكسى يوم القيامة.

---

(١) البخاري: أحاديث الأنبياء (٣٣٤٩)، ومسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٦٠)، والترمذي: صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٢٣)، والنسائي: الجنائز (٢٠٨٧)، وأحمد (١/ ٢٣٥).

وكذلك من المزايا الخاصة لموسى - عليه الصلاة والسلام - ما جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**إن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش**»[١] وفي لفظ: «**فإذا موسى باطش بقائمة من قوائم العرش**»[٢]، «**فلا أدري، أفاق قبلي أم جُوزي بالصعقة يوم الطور**»[٣].

فهذه منقبة ومزية لموسى - عليه السلام - وهو أنه إما أن يكون صعق، أو لم يصعق. فإن كان لم يصعق فهذه مزية له؛ لأن من الناس من صعق ومنهم النبي ﷺ وإن كان صعق وأفاق قبل النبي ﷺ فهي مزية، لكنها مزية خاصة، ونبينا ﷺ له مزايا أخرى كثيرة.

فالمقصود: أن هذا الحديث لا بأس بسنده، وله شواهد، وصححه العلامة ابن القيم - رحمه الله - في «**الكافية الشافية**» وغيره، ولكن ليس معناه أن المتمسك بالسنة أفضل من الصحابة إنما معناه - كما سبق - أنه مزية خاصة للمتمسك بالسنة.

وجاء في اللفظ الآخر وجه ذلك، قال: «**تجدون على الخير عونًا، ولا يجدون على الخير عونًا**» فالمتمسك بالسنة في آخر الزمان لا يجد عونًا، والصحابة يجدون عونًا؛ فلهذا صار له أجر الخمسين، وصارت له هذه المزية الخاصة.

وفيه الحث على التمسك بالسنة، ولزومها عند ظهور البدع والمنكرات،

---

(١) البخاري: الخصومات (٢٤١٢)، ومسلم: الفضائل (٢٣٧٤)، وأبو داود: السنة (٤٦٦٨)، وأحمد (٣/ ٣٣).

(٢) البخاري: الخصومات (٢٤١١)، ومسلم: الفضائل (٢٣٧٣)، والترمذي: تفسير القرآن (٣٢٤٥)، وأبو داود: السنة (٤٦٧١)، وأحمد (٢/ ٢٦٤).

(٣) البخاري: أحاديث الأنبياء (٣٣٩٨)، ومسلم: الفضائل (٢٣٧٤)، وأبو داود: السنة (٤٦٦٨)، وأحمد (٣/ ٣٣).

وفيه التحذير من البدع. وهذا وجه إتيان المصنف - رحمه الله - بهذا الأثر؛ ليحذر من البدع. فإن المتمسك بالسنة بعيد عن البدع، كالجهمية والمعتزلة والخوارج والرافضة فكل هؤلاء لم يتمسكوا بالسنة، فالواجب التمسك بالسنة، والحذر من البدع والمحدثات في الدين.



حديث: المتمسك بدينه عند فساد الناس كالقابض على الجمر

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ﷺ: «المتمسك بدينه عند فساد الناس كالقابض على الجمر» .

التخريج: رواه الترمذي بلفظ قريب منه وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه. وأشار ابن حجر الهيتمي إلى وجود شاهد له من حديث أبي أمامة.

الشرح : فلا بأس بسنده، والمعنى صحيح، فالمتمسك بالسنة عند فساد الزمان كالقابض على الجمر، وهذا واقع؛ لأنه يتحمل ويتصبر؛ لوجود الفساد ممن حوله، والفتن والبدع. فهو يتصبر ويتحمل، ويلزم السنة، ويصبر على الأذى الذي يصيبه، فهو كالقابض على الجمر. وفيه الحث على التمسك بالسنة، والتحذير من البدع والمحدثات في الدين.



حديث: المتمسك بدينه في الهرج كالمهاجر إلي

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ﷺ: «المتمسك بدينه في الهرج كالمهاجر إلي».

التخريج: رواه مسلم وابن ماجه بلفظ: «العبادة في الهرج...»[1] ورواه الآجُرّيّ، وعبد بن حميد في مسنده، والمصنف في الكبرى.

الشرح : والحديث لا بأس به، ورواه مسلم - رحمه الله - بلفظ «العبادة في الهرج كهجرة إلي»[2] والهرج: الاختلاط والفتن والحروب. ومن أشراط الساعة كثرة الفتن والاختلاط والقتال. فعند وجود الفتن، إذا تمسك الإنسان بالسنة فله أجر المهاجر إلى النبي ﷺ.

قوله: «المتمسك بدينه في الهرج» يعني: في القتال والفتن واختلاط الأمور، وخفاء الحق، وكثرة الاشتباه. فالمتمسك بالسنة في هذه الحالة كالمهاجر إلى الرسول ﷺ، والحديث صحيح لا بأس به. والهرج يعني: الاختلاط والفتن وخفاء السنة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه.

وفي الحديث الحث على التمسك بالسنة، والتحذير من البدع والمحدثات في الدين، والبعد عن الشبهات والمتشابهات.

---

(١) مسلم: الفتن وأشراط الساعة (٢٩٤٨)، والترمذي: الفتن (٢٢٠١)، وابن ماجه: الفتن (٣٩٨٥)، وأحمد (٥/ ٢٥) .

(٢) مسلم: الفتن وأشراط الساعة (٢٩٤٨)، والترمذي: الفتن (٢٢٠١)، وابن ماجه: الفتن (٣٩٨٥)، وأحمد (٥/ ٢٥) .

حديث: بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ﷺ: «بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء». قالوا: يا رسول الله من الغرباء؟ قال: «الذين إذا فسد الناس صلحوا»(١).

التخريج: رواه مسلم إلى قوله: «فطوبى للغرباء»(٢) فقط، والترمذي بلفظ قريب منه وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد، وابن وضاح في البدع والنهي عنها، ورواه ابن ماجه بلفظ: «قيل: من الغرباء؟ قال: «النزاع من القبائل»(٣) وكذا الدارمي في سننه، ورواه المصنف في الكبرى، ورواه ابن قتيبة في تأويل الحديث.

الشرح : وهذا الحديث صحيح، رواه الإمام مسلم في صحيحه، وهو قوله ﷺ: «بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا، فطوبى للغرباء»(٤) والمعنى: أن الإسلام بدأ غريبًا، فلم يدخل في الإسلام إلا القلائل. فالنبي ﷺ هو أول المسلمين من هذه الأمة؛ ولهذا قال: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾(٥)، ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾(٦) ثم أول من آمن به من الأحرار أبو بكر الصديق، ومن العبيد

---

(١) أحمد: أول مسند المدنيين رضي الله عنهم أجمعين (١٦٠٩٤) .
(٢) مسلم: الإيمان (١٤٥)، وابن ماجه: الفتن (٣٩٨٦)، وأحمد (٢/ ٣٨٩) .
(٣) الترمذي: الإيمان (٢٦٢٩)، وابن ماجه: الفتن (٣٩٨٨)، وأحمد (١/ ٣٩٨)، والدارمي: الرقاق (٢٧٥٥) .
(٤) مسلم: الإيمان (١٤٥)، وابن ماجه: الفتن (٣٩٨٦)، وأحمد (٢/ ٣٨٩) .
(٥) سورة الأنعام آية : ١٦٣ .
(٦) سورة الزمر آية : ١٢ .

والأرقاء بلال، ومن الصبيان علي بن أبي طالب، ومن النساء خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - ثم أسلم صهيب وعمار بن ياسر وجماعة.

فالإسلام بدأ غريبًا، ما اعتنقه إلا قلة، ثم انتشر الإسلام وكثر، وهاجر النبي ﷺ إلى المدينة، ثم لما فتح الله مكة على النبي ﷺ دخل الناس بعدها في دين الله أفواجًا.

وفي سَنَةِ تسع جاءت الوفود إلى النبي ﷺ - وفود القبائل - من جميع أنحاء بلاد العرب، حتى دخل الناس في دين الله أفواجًا، وانتشر الإسلام، ثم انتشر الإسلام وتوسع في زمن الخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم - .

وفي آخر الزمان يعود غريبًا كما بدأ، يخرج الناس من دين الله، ولا يبقى عليه إلا القلة القلائل.

قوله: «**بدأ الإسلام غريبًا**»(١) والغريب: هو الذي ليس معه أحد، وسُمي الغريب غريبًا في البلد؛ لأنه منفرد وحده من بين أهل البلد. فالناس بين أهليهم وأولادهم، وهذا منفرد غريب.

قوله: «**فطوبى للغرباء**»(٢) طوبى: اسم للجنة، أو شجرة في الجنة؛ ففيه وَعْد بالجنة والكرامة للغرباء، الذين يتمسكون بدين الإسلام، ويعضون عليه بالنواجذ، ويلزمونه، ويتمسكون بالسنة، ويبتعدون عن أهل البدع، وأهل الإشراك.

«**قالوا: يا رسول من الغرباء؟** - هذا في غير مسلم - قال: «**الذين إذا فسد الناس صلحوا**»(٣) وفي لفظ: «**الذين يصلُحون إذا فسد الناس**»(٤) هذا تفسير الغرباء: «**الذين يصلحون إذا فسد الناس**»(٥) وفي لفظ: «**الذين يُصلِحون**

---

(١) مسلم: الإيمان (١٤٥)، وابن ماجه: الفتن (٣٩٨٦)، وأحمد (٢/٣٨٩) .
(٢) مسلم: الإيمان (١٤٥)، وابن ماجه: الفتن (٣٩٨٦)، وأحمد (٢/٣٨٩) .
(٣) أحمد: أول مسند المدنيين رضي الله عنهم أجمعين (١٦٠٩٤) .
(٤) الترمذي: الإيمان (٢٦٣٠) .
(٥) الترمذي: الإيمان (٢٦٣٠) .

ما أفسد الناس»[١] وفي لفظ: «هم النزاع من القبائل»[٢] وفي لفظ: «هم قوم صالحون قليل، في قوم سوء كثير»[٣].

فهذه أربعة ألفاظ جاءت فيه:

اللفظ الأول: قيل: يا رسول الله من الغرباء؟ قال: «الذين يصلحون إذا فسد الناس»[٤] يعني: يصلُحون بأنفسهم، ويلزمون الحق، ويعضون عليه بالنواجذ، ويتمسكون بالسنة عند فساد الناس.

وفي اللفظ الآخر: «الذين يصلِحون ما أفسد الناس»[٥] يعني: دعاة صلُحوا بأنفسهم، ثم أصلحوا غيرهم. والمصلح لا بد أن يكون صالحًا في نفسه، لا يسمى مصلحًا إلا إذا صلح في نفسه.

فهذه اللفظة فيها زيادة معنى عن المعنى الأول، المعنى الأول: «يصلُحون إذا فسد الناس»[٦] فهم صالحون في أنفسهم.

أما اللفظة الثانية: «الذين يصلِحون ما أفسد الناس»[٧] يعني: دعاة إصلاح، يصلِحون ما أفسده الناس، يدعون إلى الله، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويدعون إلى السنة، ويحذرون من البدعة.

وفي لفظ: «هم النزاع من القبائل»[٨] من كل قبيلة واحد أو اثنين، يعني: تجد القبيلة كلها على البدعة، وعلى الفساد، وينزع منها واحد أو اثنان .

(١) الترمذي: الإيمان (٢٦٣٠) .

(٢) الترمذي: الإيمان (٢٦٢٩)، وابن ماجه: الفتن (٣٩٨٨)، وأحمد (١/ ٣٩٨)، والدارمي: الرقاق (٢٧٥٥) .

(٣) أحمد (٢/ ٢٢٢) .

(٤) أحمد (٤/ ٧٣) .

(٥) الترمذي: الإيمان (٢٦٣٠) .

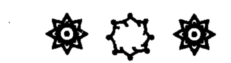
(٦) الترمذي: الإيمان (٢٦٣٠) .

(٧) الترمذي: الإيمان (٢٦٣٠) .

(٨) الترمذي: الإيمان (٢٦٢٩)، وابن ماجه: الفتن (٣٩٨٨)، وأحمد (١/ ٣٩٨)، والدارمي: الرقاق (٢٧٥٥) .

وفي اللفظ الرابع: «هم قوم صالحون قليل، في قوم سوء كثير»[1] قوم صلحوا بأنفسهم، قلة في مجتمع كثير فاسد.

هذا فيه الحث على التمسك بالسنة، التمسك بالدين في وقت غربته، وهذا حين عدم وجود من يعين عليه، يلزم الإنسانُ الحقَّ، ويتمسك بالسنة.



(١) أحمد (٢/ ٢٢٢).

حديث: الله الله في أصحابي
لا تتخذوهم غرضًا بعدي

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ﷺ: «الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضًا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك الله أن يأخذه»[١].

التخريج: رواه الترمذي وقال: حسن غريب. ورواه أحمد في فضائل الصحابة بلفظ: «اتقوا الله في أصحابي»، ورواه ابن حبان في صحيحه، وأورده السيوطي في الجامع الصغير، ورمز لحسنه، وقال شارحه - المناوي - : وفيه عبد الرحمن بن زياد، قال الذهبي لا يُعرف.

الشرح : والحديث لا بأس بسنده، وفيه الحث على تعظيم الصحابة وتقديرهم وإجلالهم واحترامهم، ومعرفة منزلتهم وسابقتهم وفضلهم، وإنزالهم منازلهم التي أنزلهم الله إياها، بالعدل والإنصاف، لا بالهوى والتعصب، والترضي عنهم، والحذر من عيبهم وتنقصهم.

ولهذا حذر النبي ﷺ في هذا الحديث بقوله: «الله الله في أصحابي»[٢] يعني: الزموا أصحابي، واعرفوا لهم فضلهم وسابقتهم ومكانتهم، وسبقهم إلى الإسلام، وجهادهم مع النبي ﷺ ونشرهم لدين الله.

---

(١) الترمذي: المناقب (٣٨٦٢)، وأحمد (٤/٨٧) .
(٢) الترمذي: المناقب (٣٨٦٢)، وأحمد (٤/٨٧) .

«لا تتخذوهم غرضًا»[١] الغرض: الهدف التي ترمى. أي لا تتخذوهم هدفًا ترمونهم. فالذي يسب الصحابة يجعلهم هدفًا؛ ولهذا قال النبي ﷺ: **«الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضًا بعدي»**[٢] يعني: لا تسبوهم ولا تعيبوهم ولا تنقصوهم، ولا تنكروا فضائلهم.

قوله: **«فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم»**[٣] يعني: من أحبهم فإنما أحبهم لمحبة النبي ﷺ لأنهم أصحابه ووزراؤه وأخلاؤه، والله لم يكن ليختار لنبيه إلا أفضل الناس. فهم خير الناس، لا كان ولا يكون بعدهم.

ومن أبغضهم فيلزم من ذلك أن يكون مبغضًا لرسول الله ﷺ **«ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم»**[٤] ما أبغضهم إلا لأنه يبغض الرسول ﷺ، فمن أحبهم فقد أحب النبي ﷺ، ومن أبغضهم فقد أبغض النبي ﷺ، ومن آذاهم فقد آذى النبي ﷺ، ومن آذى النبي ﷺ فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يؤخذ فيكون هالكًا.

ولا يلزم من الأذى لحوق الضرر، فالله تعالى لا يلحقه ضرر من خلقه، ولا يضره أحد من خلقه، كما في الحديث الآخر يقول الله عز وجل في الحديث القدسي: **«يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر»**[٥] هذا فيه أذية

---

(١) الترمذي: المناقب (٣٨٦٢)، وأحمد (٤/ ٨٧) .

(٢) الترمذي: المناقب (٣٨٦٢)، وأحمد (٤/ ٨٧) .

(٣) البخاري: المناقب (٣٧٨٣)، ومسلم: الإيمان (٧٥)، والترمذي: المناقب (٣٩٠٠)، وابن ماجه: المقدمة (١٦٣)، وأحمد (٤/ ٢٩٢) .

(٤) البخاري: المناقب (٣٧٨٣)، ومسلم: الإيمان (٧٥)، والترمذي: المناقب (٣٩٠٠)، وابن ماجه: المقدمة (١٦٣)، وأحمد (٤/ ٢٨٣) .

(٥) البخاري: تفسير القرآن (٤٨٢٦)، ومسلم: الألفاظ من الأدب وغيرها (٢٢٤٦)، وأبو داود: الأدب (٥٢٧٤)، وأحمد (٢/ ٢٣٨) .

لله، لكن لا يلزم من الأذية إلحاق الضرر، فالعباد لا يمكن أن يضروا الله سبحانه، إذ المخلوق لا يمكن أن يضر الخالق.

ولهذا قال الرب - سبحانه - في الحديث القدسي: «**يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضُري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني**»[1] فالعباد لا يضرون الله ولا ينفعونه، لا يلحقه ضرر ولا نفع من عباده، فدل هذا على: أنه لا يلزم من الأذى لحوق الضرر.

إذَن من أحب الصحابة فإنما أحبهم لحبه النبي ﷺ ومن أبغضهم فإنما أبغضهم لبغضه للنبي ﷺ، فمحبة الولي يلزم أن تحب وليه، وإن أبغضت شخصًا فلا بد أن تبغض صاحبه؛ ولهذا فإن من سب الصحابة فإنه يدل على غل وحقد في قلبه على الإسلام، ومن كفّر الصحابة أو فسّقهم فهو كافر؛ لأنه مكذب لله؛ لأن الله زكاهم وعدلهم.

ويضاف إلى هذا أيضًا أن من كفّر الصحابة وفسّقهم فقد طعن في دين الإسلام. فالصحابة هم الذين نقلوا إلينا الشريعة - القرآن والسنة -؛ فإذا كانوا كفارًا فكيف يوثق بدين نقله الكفار؟! فالطعن في الصحابة طعن في القرآن وفي السنة.

فالذي يقول: إن الصحابة كفروا أو فسقوا، هذا قد طعن في القرآن وفي السنة؛ لأنهم الذين بلغوا الدين.

فدل على أن تكفير الصحابة وتفسيقهم كفر وردة من جهتين: من جهة أنه مكذب لله؛ لأن الله زكاهم وعدلهم، ومن جهة أنه طعن في القرآن والسنة؛ لأن الذي نقله وحمله هم الصحابة ولا يوثَق بدين حمله كفار أو فساق.

وكذلك أيضًا من قال: إن القرآن فُقد ثلثاه ولم يبق إلا الثلث، وأنه يوجد مصحف لفاطمة يعادل المصحف الذي بين أيديكم ثلاث مرات؛ فهذا كفر

---

(١) مسلم: البر والصلة والآداب (٢٥٧٧) .

أيضًا؛ لأنه مكذب لله في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[١].

وكذلك من عبد آل البيت ودعاهم من دون الله، واستغاث بهم، فهذا كفر وردة، نسأل الله السلامة والعافية.

❁ ❁ ❁

(١) سورة الحجر آية : ٩ .

حديث: لا تسبوا أصحابي

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُد أحدهم ولا نصيفه»[(١)].

التخريج: رواه البخاري، ومسلم، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، ورواه أحمد في فضائل الصحابة، ورواه ابن حبان في صحيحه، وأبو داود.

الشرح : وهذا حديث عظيم، والحديث رواه الشيخان - البخاري ومسلم رحمهما الله - في كتابيهما، اللذيْن هما أصح الكتب بعد كتاب الله - عز جل - .

وللحديث سبب، وسبب الحديث أنه وقع شيء من الخلاف بين صحابيين جليلين: وهما عبد الرحمن بن عوف والثاني خالد بن الوليد، وقد كان عبد الرحمن بن عوف ممن أسلم قبل الفتح قبل صلح الحديبية، وخالد بن الوليد أسلم بعد صلح الحديبية.

وصلح الحديبية سماه الله فتحًا في قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[(٢)]؛ لأن بعد صلح الحديبية استقرت الأحوال. وعُقِد الصلح بين النبي ﷺ وبين المشركين، ووضعت الحرب أوزارها، وأمن الناس، وصار المشركون يأتون إلى المسلمين ويسمعون القرآن، فأسلم جم غفير.

---

(١) مسلم: فضائل الصحابة (٢٥٤٠)، وابن ماجه: المقدمة (١٦١) .

(٢) سورة الفتح آية : ١ .

وتفرغ النبي ﷺ لفتح خيبر، ثم نقض المشركون العهد بعد سنتين، فغزاهم النبي ﷺ وفتح مكة، فالله تعالى سماه فتحًا مبينًا؛ لما جاء عقبه من النصر.

وفتح مكة أيضًا فتحًا ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[1] وسماه الله فتحًا في قوله: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾[2] لا يستوي من أنفق ماله وجاهد في سبيل الله قبل صلح الحديبية، ومن أنفق وجاهد بعد الصلح.

فصلح الحديبية حد فاصل بين السابقين الأولين من المهاجرين ممن أسلم قبل صلح الحديبية، ومن أسلم بعد صلح الحديبية.

فالصحابة على مراتب، وأما الصحابة الذين أسلموا بعد فتح مكة يُسَمَّونَ الطلقاء، ومنهم أبو سفيان ومعاوية وابنه يزيد؛ فمراتب الصحابة إذًا ثلاثة: السابقون الأولون من الصحابة الذين أسلموا قبل صلح الحديبية، ثم يليهم من أسلم بعد الحديبية وقبل فتح مكة، ثم يليهم من أسلم يوم الفتح؛ ثلاث مراتب.

فعبد الرحمن بن عوف أسلم قبل صلح الحديبية؛ فهو من السابقين الأولين. وخالد بن الوليد أسلم بعد صلح الحديبية، فليس من السابقين الأولين.

فلما وقع الخلاف بين عبد الرحمن بن عوف وخالد بن الوليد وسَبَّ خالدٌ عبدَ الرحمن بن عوف؛ فنهى النبي ﷺ خالدًا عن سب عبد الرحمن وقال لخالد: **«لا تسبوا أصحابي»**[3] يعني: المتقدمين في الصحبة، وإن كان خالد من الصحابة.

«لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما

---

(١) سورة الفتح آية : ١ .

(٢) سورة الحديد آية : ١٠ .

(٣) مسلم: فضائل الصحابة (٢٥٤٠)، وابن ماجه: المقدمة (١٦١) .

بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»(١) فالنبي ﷺ ينهى من له صحبة أخرى أن يسب من له صحبة أولى، ويقول عليه الصلاة والسلام: إن خالد بن الوليد لو أنفق مثل أحد ذهبًا في سبيل الله، وأنفق عبد الرحمن بن عوف مدًا أو نصف المد، ما لحق خالد عبد الرحمن بن عوف؛ للتفاوت العظيم الذي بينهما.

والمد ملء كفي الرجل المعتدل. والصاع أربعة أمداد، والنصيف يعني: النصف.

فالنبي ﷺ يخاطب خالدًا يقول: لا تسبوا أصحابي المتقدمين، مَن لهم صحبة أولى. يخاطب مَن له صحبة أخرى.

قوله: **«لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده...»**(٢) أقسم ﷺ وهو الصادق وإن لم يقسم، لكن لتأكيد المقام. «فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم...»(٣) أيها المتأخرون في الصحبة «مثل أحد ذهبًا، ما بلغ مد أحدهم...»(٤) مد السابقين الأولين «ولا نصيفه»(٥).

فإذا كان هذا التفاضل بين الصحابة - بين السابقين الأولين، وبين من أسلم بعد صلح الحديبية - فكيف التفاضل بين من أسلم بعد صلح الحديبية، ومن أسلم يوم الفتح؟ وكيف التفاضل بين الصحابة ومَن بعدَ الصحابة ؟! لا يعلم إلا الله مقدار التفاضل.

فإذا كان النبي ﷺ يخاطب خالدًا ويقول: **«لا تسبوا أصحابي»**(٦) فلا

---

(١) مسلم: فضائل الصحابة (٢٥٤٠)، وابن ماجه: المقدمة (١٦١) .

(٢) مسلم: فضائل الصحابة (٢٥٤٠)، وابن ماجه: المقدمة (١٦١) .

(٣) مسلم: فضائل الصحابة (٢٥٤٠)، وابن ماجه: المقدمة (١٦١) .

(٤) البخاري: المناقب (٣٦٧٣)، ومسلم: فضائل الصحابة (٢٥٤١)، والترمذي: المناقب (٣٨٦١)، وأبو داود: السنة (٤٦٥٨)، وابن ماجه: المقدمة (١٦١)، وأحمد (٣/ ١١) .

(٥) البخاري: المناقب (٣٦٧٣)، ومسلم: فضائل الصحابة (٢٥٤١)، والترمذي: المناقب (٣٨٦١)، وأبو داود: السنة (٤٦٥٨)، وابن ماجه: المقدمة (١٦١)، وأحمد (٣/ ١١) .

(٦) مسلم: فضائل الصحابة (٢٥٤٠)، وابن ماجه: المقدمة (١٦١) .

يمكن أن تبلغ ما بلغوا، فكيف بمن جاء بعد الصحابة من التابعين ومَن بعدهم؟ فكيف بمن يسب الصحابة ؟! هذا يدل على أن الأمر عظيم، وأن سب الصحابة أمر جلل، أمر خطير، ليس بالأمر الهين.

وفي هذا الحديث التحذير من سب الصحابة، والواجب الترضي عنهم، وإنزالهم منازلهم، ومعرفة فضلهم وسابقتهم، وجهادهم مع النبي ﷺ وتبليغهم ونشرهم لدين الله عز وجل، والواجب تولِّيهم، والترحم عليهم، واعتقاد أنهم أفضل الناس، وأنهم خير الناس.

وأنهم أفضل الناس بعد الأنبياء، وأنه لا كان ولا يكون مثلهم، وأنه لا يمكن أن يبلغ منزلتهم أحد من بعدهم، وأن ما صدر منهم من هفوات فهم ما بين مجتهد مصيب له أجران، وبين مجتهد مخطئ له أجر، وخطؤه مغفور.

وما يُروى من الأخبار في حق الصحابة فكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في الواسطية: أن كثيرًا مما يروى في حق الصحابة كذب، لا أساس له من الصحة. هذا قسم، وقسم له أصل لكن زيد فيه ونقص. وقسم صحيح، والصحيح هم ما بين مجتهد مصيب له أجران، وما بين مجتهد مخطئ له أجر واحد.

ثم الذنوب المحققة التي تصدر من الصحابة فهناك أسباب للمغفرة، قد يغفر لأحدهم ما لا يغفر لغيره. فإذا كان الإنسان من سائر المسلمين يغفر له بالتوبة، أو يغفر له بشفاعة النبي ﷺ أو يغفر له بالحسنات، فالصحابة أولى. فالذنوب المحققة للصحابة قد يغفر لأحدهم بفضله، وجهاده مع النبي ﷺ وسابقته للإسلام.

وقد يغفر له بشفاعة النبي ﷺ التي هم أولى الناس بها، وقد يَمنُّ الله عليه بالتوبة، وقد يغفر له بالحسنات الماحية، أو المصائب. فكيف - بعد هذا - يأتي قوم في آخر الزمان، ويسبون الصحابة ويكفرونهم؟ نسأل الله السلامة والعافية.

حديث: يا معاذ أطع كل أمير وصل خلف كل إمام

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال معاذ قال لي النبي ﷺ: «يا معاذ أطع كل أمير، وصَلِّ خلف كل إمام، ولا تسبن أحدًا من أصحابي»(١).

التخريج: رواه الطبراني في المعجم الكبير، ومكحول لم يسمع من معاذ، وأحمد في فضائل الصحابة.

الشرح : وهذا حديث ضعيف؛ لانقطاع السند - يعني منقطع - ولكن المعنى صحيح، وهو أنه يجب على الإنسان أن يطيع أميره، لكن في طاعة الله عز وجل، يقول النبي ﷺ: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله. ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني**»(٢).

والمراد: في طاعة الله؛ جمعًا بين النصوص؛ لقول النبي ﷺ في الحديث الآخر: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»(٣) ولقوله - عليه الصلاة والسلام - : «**إنما الطاعة في المعروف**»(٤) فالمعنى: «**أطع كل أمير**» يعني: في طاعة الله عز وجل.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ١٧٣) (٣٧٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٨٥) (١٦٥٤٦)، والهيثمي في المجمع (٢/ ٢١٠) (٢٣٣٩)، والسلسلة الضعيفة (٦/ ٢٩٦) (٢٧٩٥)..

(٢) البخاري: الجهاد والسير (٢٩٥٧)، ومسلم: الإمارة (١٨٣٥)، والنسائي: البيعة (٤١٩٣)، وابن ماجه: الجهاد (٢٨٥٩)، وأحمد (٢/ ٢٧٠) .

(٣) البخاري: المغازي (٤٣٤٠)، ومسلم: الإمارة (١٨٤٠)، والنسائي: البيعة (٤٢٠٥)، وأبو داود: الجهاد (٢٦٢٥)، وأحمد (١/ ٩٤) .

(٤) البخاري: الأحكام (٧١٤٥)، ومسلم: الإمارة (١٨٤٠)، وأبو داود: الجهاد (٢٦٢٥)، وأحمد (١/ ٨٢) .

قوله: «وصل خلف كل إمام» يعني: المراد كل إمام مسلم، أما الإمام الكافر لا يصح أن تصلي خلفه بالإجماع. «ولا تسبن أحدًا من الصحابة» وهذا ما دلت عليه النصوص، فالحديث وإن كان ضعيفًا، إلا أن معناه صحيح.



حديث: إن أمتك مفتونة بعدك بقليل غير كثير

قال المؤلف - رحمه الله - : ووضع رسول الله ﷺ يده على لحية عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - ثم قال: «يا عمر، إنا لله، وإنا إليه راجعون. قال عمر: قلت: نعم - بأبي وأمي يا رسول الله - إنا لله وإنا إليه راجعون، وما ذاك؟ قال: إن جبريل أتاني آنفًا، فقال: يا محمد، إنا لله، وإنا إليه راجعون، إن أمتك مفتونة بعدك بقليل غير كثير. قلت: يا جبريل، أفتنة ضلال؟ أم فتنة كفر؟ قال: كلٌّ سيكون. قلت: كيف يضلون أو يكفرون وأنا مخلِّف بين أظهرهم كتاب الله؟! قال: بكتاب الله يضلون، يتأوله كل قوم على ما يهوون، فيضلون به»[(١)].

التخريج: أخرجه الدارمي عن معاذ بن جبل أنه قال: «يُفتح القرآن على الناس، حتى يقرأه المرأة والصبي والرجل، فيقول الرجل: قد قرأت القرآن فلم أتَّبع. إلى قوله: والله لآتينهم بحديث

---

(١) كنز العمال (١١/ ٢٢٦)(٣١٠١٠)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ١١٩)، السلسلة الضعيفة (١١/ ٥٠٠)(٥٤٩٨)..

لا يجدونه في كتاب الله، ولم يسمعوه عن رسول الله؛ لعلي أُتَّبع»[١]. ورواه عبد الرزاق في المصنف بسند صحيح.

الشرح : وهذا الحديث فيه اختلاف، أخذه الدارمي عن معاذ بن جبل بلفظ آخر مقارب له، والمعنى صحيح، وهو أنه حصلت فتنة الضلال والكفر؛ وذلك بسبب عدم الإيمان بالقرآن، أو تأويله على غير تأويله، ومن ذلك ما فعله أهل البدع؛ لأنهم يتأولون القرآن على غير تأويله.

حتى إن بعض أهل البدع - والعياذ بالله - تأولوا قول الله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾[٢] قالوا: «الجبت والطاغوت: أبو بكر وعمر»، وقالوا: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾[٣] فسروا البحرين بفاطمة وعلي ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾[٤] وفسروا اللؤلؤ والمرجان: الحسن والحسين.

وهكذا ضل قوم في تأويل القرآن على غير تأويله. نسأل الله السلامة والعافية!!

---

(١) الدارمي: المقدمة (١٩٩).
(٢) سورة النساء آية : ٥١ .
(٣) سورة الرحمن آية : ١٩ - ٢٠ .
(٤) سورة الرحمن آية : ٢٢ .

والحديث فيه التحذير من تأويل القرآن على غير تأويله، والتحذير من الشبهات والمشبهين، وضلالات المضلين، وبدع المبتدعين. فالواجب على المسلم أن يحذر من أهل البدع، والخوارج والجهمية والمعتزلة والرافضة والمرجئة وغيرهم.



حديث: مثل أصحابي مثل الملح في الطعام

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال الحسن: قال النبي ﷺ: «مثل أصحابي مثل المِلْح في الطعام» ثم قال: «هيهات ذهب ملح القوم» .

التخريج: رواه البخاري بلفظ قريب منه، وراوه عبد الرزاق في مصنفه، بسند منقطع.

وعن سمرة أن رسول الله ﷺ كان يقول لنا: «إنكم توشكون أن تكونوا في الناس كالملح في الطعام، ولا يصلح الطعام إلا بالملح». رواه البزار، والطبراني، وإسناد الطبراني حسن.

الشرح : وهذا الحديث رواه البخاري في صحيحه، قوله: حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد الرحمن بن سليمان بن حنظلة بن الغسيل حدثنا عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: **خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه بملحفة قد عصب بعصابة دسماء، حتى جلس على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فإن الناس يكثرون، ويقل الأنصار، حتى يكونوا في الناس بمنزلة الملح في الطعام، فمن ولي منكم شيئًا يضر فيه قومًا، وينفع فيه آخرين، فليقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم». فكان آخر مجلس جلس به النبي ﷺ**[1] .

وهذا فيه الحث على الإحسان للأنصار ومعرفة منزلتهم وفضلهم، وفيه

---

(١) البخاري: المناقب (٣٦٢٨)، وأحمد (١/ ٢٨٩) .

دليل على أن الأنصار يقلون ويكثر الناس، حتى يكونوا في الناس بمنزلة الملح في الطعام. كما أن الملح الآن بالنسبة للطعام قليل، فكذلك الأنصار يقلون في آخر الزمان.

والحديث فيه علم من أعلام النبوة، حيث وقعت كما أخبر. وفيه الحث على احترام الصحابة وتقديرهم وتبجيلهم، وإنزالهم منازلهم، والإحسان إليهم. ومن الإحسان إليهم: الترضي عنهم، وتوليهم، ومعرفة فضلهم وسابقتهم ومنزلتهم، وإنزالهم منازلهم التي أنزلهم الله إياها بالعدل والإنصاف لا بالهوى والتعصب.

وفيه التحذير من سبهم وإيذائهم، وتنقصهم وعيبهم؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «من ولي منكم شيئًا، يضر فيه قومًا وينفع فيه آخرين، فليقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم»[1].



(١) البخاري: المناقب (٣٦٢٨)، وأحمد (١/ ٢٨٩).

حديث: دخل ﷺ المسجد ومعه أبو بكر عن يمينه وعمر عن يساره

(قال المؤلف - رحمه الله - : «ودخل ﷺ المسجد، ومعه أبو بكر عن يمينه، وعمر عن يساره، وقال: هكذا نبعث يوم القيامة، وهكذا ندخل الجنة»[١] .

التخريج: رواه الترمذي بدون الجملة الأخيرة منه، وقال: حديث غريب. ورواه ابن ماجه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه خالد بن يزيد العمري، وهو كذاب. ورواه الحاكم، وضعف سنده الذهبي، ورمز السيوطي لضعفه في الجامع الصغير.

الشرح : وهذا الحديث - وإن لم يصح - معناه صحيح، فإن أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - هما وزيرا النبي ﷺ في الدنيا، وضجيعاه في القبر، وهما معه يوم القيامة.

وفيه الحث على معرفة مكانة الشيخين - أبي بكر وعمر - ومنزلتهما العظيمة، والترضي عنهما، وتوليهما، والحذر من سبهما، وتنقصهم وعيبهما، حتى رُوي عن الإمام أحمد أنه قال: «من سب الشيخين، فقد كفر». وإن لم يسب بقية الصحابة، نسأل الله السلامة والعافية!!

❁ ❁ ❁

(١) الترمذي: المناقب (٣٦٦٩)، وابن ماجه: المقدمة (٩٩) .

حديث: ما من نبي إلا وله وزيران

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ﷺ: «ما من نبي إلا وله وزيران من أهل السماء، ووزيران من أهل الأرض؛ فأما وزيراي من أهل السماء، فجبريل وميكائيل؛ وأما وزيراي من أهل الأرض، فأبو بكر وعمر رضي الله عنهما»[١].

التخريج: تفرد به الترمذي في المناقب - مناقب الصديق - وقال: حديث حسن غريب. وضعفه الألباني في تخريج المشكاة، ورواه الطبراني وأبو نعيم في الحلية بلفظ قريب منه، وقال الهيثمي: في سند الطبراني محمد بن مجيب الثقفي، وهو كذاب. ورواه البزار، وفيه عبد الرحمن بن مالك بن - مغول بالغين المعجمة - وهو كذاب. ورواه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي في المستدرك.

الشرح : والحديث - وإن اختلفوا في تصحيحه وتضعيفه - معناه صحيح. حتى لو لم يصح فالمعنى صحيح. فلا شك أن الشيخين - أبا بكر وعمر - هما وزيرا النبي ﷺ وهما ضجيعاه في القبر، وهما معه يوم القيامة.

فالواجب الترضي عنهما، ومعرفة سابقتهما، وفضلهما ومنزلتهما، وتوليهما، والحذر من عيبهما وتنقصهم، والتحذير ممن فعل ذلك. وأن الذي يسبهما ويتنقصهما ويعيبهما، هذا لمرض في قلبه، ونفاق في قلبه. نسأل الله السلامة والعافية!!

---

(١) الترمذي: المناقب (٣٦٨٠) .

فمن كان قلبه صحيحًا سليمًا، فلا يمكن أن يسب الشيخين، أو يعيبهما. فمن عاب الشيخين، أو تنقصهما أو سبهما، فهو لمرض ونفاق في قلبه. نسأل الله السلامة والعافية.



حديث: لا تستقر محبة الأربعة إلا في قلب مؤمن تقي

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ﷺ: «لا تستقر محبة الأربعة إلا في قلب مؤمن تقي، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم»[١].

التخريج: جاء في سنن أبي داود حديث: «خير الصحابة أربعة...»[٢] وذكرهم. ورواه أيضًا الترمذي والحاكم، وجاء في العلل المتناهية لابن الجوزي حديث: «ما أحب أبا بكر وعمر إلا مؤمن تقي» وقال: هذا حديث لا يصح.

الشرح : وهذا الحديث - وإن لم يصح - معناه صحيح؛ فلا شك أن من أحب الخلفاء الأربعة، فهذا يدل على إيمانه؛ ومن أبغضهم أو تنقصهم أو عابهم فذلك لنفاق في قلبه، ومرض في قلبه. نسأل الله السلامة والعافية!!

---

(١) مسند عبد بن حميد (١/٤٢٦) (١٤٦٤) عن أبي هريرة ، كنز العمال (١٣/٢٢٣) (٣٦٧٣٥) عن أنس رضي الله عنه، كشف الخفا (٣١٠٨)، حلية الأولياء (٥/٢٠٣)، كلهم بلفظ: « لا يجتمع حب هؤلاء الأربعة ... إلخ ».

(٢) الترمذي: السير (١٥٥٥)، وأبو داود: الجهاد (٢٦١١)، والدارمي: السير (٢٤٣٨).

فالخلفاء الراشدون هم أفضل الناس، وهم أفضل الصحابة - رضوان الله عليهم - وترتيبهم في الأفضلية كترتيبهم في الخلافة: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي.



حديث: إن الله افترض عليكم حب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ﷺ: «إن الله افترض عليكم حب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي - رضي الله عنهم - كما افترض عليكم الصلاة والصيام والحج؛ فمن أبغض واحدًا منهم، أدخله الله النار»[(١)].

التخريج: ذكر الذهبي في «الواهيات» حديثًا هو: **«حب أبي بكر وشكرُه واجب على أمتي»** وفيه عمر بن إبراهيم الكردي وضَّاع. وأورده السيوطي في الجامع الكبير، وعزاه للحاكم في تاريخه، وأبي نعيم في فضائل الصحابة، والخرائطي، والديلمي من حديث سهل بن سعد، وقال الدارقطني: تفرد به عمر بن إبراهيم الكردي، وهو ذاهب الحديث.

وهذا الحديث - وإن لم يصح - معناه صحيح أيضًا، وأنه يجب على المسلم أن يترضى عن الخلفاء الراشدين، وعن الصحابة جميعًا، وفي مقدمتهم

(١) مختصر تاريخ دمشق (١/ ٢١٨٥) من حديث ابن عمر .

الخلفاء الراشدون. يجب الترضي عنهم وتوليهم، ومعرفة منزلتهم وفضلهم وسابقتهم، والحذر من تنقُّصهم وعيبهم، وأن تنقصَهم وعيبهم وذمهم وسبهم مرض ونفاق في القلب. نسأل الله السلامة والعافية!!



حديث: من سب أصحابي فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين

قال المؤلف - رحمه الله - : قال ﷺ: «من سب أصحابي، فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين».

التخريج: رواه الطبراني من حديث ابن عباس، وصحح الألباني سنده في الجامع الصغير، وعزاه السيوطي في الجامع الكبير إلى أبي نعيم، ورواه أحمد في فضائل الصحابة، وقد ضعف الهيثمي رواية ابن عباس عند الطبراني.

الشرح : وهذا الحديث فيه التحذير من سب الصحابة، ولا شك أن سب الصحابة من كبائر الذنوب؛ ومَن سبَّ الصحابة إن كان سبهم لدينهم، فهذا كفر وردة بإجماع المسلمين؛ وإن كان سبهم لغيظ في نفسه، فهو فسق، والفاسق متوعد باللعنة، يقول ﷺ: «**عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين**»[(١)] وهذا يدل على فسق من تُوُعِّد بالنار أو اللعنة أو الغضب.

فهذا الحديث صحيح المعنى، فمن سب الصحابة فهو إما كافر وإما فاسق؛ فإن كان سبهم لدينهم، فهو كافر، وإن كان سبهم لأشخاصهم وذواتهم فهو فاسق. أما إذا كفَّر الصحابة وفسّقهم، فهذه ردة.

وهناك فرق بين السب وبين التكفير؛ فالذي يكفر الصحابة كافر؛ لأنه مكذب لله؛ لأن الله زكّاهم؛ وأما الذي يسبهم؛ أي: يعيبهم ويتنقصهم

---

(١) الطبراني في الكبير (١٢/ ١٤٢) (١٢٧٠٩)، مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٤٠٥) (٣٢٤١٧)، والهيثمي في المجمع (٩/ ٧٤٧) (١٦٤٢٦)، كنز العمال (١١/ ٧٤٨) (٣٢٤٧٧)، صحيح الجامع (٦٢٨٥).

ويذمهم؛ فإن كان سبهم لدينهم فهذا كفر وردة؛ وإن كان سبهم لغيظ في نفسه، فهو فاسق. نسأل الله السلامة والعافية. كما حقق ذلك الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في «**الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ**».



حديث: لا تسبوا أصحابي

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فإنه يجيء قوم في آخر الزمان يسبون أصحابي، فلا تصلُّوا عليهم، ولا تصلوا معهم، ولا تناكحوهم، ولا تجالسوهم؛ وإن مرضوا، فلا تعودوهم»(١).

التخريج: الجملة الأولى منه «لا تسبوا أصحابي»(٢) تقدم تخريجها، وذكره السيوطي بتمامه في الجامع الكبير وعزاه للخطيب، والعسكري من رواية أنس، وقال الذهبي: هو منكر جدًّا.

الشرح: يقول: «لا تسبوا أصحابي»(٣) هذه ثابتة؛ أما بقية الحديث، فقد لا تثبت، لكن معناه صحيح، فالذي يسبّ الصحابة لدينهم لا يصلَّى عليه؛ لكفره وضلاله، ولا يصلَّى معه، ولا يزوَّج،

(١) كنز العمال (١١/ ٧٧٠) (٣٢٥٤٢).

(٢) مسلم: فضائل الصحابة (٢٥٤٠)؛ وابن ماجه: المقدمة (١٦١).

(٣) مسلم: فضائل الصحابة (٢٥٤٠)؛ وابن ماجه: المقدمة (١٦١).

ولا يجالَس، ولا يُعاد إذا مرض؛ لكفره وضلاله. أما الذي يسبهم لشيء في نفسه، فإنه يكون فاسقًا. نسأل الله العافية!!

❁ ❁ ❁



أثر: لا تسبوا أصحاب محمد

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - : «لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ فإن الله قد أمرنا بالاستغفار لهم، وهو يعلم أن سيقتتلون» .

التخريج: ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «الصارم المسلول» ، وعزاه للإمام أحمد.

الشرح : وهذا صحيح، اعتمده شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وهو إمام في الحديث، وإمام في السنة، وإمام في الدعوة إلى معتقد السلف الصالح، فلا يجوز للإنسان أن يسبهم، فإن الله أمر بالاستغفار لهم، وهو يعلم أنهم سيقتتلون.

فالقتال الذي حصل بين علي ومعاوية وبين الصحابة إنما نشأ عن اجتهاد، لا عن هوى، ولا عن تعصب. فهم ما بين مجتهد مصيب له أجران، وبين مجتهد مخطئ له أجر. وهذا كما قال العلماء: هذه الدماء، والقتال الذي حصل بينهم، نزه الله أيدينا عنها، فيجب أن ننزه ألسنتنا عنهم.

ويجب الترضي عنهم، والسكوت عما شجر بينهم، واعتقاد سابقتهم وفضلهم، وأن لهم من الحسنات والجهاد مع النبي ﷺ والسبق إلى الإسلام، وصحبة النبي - صلى الله عليه وسلم - ونشر دين الإسلام وتبليغه - ما يغطي ما صدر منهم من هفوات، هكذا يجب على المسلم.

❊ ❊ ❊

أثر: أمروا بالاستغفار لأصحاب محمد فسبوهم

قال المؤلف - رحمه الله - : وقالت عائشة - رضي الله تعالى عنها - : «أُمروا بالاستغفار لأصحاب محمد فسبوهم»[١].

التخريج: رواه أحمد في فضائل الصحابة، ورواه مسلم في صحيحه، ورواه الطبراني في الأوسط، وفي سنده إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر ضعيف.

الشرح : وهذا واقع في كثير من الطوائف المنحرفة الذين أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم؛ فخالفوا كتاب الله، والأمر بالاستغفار في قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[٢].



---

(١) مسلم: التفسير (٣٠٢٢) .

(٢) سورة الحشر آية : ١٠ .

أثر: أي سماء تظلني

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال أبو بكر - رضي الله تعالى عنه - : «أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني، إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم؟!».

التخريج: أخرجه أبو عبيد في فضائله، وعبد بن حميد عن إبراهيم التيمي. قال: سئل أبو بكر عن قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾[١] فقال: أي سماء... وذكره.

وذكره الذهبي في التذكرة عن الزهري، وذكره البغوي في شرح السنة بدون سند، وقال محققه: أخرجه الطبري من طريق أبي معمر عن أبي بكر وهو منقطع. كما حكم أيضًا على سند أبي عبيد بالانقطاع. وقد سبقه إلى هذا الحكم الحافظ ابن حجر في فتح الباري، وذكر أن عبد بن حميد رواه من طريقين، وبذلك يتقوى سنده. والله أعلم.

الشرح : كما صح عن عمر - رضي الله تعالى عنه - أنه سئل عن هذه الآية السابقة ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾[٢] فقال: نهينا عن التكلف. رواه البخاري.

وهذا الأثر ثابت عن أبي بكر رضي الله عنه أنه لما سئل عن هذه الآية ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾[٣] أشكل عليه معنى الأَبّ، فقال: «أي سماء تظلني، وأي

---

(١) سورة عبس آية : ٣١ .
(٢) سورة عبس آية : ٣١ .
(٣) سورة عبس آية : ٣١ .

أرض تقلني، إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم؟!» وفي لفظ: «برأيي» أو «ما لا أعلم» . وهذا يدل على ورع الصديق رضي الله عنه؛ فكيف يأتي بعض الناس بعد ذلك ويسبونه، وهو الورع الصدِّيق الفاضل، صاحب النبي ﷺ في الغار ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[1] فهو صاحبه الخاص، وهو أفضل الناس بعد الأنبياء - رضي الله عنه وأرضاه - فمن سبه، فإنما سبه لمرض في قلبه. نسأل الله السلامة والعافية.



(١) سورة التوبة آية : ٤٠ .

أثر: السنة حبل الله المتين

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال أبو بكر الصديق - رضي الله تعالى عنه - : «السنة حبل الله المتين؛ فمن تركها، فقد قطع حبله من الله»

الشرح : وهذا معنى صحيح، لا شك أن السنة حبل الله المتين؛ لأن السنة تفسر القرآن وتوضحه، وتبين مجمله، وتخصص عامه، وتأتي بأحكام جديدة. . .

فمن أنكر السنة ولم يعمل بها؛ فقد كفر؛ إذ ليس في القرآن كل شيء، فالسنة جاءت تفصل ما في القرآن؛ ففي القرآن مثلًا الأمر بالصلاة، لكن ليس في القرآن أن صلاة الظهر أربع ركعات، والعصر أربع ركعات، والمغرب ثلاث ركعات، والعشاء أربع ركعات، والفجر ركعتان، فهذا نجده في السنة.

وكذلك أيضًا جاء في القرآن وجوب الزكاة، لكن لم يأت في القرآن شرط الحول، وبيان نصب الزكاة، وأيضًا جاء في القرآن وجوب الحج، لكن ليس فيه تفصيل المناسك، وأنه يجب على الإنسان أن يطوف بالبيت سبعة أشواط، ويسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط، ويبيت في منى ويقف في عرفة ومزدلفة، فكل هذا جاء في السنة. فمن ترك السنة وأنكرها، أو ترك العمل بها، فقد كفر. نسأل الله السلامة والعافية.

وفي الحديث: **«ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»**[1]. جاء في الحديث

---

(١) أبو داود: السنة (٤٦٠٤) .

الآخر «لا ألفين رجلًا يجلس على أريكته شبعان، يقول: بيني وبينكم كتاب الله، ما وجدناه في كتاب الله أحللنا حلاله، وحرمنا حرامه، ومن لم نجده، يعني لا نعمل به»[١]، والله تعالى يقول: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[٢].

ومن زعم أنه يعمل بالقرآن ويترك السنة، فقد كذب الله في قوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[٣] وقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[٤] والمعنى صحيح، ولو لم يصح الحديث.

❁ ❁ ❁

(١) الترمذي: العلم (٢٦٦٤)؛ وأبو داود: السنة (٤٦٠٤)؛ وابن ماجه: الْمُقَدِّمَة (١٢).
(٢) سورة النساء آية : ٥٩ .
(٣) سورة النساء آية : ٥٩ .
(٤) سورة الحشر آية : ٧ .

أثر: أصحاب الرأي أعداء السنن

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - : «أصحاب الرأي أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، وتفلتت منهم فلم يعوها، وقالوا بالرأي، فضلوا وأضلوا».

التخريج: رواه اللالكائي في شرح «أصول اعتقاد أهل السنة»، والهروي في «ذم الكلام»، وذكره السيوطي في «مفتاح الجنة بالاحتجاج بالسنة»، وعزاه أيضًا للبيهقي ابن حجر في «فتح الباري».

الشرح : وهذا الأثر صحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو مشهور، وأيضًا هو واقع أن أصحاب الرأي هم أعداء السنن، فأصحاب الرأي المجرد الذين هم أصحاب الهوى هم أعداء السنن، تركوا السنن وعملوا بآرائهم وأهوائهم وشهواتهم؛ ولهذا قال: «أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، وتفلتت منهم فلم يعوها، فقالوا بالرأي، فضلوا وأضلوا»؛ لأن الأحاديث تقيدهم وتمنعهم من العمل بآرائهم وشهواتهم، فأعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، وتفلتت منهم فلم يعوها لهوى في نفوسهم؛ فلذلك قالوا بالرأي وتركوا السنن، فضلوا وأضلوا، ضلوا بأنفسهم، وأضلوا غيرهم.

ففيه التحذير من الآراء والأهواء والبدع، والأمر بلزوم السنة، والتحذير من البدع، ومن الإصغاء لأهل البدع من الجهمية والمعتزلة والرافضة والخوارج والمرجئة وغيرهم.

❁ ❁ ❁

أثر: القرآن كلام الله عز وجل فلا تحرفوه إلى غيره

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال عمر - رضي الله تعالى عنه -: «القرآن كلام الله عز وجل فلا تحرفوه إلى غيره».

الشرح : وهذا لا شك أن معناه صحيح، قال عمر - رضي الله عنه - : القرآن كلام الله عز وجل، فلا تحرفوه إلى غيره. حتى ولو لم يصح، فإن معناه صحيح، ولا شك أن القرآن كلام الله، وهذا بإجماع أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله، ودلت على ذلك نصوص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قال الله - تعالى - : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾(١).

فالقرآن كلام الله عز وجل، فلا يجوز لأحد أن يحرفه إلى غيره، وهذا فيه التحذير من أهل البدع؛ لأنهم هم الذين حرفوا القرآن وأولوه على غير تأويله، فالواجب البعد عن أهل البدع، والحذر من أهوائهم وتحريفهم وضلالهم، والواجب لزوم السنة، والعمل بما جاء في الكتاب والسنة، والعض على السنة ومعتقد أهل السنة في النوازل.

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة التوبة آية : ٦ .

أثر: إن الله عز وجل لم يأمر عباده إلا بما ينفعهم

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال عمر - رضي الله تعالى عنه -: **إن الله عز وجل لم يأمر عباده إلا بما ينفعهم، ولم ينههم إلا عما يضرهم.**

الشرح : وهذا المعنى صحيح، ولا شك في هذا؛ فالله تعالى حكيم في تشريعه، فقد خلق الخلق لحكمة عظيمة؛ ليعبدوه ويوحدوه وليعرفوه بأسمائه وصفاته، ولم يأمرهم سبحانه إلا بما ينفعهم في دينهم ودنياهم، ولم ينههم إلا عن شيء يضرهم في دينهم ودنياهم؛ وإذا كان كذلك، وجب العمل بكتاب الله وسنة رسوله، ووجب الحذر من البدع والمحدثات في الدين.



أثر: الباطل فيما وافق النفس

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال عثمان - رضي الله تعالى عنه - : الباطل فيما وافق النفس، وإن رأيت أن لله عز وجل فيه طاعة.

الشرح : لا شك أن هذا الأثر معناه صحيح؛ إذ الباطل ما وافق النفس - يعني وخالف النصوص - وإن رأى في نفسه أن هذا فيه طاعة؛ لأن هذا الرأي إنما هو بالرأي المجرد، حتى ولو زعم الإنسان أن فيما وافق النفس لله فيه طاعة، فهذا باطل؛ إذ الحق هو ما جاء فيه النص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والباطل إنما يكون فيما وافق النفس وخالف النصوص، وهذا فيه التحذير من البدع والمحدثات في الدين، والتحذير من أهل البدع والإصغاء إلى شبههم وبدعهم.

❁ ❁ ❁

أثر: الهوى يصد عن الحق

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال علي - رضي الله عنه -: الهوى يصد عن الحق.

الشرح : وهذا صحيح؛ فالهوى يصد عن الحق ويعمي؛ لأن كون الإنسان يعمل بهواه وما تمليه عليه نفسه وإن خالف النصوص، فلا شك أنه يصد عن الحق، ويعمي القلب؛ فالواجب الحذر من الهوى والرأي والبدع، والعمل بالكتاب والسنة.



أثر: الهوى عند من خالف السنة حق

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال علي - رضي الله تعالى عنه -: الهوى عند من خالف السنة حق، وإن ضربت فيه عنقه.

الشرح : وهذا المعنى صحيح، ولو لم يصح، فالهوى عند من خالف السنة حق؛ لأنه يعمل بهواه، ويرى أنه على الحق، وبعضهم يستمر على باطله حتى ولو ضربت عنقه. ففيه التحذير من الهوى والبدع والمحدثات في الدين.



أثر: لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - : لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض.

الشرح : وهذا نهي دلت عليه النصوص، وأن الواجب على المسلم أن يعمل بكتاب الله ويعمل بمحكمه، ويؤمن بمتشابهه، ويرد المتشابه إلى المحكم، ولا يجوز للإنسان أن يضرب كتاب الله بعضه ببعض، وكذلك السنة لا يجوز للإنسان أن يضرب نصوص السنة بعضها ببعض؛ لأن هذه طريقة أهل الزيغ، فإن النصوص يصدق بعضها بعضًا، ويوافق بعضها بعضًا من الكتاب ومن السنة، ويؤيد بعضها بعضًا، وينصر بعضها بعضًا، فالمتشابه يرد إلى المحكم.

أما أهل الزيغ وأهل الضلال وأهل البدع، فإنهم يضربون النصوص بعضها ببعض، ويضربون كتاب الله بعضه ببعض، والواجب البعد عن مسلكهم، والحذر من طريقتهم، ولزوم السنة، والبعد عن أهل البدع وأعمالهم وأخلاقهم.



أثر: جلد عمر صبيغًا التميمي في مساءلته من حروف القرآن

قال المؤلف - رحمه الله - : وجلد عمر رضي الله عنه صبيغًا التميمي في مساءلته من حروف القرآن. .

التخريج: أخرجه الدارمي في سننه، والهروي في «ذم الكلام» والهروي: هو أبو إسماعيل الهروي الحنبلي الصوفي المعروف، له كتاب «**منازل السائرين بين إياك نعبد وإياك نستعين**»، وشرحه ابن القيم - رحمه الله - في كتاب «**مدارج السالكين**»، وابن وضاح في البدع والنهي عنها.

الشرح : وهذا من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه تحذير من الشقاق والجدال وما يؤدي إليه، لما أكثر صبيغ من مساءلته في حروف من القرآن أدبه عمر رضي الله عنه وجلده.

وهذا فيه دليل على ذم أهل الكلام، فالذين يشقشقون الكلام، ويكثرون المسائل، ويحرفون النصوص على غير تأويلها، يزجرون ويردعون ويؤدبون من قبل ولاة الأمور، وهذا يدل على ذم عملهم، وأن هذه هي طريقة أهل البدع، فالبدع إنما نشأت من هذا؛ أي: كثرة المساءلات في حروف القرآن، وتشقيق الكلام، والأخذ والرد.

فلما رأى عمر رضي الله عنه هذا الرجل وهو صبيغ التميمي يكثر من المساءلة في حروف القرآن، جلده زجرًا له وردعًا لأمثاله، حتى لا يتجرأ أحد على الكلام في كتاب الله عز وجل وإكثار المسائل ومخالفة ما جاءت به النصوص من كثرة المسائل، إلا فيما لا بد منه، فإن هذا يولد الشبه

والشكوك، وبهذا نشأت البدع؛ ولهذا جلد عمر رضي الله عنه هذا الرجل، فهذا الأثر فيه دليل على أن أهل البدع يستحقون الزجر والردع والتأديب من قبل ولاة الأمور.



أثر: إذا سمعت الله عز وجل يقول كذا وكذا فأصغ لها سمعك

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - : «إذا سمعت الله عز وجل يقول كذا وكذا، فأصغ لها سمعك، فإنما هو خير تؤمر به، أو شر تنهى عنه».

التخريج: رواه ابن أبي حاتم في تفسيره، وفي لفظ عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: إذا سمعت الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[1] فأرع لها سمعك، فإنه خير تؤمر به، أو شر تنهى عنه.

الشرح : وهذا دليل على أنه يجب على المسلم أن يمتثل أوامر الله، وأن يجتنب نواهيه، وأن يعمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأن يحذر مما خالف النصوص.

وفي هذا تحذير لأهل البدع الذين يتجاوزون كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولهذا قال ابن مسعود: عليك أن تلزم كتاب الله، وأن تمتثل الأوامر، وتجتنب النواهي، وأن ترعي سمعك للأوامر والنواهي؛ فإذا سمعت الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[2]، فأرع لها سمعك، وأصغ لها، وتأمل وتدبر، ثم امتثل للأوامر، واجتنب النواهي، ولا تتجاوز هذا إلى ما يحدث الشكوك والشبه، فهي رد لأهل البدع وأهل الشبه الذين تجاوزوا النصوص والأوامر والنواهي إلى الشبه والشكوك، فأورثتهم اعتناق البدع وإحداث في الدين ما ليس منه.

---

(١) سورة البقرة آية : ١٠٤ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٠٤ .

أثر: القرآن كلام الله عز وجل فمن قال فيه شيئًا فإنما يتقوله على الله

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - : «القرآن كلام الله عز وجل؛ فمن قال فيه شيئًا، فإنما يتقوله على الله عز وجل».

الشرح : القرآن كلام الله عز وجل، وهذا واضح من النصوص، كما قال الله عز وجل ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾(١) فالقرآن كلام الله بإجماع الصحابة والتابعين والأئمة والعلماء؛ فمن قال فيه شيئًا، فإنما يتقوله على الله عز وجل، كما قال بعض أهل البدع: القرآن مخلوق.

فهذا كفر؛ ولهذا قال كثير من الأئمة: من قال: كلام الله مخلوق، أو من قال: القرآن مخلوق، فهو كافر. على وجه العموم.

كما قال بذلك الأئمة: الإمام أحمد والبخاري وجماعة: من قال: القرآن مخلوق؛ فهو كافر.

أما الشخص المعين إذا كان من أهل القبلة، فلا يكفر حتى تقوم عليه الحجة، بأن توجد الشروط وتنتفي الموانع؛ إذ يقول المقالة الكفرية التي تعطى ما تستحقها.



---

(١) سورة التوبة آية : ٦ .

أثر: من ترك السنة كفر

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - : «من ترك السنة كفر».

التخريج: رواه عبد بن حميد في مسنده بتمامه ولفظه: «صلاة السفر ركعتان، من خالف السنة كفر»، وابن عبد البر في جامع بيان العلم...

الشرح : وهذا فيه تشديد على من خالف السنة، فابن عمر - رضي الله عنهما - لما سئل عن صلاة السفر، قال: صلاة الحضر أربع ركعات، وصلاة السفر ركعتان؛ من ترك السنة كفر.

فهذا من باب التشديد والتغليظ على من خالف السنة، وليس المراد أنه يكفر كفرًا يخرج من الملة، بل هذا يكون كفرًا عمليًا، إلا إذا كان الشيء الذي عمله شركًا في العبادة، أو ناقضًا من نواقض الإسلام، ولكن مراد ابن عمر رضي الله عنه التشديد والتغليظ على من خالف السنة وترك السنة، وأن هذا من الأعمال الكفرية.

وفيه التحذير من البدع والمحدثات في الدين، فإن أهل البدع تركوا السنة وأحدثوا في دين الله ما ليس منه، فيشملهم هذا التغليظ من الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .



أثر: السنة إنما سنها من علم من جاء في خلافها من الزلل

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال عمر بن عبد العزيز: السنة إنما سنها من علم من جاء في خلافها من الزلل، ولهم كانوا على المنازعة والجدل أقدر منكم.

التخريج: رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى من طريقين، ورواه ابن وضاح.

الشرح : هذه المقالة من عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد العادل الذي ضمه كثير من أهل العلم إلى الخلفاء الراشدين الأربعة، وهو أول من أمر بكتابة السنة وجمعها.

يقول - رحمه الله ورضي عنه - : السنة إنما سنها من علم ما جاء في خلافها من الزلل. فالسنة سنها رسول الله ﷺ بوحي من الله.

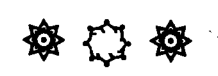
فالسنة وحي ثان، كما قال الله - تعالى - عن نبيه الكريم: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (١) الذي سنها يعلم ما في خلافها من الزلل؛ فيجب على المسلم أن يعمل بالسنة، وأن يحذر مخالفة السنة؛ لئلا يزل.

وإنهم كانوا على المنازعة والجدل أكثر منكم؛ أي: السلف والصحابة كانوا أقدر على المنازعة والجدل ممن جاء بعدهم، لكنهم يعلمون ما في المنازعة والجدل من العاقبة الوخيمة، ومن مخالفة النصوص التي جاءت بالتحذير من النزاع والجدل، ويعلمون ما في المنازعة والجدال من الشكوك

---

(١) سورة النجم آية : ٣ - ٤ .

والشبه التي تورث البدع؛ ولهذا تركوا المنازعة والجدل ولزموا السنة؛ ولمَّا لم يتورع المتأخرون عن المنازعة والجدال، وقعوا في الشكوك والشبه، وحدثت البدع.



أثر: إن الله لم يجعل في هذه الأهواء شيئًا من الخير

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال رجل لابن عباس - رضي الله عنهما - : الحمد لله الذي جعل هوانا على هواكم، فقال ابن عباس: إن الله لم يجعل في هذه الأهواء شيئًا من الخير، وإنما سمي هوى؛ لأنه يهوي بصاحبه في النار.

التخريج: رواه اللالكائي، والهروي في ذم الكلام.

الشرح : وهذا الأثر من كلام ابن عباس رضي الله عنهما وفيه التحذير من البدع، لما قال رجل لابن عباس: الحمد لله الذي جعل هوانا على هواكم، يعني: جعلنا نهوى ما تهوونه، إما يقصد الصحابة أو أهل البيت أننا نوافقكم فيما تهوونه من العمل بالسنة والكتاب، لكن ابن عباس زجره عن كلمة الهوى؛ لأن الهوى معناه البدع، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن الله لم يجعل في هذه الأهواء شيئًا من الخير، والمراد بالأهواء البدع، وإنما يعني البدعة سميت هوى؛ لأنه يهوي بصاحبه في النار.

فأراد ابن عباس - رضي الله عنهما - أن يحذر هذا الرجل من كلمة الهوى، وإن كان صاحبها لا يقصد البدعة، لكن لما عبر بكلمة الهوى، والهوى المراد به البدعة، زجره ابن عباس، وبين أن البدع ليس فيها شيء من الخير؛ ولهذا قال ابن عباس: إن الله لم يجعل في هذه الأهواء شيئًا من الخير. يعني البدع، فالمراد بالأهواء البدع، وإنما سمي هوى؛ لأنه يهوي بصاحبه في النار.

فأراد ابن عباس أن يعبر بتعبير آخر، يعني لو قال: الحمد لله الذي جعلنا متبعين للسنة مثلكم، أو نوافقكم في اتباع السنة، كان أولى من أن يعبر بكلمة الهوى، فلما عبر بكلمة الهوى، وهي كلمة يراد بها البدع، بين ابن عباس أن الهوى ليس فيه شيء من الخير.

والهوى هو: أن يبتدع الإنسان في شيء في دين الله، أو أن يفعل المعاصي بهواه وشهوته؛ ولهذا قال الله تعالى لنبيه داود - عليه الصلاة والسلام -: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾(١).

فالهوى شر، والأهواء هي البدع والمعاصي، وسميت هوى؛ لأنها توافق رغبة الإنسان وشهوته في ترك النصوص، والميل إلى البدع والمعاصي.

❁ ❁ ❁

(١) سورة ص آية : ٢٦ .

أثر: إنما سمي هوى لأنه يهوي بصاحبه في النار

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال الحسن، ومجاهد، وأبو العالية: إنما سمي هوى؛ لأنه يهوي بصاحبه في النار.

التخريج: رواه اللالكائي عن الشافعي، والدارمي في سننه، والهروي، وذكره الشاطبي في الاعتصام عن مالك، وقال: خرجه ابن وهب.

الشرح : وهذا الكلام من هؤلاء العلماء التابعين، وهم من أجلاء التابعين، الحسن البصري، ومجاهد بن جبر العالم الجليل الذي يروي التفسير عن ابن عباس - رضي الله عنهما - فيقول: عرضت المصحف على ابن عباس من ألفه إلى خاتمته، أقفه عند كل آية، وأسأله عنها؛ ولهذا قال العلماء: إذا جاءك التفسير عن مجاهد، فحسبك به.

وأبو العالية الرياحي أيضًا التابعي الجليل، والحسن البصري العالم المشهور هؤلاء العلماء من التابعين قالوا: إنما سمي هوى؛ لأنه يهوي بصاحبه في النار، فالبدع والمعاصي إنما سميت هوى؛ لأنها تهوي بصاحبها في النار؛ لأن المعاصي والبدع بريد للكفر، توصل إلى الكفر؛ ولأن صاحب الكبيرة متوعد بالنار، سواء كانت هذه الكبيرة بدعة أو معصية فصاحبها متوعد بالنار؛ ولهذا قالوا: إنما سمي هوى؛ لأنه يهوي بصاحبه في النار.

فالواجب على المسلم أن يحذر من اتباع الهوى، قال الله - تعالى - لنبيه داود: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[1] فالهوى يضل عن سبيل الله؛

---

(١) سورة ص آية : ٢٦ .

ولهذا قال العلماء: الهوى يعمي ويصم، يعمي عن الحق فلا ينظر إليه الإنسان، ويصم عن الحق فلا يسمع الحق، ويبكم عن الحق فلا يتكلم بالحق بسبب الهوى؛ ولهذا قال الله - سبحانه - : ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾(١).

ثم النتيجة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾(٢) فالواجب الحذر من الهوى، ويدخل في الهوى البدع والكبائر.

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة ص آية : ٢٦ .

(٢) سورة ص آية : ٢٦ .

أثر: ما من داء أشد من هوى خالط قلبًا

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال الحسن: ما من داء أشد من هوى خالط قلبًا.

التخريج: أخرجه الهروي في ذم الكلام. ورواه في الكبرى بمعناه عن ابن عباس.

الشرح : وهذه مقالة أخرى للحسن البصري - رحمه الله - قال: ما من داء أشد من هوى خالط قلبًا. والداء المقصود: داء من الأدواء المعنوية، وليس المراد الحسية، فالداء الحسي: هو المرض الذي يصيب الجسد، والداء المعنوي: هو داء القلوب.

إذا خالط الهوى القلب هذا داء شديد، ومرض يمرض القلب، وقد يوصله إلى الكفر؛ لأن المعاصي بريد الكفر، والبدع أشد من الكبائر، فما من داء أشد من هوى خالط قلبًا؛ فإذا خالط القلب الهوى، فإنه يمرضه؛ لأنه يتبع هواه ويترك النصوص، وقد يوصله إلى الكفر.

فالواجب الحذر من الهوى، وما وجدت البدع إلا من الهوى، بدعة الجهمية، وبدعة الخوارج، وبدعة المعتزلة، وبدعة الرافضة، وبدعة المرجئة وغيرهم من أهل البدع إنما نشأت من اتباع الهوى، اتبعوا أهواءهم، وأعرضوا عن النصوص، فحدثت البدع.

والهوى قد يكون ناشئًا عن شبهة، وقد يكون ناشئًا عن شهوة، فالهوى الناشئ عن شبهة هو هذه البدع التي تكون في القلوب والاعتقادات، وهي البدع التي تنشأ من الشبهات، وأما التي تنشأ عن الشهوات، فهي هذه

المعاصي والكبائر، كالزنى، وشرب الخمر، وعقوق الوالدين، وقطيعة الرحم، والتعامل بالربا، هذا ناشئ عن الهوى الذي يحمل على الشهوة؛ أما بدعة الجهمية والخوارج والمعتزلة والرافضة، هذا ناشئ عن الهوى الذي نشأ من الشبهة.



أثر: إياكم وأصحاب الخصومات

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال أبو قِلابة: إياكم وأصحاب الخصومات، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم بعض ما تعرفون.

التخريج: رواه الآجري في «الشريعة» بسند صحيح، ورواه البيهقي في الاعتقاد، ورواه الدارمي في سننه، واللالكائي، والهروي، وذكره البغوي في شرح السنة، وعزاه الشاطبي في الاعتصام لابن وهب، ورواه ابن البنا في كتابه «الرد على المبتدعة».

الشرح : وهذا الأثر - أيضًا - من كلام أبي قلابة التابعي تحذير من أصحاب الخصومات والجدال، الذين يخاصمون ويجادلون في دين الله على غير بصيرة، هؤلاء هم أهل البدع، فما نشأت البدع إلا من الخصومات، فالجهمية خاصموا في نصوص الكتاب، وكذلك المعتزلة والأشاعرة والرافضة؛ فكلهم أصحاب خصومات.

فالواجب الحذر منهم؛ ولهذا حذرنا أبو قلابة - رحمه الله - فقال: إياكم وأصحاب الخصومات، يعني الذين يخاصمون في دين الله على غير بصيرة فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم؛ ولذلك يقول: إذا خاصمتموهم قد يلبسون عليكم، وقد تشتبه عليكم الأمور فتضلون كما ضلوا؛ ولهذا قال: فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم بعض ما تعرفون.

يشوشون عليكم ما تعرفونه مما هو مستقر في نفوسكم، مما تعتقدونه مما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فمع الخصومة والجدال يلبسون عليكم بعض ما تعرفون، فتحصل الشكوك والشبه، فيزل الإنسان ويضل ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أثر: ما خاصم ورع قط

قال المؤلف - رحمه الله - : وكره عطاء وطاوس ومجاهد والشعبي وإبراهيم أن يفتوا في شيء من الخصومات، وقالوا: الخصومات محق الدين، وقالوا: ما خاصم ورع قط.

الشرح : وهؤلاء أيضًا التابعون الأجلاء - رحمهم الله ورضي عنهم - كرهوا الفتيا في الخصومات، وهو طاوس بن كيسان اليماني التابعي الجليل، وعطاء بن أبي رباح، ومجاهد بن جبر، والشعبي، وإبراهيم النخعي، هؤلاء كرهوا الفتيا في شيء من الخصومات، وقالوا: الخصومات محق الدين؛ أي: إذا وقع في المسألة خصومات وجدال، سكتوا؛ لأن الذين يخاصمون ويجادلون لا يريدون الحق في الغالب، فالذي يريد الحق هو الذي يسأل ويستفسر ليعلم الحق، وهذا لا يكون مجادلًا، وإنما يسأل عما لا يعلمه فيفتيه العالم، كما قال الله - تعالى - : ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

أما هؤلاء المخاصمون والمجادلون، فإنهم لا يريدون الحق في الغالب، وبالتالي تكون الفتيا في هذه الحالة في غير محلها؛ ولهذا أفتى هؤلاء التابعون بكراهة الفتيا في شيء من الخصومات، وقالوا: إذا وجدت الخصومات والجدال نشأ عنها الشبه والشكوك. ولهذا قالوا: الخصومات محق للدين. وقالوا: ما خاصم ورع قط.

---

(١) سورة النحل آية : ٤٣ .

الورع الذي يحجزه ورعه ويمنعه من الخصومات والنزاع والشقاق والجدال، فإذا بلغ الحال إلى الخصومات والجدال والنزاع، فالواجب على الإنسان أن يمسك، أما إذا كان الجدال لإظهار الحق ورد الباطل بالتي هي أحسن، بالنصوص الواضحة، فلا إشكال فيه؛ قال الله - تعالى - : ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾(١) قال سبحانه: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾(٢).

وجاء في النصوص النهي عن الخصومات والجدال. والجمع بينهما أن النصوص التي فيها الأمر بالجدال المراد بها الجدال، لإظهار الحق ورد الباطل، وأما النصوص التي فيها النهي عن الجدال؛ فالمراد بها الجدال بالباطل، فالجدال بالباطل منهي عنه؛ وأما الجدال بالتي هي أحسن لإظهار الحق لإحقاق الحق ورد الباطل فمأمور به.



(١) سورة النحل آية : ١٢٥ .

(٢) سورة العنكبوت آية : ٤٦ .

أثر: أحدثك عن رسول الله وتحدثني عن صحفك لا أكلمك أبدا

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال عمران بن الحصين الحياء من الإيمان، فقال رجل عنده: في الحكمة مكتوب: إن من الحياء ضعفًا، ومنه وقارًا. فقال عمران: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتحدثني عن صحفك، لا أكلمك أبدًا.

التخريج: رواه البخاري وأبو داود.

الشرح : وهذا رواه البخاري في صحيحه عن عمران بن حصين رضي الله عنه يحدث عن النبي ﷺ أنه قال: «**الحياء من الإيمان**»[١].

وهذا ثابت في الحديث الصحيح من حديث أبي هريرة الذي رواه البخاري ومسلم وهو قول النبي ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»[٢]. رواه مسلم بلفظ: «**الإيمان بضع وسبعون**»[٣]. وفي رواية البخاري «**الإيمان بضع**

---

(١) البخاري: الإيمان (٢٤)؛ ومسلم: الإيمان (٣٦)؛ والترمذي: الإيمان (٢٦١٥)؛ والنسائي: الإيمان وشرائعه (٥٠٣٣)؛ وأبو داود: الأدب (٤٧٩٥)؛ وأحمد (٢/ ٩)؛ ومالك: الجامع (١٦٧٩) .

(٢) البخاري: الإيمان (٩)؛ ومسلم: الإيمان (٣٥)؛ والترمذي: الإيمان (٢٦١٤)؛ والنسائي: الإيمان وشرائعه (٥٠٠٥)؛ وأبو داود: السنة (٤٦٧٦)؛ وابن ماجه: المقدمة (٥٧)؛ وأحمد (٢/ ٤١٤) .

(٣) البخاري: الإيمان (٩)؛ ومسلم: الإيمان (٣٥)؛ والترمذي: الإيمان (٢٦١٤)؛ والنسائي: الإيمان وشرائعه (٥٠٠٥)؛ وأبو داود: السنة (٤٦٧٦)؛ وابن ماجه: المقدمة (٥٧)؛ وأحمد (٢/ ٤١٤) .

وستون شعبة»[1].

فدل هذا الحديث على أن العمل داخل في مسمى الإيمان، فمثّل للشعبة القولية بكلمة التوحيد، والشعبة العملية بإماطة الأذى عن الطريق، وللشعبة القلبية بالحياء؛ فلما روى عمران بن الحصين هذا الحديث، اعترض رجل عنده في المجلس؛ فقال: إن في الحكمة مكتوبًا إن من الحياء ضعفًا، ومنه وقارًا. يعني: إن الحياء ينقسم إلى قسمين: قسم ضعف، وقسم وقار، فأنكر عليه عمران بن حصين على هذا الرجل أشد الإنكار لما عارض السنة، وقال: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتحدثني عن صحفك؛ لا أكلمك أبدًا.

فدلّ هذا على هجر أهل البدع، فالسنة هجر أهل البدع والكلام، وهجر من عارض السنة، وأنه يستحق الهجر والتعزير؛ ولهذا عزره عمران.

ومن ذلك ما ثبت عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه روى عن النبي ﷺ أنه قال: **«لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»**[2]. فقال ابن لعبد الله بن عمر يقال له واقد: والله، لنمنعهن، لو أذنّا لهن لاتخذناه دغلًا. فأقبل عليه عبد الله وسبه سبًا قبيحًا، قال الراوي: فما رأيته سبه مثل سبه، وقال: أحدثك عن رسول الله ﷺ وأقول: قال رسول الله: **«لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»**[3]. وتعارض السنة وتقول: والله لأمنعهن. ثم هجره.

---

(١) البخاري: الإيمان (٩)؛ ومسلم: الإيمان (٣٥)؛ والترمذي: الإيمان (٢٦١٤)؛ والنسائي: الإيمان وشرائعه (٥٠٠٤)؛ وأبو داود: السنة (٤٦٧٦)؛ وابن ماجه: المقدمة (٥٧)؛ وأحمد (٢/ ٤١٤).

(٢) البخاري: الجمعة (٩٠٠)؛ ومسلم: الصلاة (٤٤٢)؛ والترمذي: الجمعة (٥٧٠)؛ والنسائي: المساجد (٧٠٦)؛ وأبو داود: الصلاة (٥٦٨)؛ وابن ماجه: المقدمة (١٦)؛ وأحمد (٢/ ١٦)؛ والدارمي: الصلاة (١٢٧٨).

(٣) البخاري: الجمعة (٩٠٠)؛ ومسلم: الصلاة (٤٤٢)؛ والترمذي: الجمعة (٥٧٠)؛ والنسائي: المساجد (٧٠٦)؛ وأبو داود: الصلاة (٥٦٨)؛ وابن ماجه: المقدمة (١٦)؛ وأحمد (٢/ ١٦)؛ والدارمي: الصلاة (١٢٧٨).

ومثل ذلك أيضًا ما ثبت عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه رأى رجلًا من قومه يخذف، والخذف معناه: هو أن يرمي الحصاة الصغيرة بين الإصبعين، فقال له حذيفة: «**إن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف**»(١). وقال: «**إنه لا ينكأ عدوًا ولا يقتل صيدًا، وإنما يفقأ العين ويكسر السن**»(٢).

ثم رآه بعد ذلك يخذف؛ فقال: أحدثك عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن الخذف ثم تخذف؛ لا أكلمك أبدًا. فهجره.

هذا من الصحابة - رضوان الله عليهم - فيه دليل على هجر من عارض السنة وخالف السنة، وفي هجر أهل البدع وهم يستحقون الهجر والزجر والردع والتأديب، فعمر رضي الله عنه جَلد - لأنه من ولاة الأمور - صبيغًا التميمي، وابن عمر سب ابنه وهجره، وحذيفة هجر قريبه، فدل على أن أهل البدع ومن عارض السنة يستحقون الهجر، ويستحقون التأديب، التأديب من قبل ولاة الأمور، والهجر من غيرهم.

❁ ❁ ❁

(١) البخاري: تفسير القرآن (٤٨٤٢)؛ ومسلم: الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان (١٩٥٤)؛ والنسائي: القسامة (٤٨١٥)؛ وأبو داود: الأدب (٥٢٧٠)؛ وابن ماجه: الصيد (٣٢٢٧)؛ وأحمد (٤/ ٨٦)؛ والدارمي: المقدمة (٤٣٩) .

(٢) أبو داود: الأدب (٥٢٧٠)؛ وابن ماجه: الصيد (٣٢٢٧)؛ وأحمد (٤/ ٨٦)؛ والدارمي: المقدمة (٤٣٩) .

أثر: إن القرآن حكمة وإن السنة فسرته

قال المؤلف - رحمه الله - : وذكر عند عمران بن حصين الحديث، فقال رجل من القوم: لو قرأتم سورة من كتاب الله كان أفضل من حديثكم. فقال عمران: إنك لأحمق، أتجد الصلاة في كتاب الله مفسرة؟! أتجد الزكاة في كتاب الله مفسرة؟! إن القرآن حكمة، وإن السنة فسرته..

التخريج: رواه المصنف في الإبانة الكبرى من عدة طرق، وأبو داود، وقال شارحه شمس الحق: سكت عنه المنذري، وذكره في التمهيد ابن عبد البر .

الشرح : وهذا الأثر عن عمران بن حصين رضي الله عنه لما حدث اعترض عليه رجل من القوم، وقال: لو قرأتم سورة من كتاب الله كان أفضل من حديثكم. فأنكر عليه عمران رضي الله عنه الإعراض عن السنة، فقال له عمران: إنك لأحمق.

فالسنة تبين القرآن وتفسره، حيث جاءت النصوص في القرآن مجملة والسنة تفسره؛ فلو تركنا السنة، ما عرفنا تفاصيل الواجبات، فقال له: أتجد في كتاب الله الصلاة مفسرة؟ ففي كتاب الله: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[1] لكن ليس فيه عدد ركعات الصلاة؛ فليس في كتاب الله أن صلاة الظهر أربع ركعات، وصلاة المغرب ثلاث ركعات، وصلاة العشاء أربع ركعات، وصلاة الفجر ركعتان.

---

(١) سورة البقرة آية : ٤٣ .

ليس في القرآن وجوب النصاب في الزكاة، وإنما هذا في السنة، وليس في القرآن وجوب الحول، وفي القرآن وجوب الحج، ولكن ليس فيه بيان كيفية الطواف - طواف الإفاضة، وأنه ركن، وأنه سبعة أشواط - وبيان السعي بين الصفا والمروة وأنه سبعة أشواط، وبيان متى يكون الوقوف بعرفة، ومتى يكون الرمي، فكل هذا جاءت به السنة.

ولهذا أنكر عمران رضي الله عنه على من أعرض عن السنة، وقال: يكفينا القرآن. قال له: إنك لأحمق. ولهذا قال العلماء: إن من عارض السنة وأنكرها فهو كافر، وهو مكذب لله في قوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [١] وقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [٢].

وهناك طائفة يسمون أنفسهم القرآنيين، أي: الذين يعملون بالقرآن ولا يعملون بالسنة، وهذا باطل؛ فهؤلاء لو كانوا يعملون بالقرآن لعملوا بالسنة؛ لأن الله أمر بالعمل بالسنة في قوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [٣] وفي قوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ﴾ [٤]؛ أي: الرسول ﴿فَانْتَهُوا﴾ [٥]؛ ولهذا من أنكر السنة فهو كافر.

❁ ❁ ❁

(١) سورة المائدة آية : ٩٢ .
(٢) سورة الحشر آية : ٧ .
(٣) سورة المائدة آية : ٩٢ .
(٤) سورة الحشر آية : ٧ .
(٥) سورة الحشر آية : ٧ .

أثر: حرم رسول الله ﷺ يوم خيبر أشياء

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال المقدام بن معدي كرب: حرم رسول الله ﷺ يوم خيبر أشياء، فقال: «يوشك رجل على أريكته يأتيه مما أمرت أو نهيت فيقول: دعونا من هذا، ما ندري ما هذا، عليكم بكتاب الله، فلأعرفن الرجل منكم» .

التخريج: رواه أحمد، والدارمي، وابن ماجه، وابن بطة في الكبرى .

الشرح : وهذا فيه التحذير من ترك السنة وعدم العمل بها، لما قال المقدام بن معدي كرب: حرم رسول الله ﷺ يوم خيبر أشياء، ثم قال: **«يوشك رجل على أريكته يأتيه مما أمرت أو نهيت فيقول: دعونا من هذا، ما ندري ما هذا، عليكم بكتاب الله، فلا أعرفن الرجل منكم»** .

يوشك: يعني يقرب، أن يوجد رجل على أريكته؛ أي: متكئًا على كرسيه، وفي لفظ: **«يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته؛ فإذا جاءه الأمر من السنة أو النهي من السنة، قال: دعونا من هذا، هاتوا كتاب الله، يكفينا العمل بكتاب الله، فيقول: دعونا ما ندري ما هذا، عليكم بكتاب الله، فلا أعرفن الرجل منكم أن يكون كذلك»** [١] .

وفي اللفظ الآخر: **«ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»** [٢] .

---

(١) أبو داود (٢/ ٦١٠) (٤٦٠٤) عن المقدام بن معدي كرب هكذا بلفظ : « شبعان» إلا أنه لم يرو الزيادة التي في الحديث ثم ذكر بعدها تحريم الحمر الأهلية وغير ذلك. والدارقطني (٤/ ٢٨٧) (٥٩)، صحيح الجامع (٢٦٤٣).

(٢) أبو داود: السنة (٤٦٠٤) .

فالسنة وحي ثان، ومن زعم أنه يعمل بالقرآن، ولا يعمل بالسنة، فهو كاذب كافر، كاذب؛ لأن الله أمره بالعمل بالسنة في قوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ (١)، ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ (٢) وكافر؛ لإنكاره السنة، نسأل الله السلامة والعافية!! وفي هذا التحذير من البدع والشبهات والمحدثات في الدين التي توصل إلى الكفر.

❁ ❁ ❁

(١) سورة المائدة آية : ٩٢ .

(٢) سورة الحشر آية : ٧ .

أثر: اجعل أرأيت باليمن إنما هي السنن

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال رجل لابن عمر: أرأيت أرأيت فقال: اجعل أرأيت باليمن، إنما هي السنن.

التخريج: رواه البخاري بلفظ قريب منه، ورواه ابن بطة في الكبرى بلفظ: اجعل أرأيت عند الثريا. ورواه الهروي.

الشرح: هذا رجل يماني، قال لابن عمر يسأله قال - يعني أفسر - : أرأيت أرأيت، فقال: اجعل أرأيت في اليمن؛ أي: اترك الرأي واعمل بالسنة؛ إذ الرأي يضل؛ فاترك الرأي، واعمل بالكتاب والسنة، واترك كلمة أرأيت؛ لأن هذا فيه العمل بالرأي، ومعارضة السنة بالرأي؛ ولهذا أنكر ابن عمر رضي الله عنه على هذا الرجل اليماني وقال: لا تقل أرأيت؛ إذ إن أرأيت معناه ناشئ عن الرأي، فاترك الرأي واعمل بالسنة، واجعل كلمة «أرأيت» في بلدك، وفي لفظ آخر: اجعل «أرأيت» عند الثريا. وهذا فيه تحذير من معارضة السنة بالرأي المجرد.



أثر: ما قضيت لي رأيا قط

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال الشعبي: ما قضيت لي رأيًا قط.

التخريج: أخرجه الدارمي عن إبراهيم النخعي. قال الأعمش: ما سمعت إبراهيم يقول برأيه في شيء قط.

الشرح : قال الشعبي التابعي - وهو الحجة، جبل الحفظ، وهو إمام في نقد الرجال - : ما قضيت لي رأيًا قط؛ أي: ما عملت بالرأي، إنما أعمل بالنصوص، بالكتاب والسنة، «ما قضيت برأي»، يعني مجردًا من النصوص، وإنما أعمل بالسنة. وهذا فيه تحذير من الآراء والبدع، فالبدع إنما نشأت عن الآراء، وفي اللفظ الآخر يقول: ما سمعت إبراهيم يقول برأيه في شيء قط.



أثر: لم أفت برأيي منذ ثلاثين سنة

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال قتادة: لم أفت برأيي منذ ثلاثين سنة.

التخريج: رواه المصنف في الكبرى، واللالكائي، والهروي.

الشرح : وهذا قتادة بن دعامة السدوسي التابعي المعروف الجليل يقول: لم أفت برأيي منذ ثلاثين سنة. أي: منذ صرت متأهلًا للفتوى لم أفت برأيي، وإنما يفتي بالنصوص، بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

فالفتوى لا بد أن تكون بالنصوص، فيكون دليلها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أو من قواعد الشريعة ونصوصها التي دلت عليها النصوص، أو من أقوال الصحابة والتابعين والعلماء والأئمة، فلا تصدر الفتوى عن رأي مجرد؛ إذ ليس للإنسان أن يفتي برأيه؛ ولهذا قال قتادة التابعي الجليل ابن دعامة: لم أفت برأيي منذ ثلاثين سنة. وهي المدة التي وصل فيها إلى حد التأهل للفتيا.

وهذا فيه التحذير من البدع؛ لأن البدع هي الحدث في الدين؛ أي: ما خالف النص، فما خالف كتاب الله وسنة رسوله، فهو بدعة.

❁ ❁ ❁

أثر: شرار عباد الله الذين يتبعون شرار المسائل

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال الحسن: شرار عباد الله الذين يتبعون شرار المسائل؛ ليعموا بها عباد الله..

الشرح : وهذا فيه التحذير من البدع، شرار عباد الله الذين يتبعون شرار المسائل: وهم أهل البدع.

ليعموا بها عباد الله: يتبعون شرار المسائل: وهي ما كان مخالفًا للخير، ما تجاوز الخير إلى الشر هذا هو البدع.

فالخير فيما دلت عليه النصوص من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وشرار الناس من يعدل عن الخير الذي دلت عليه النصوص، ويتبع شرار المسائل حتى يعمي عباد الله عن الحق، بأن يفتيهم بما خالف النصوص، بالآراء التي ليست مسندة إلى الكتاب، وإلى السنة، فهؤلاء هم شرار الناس، الذين يضلون عن سبيل الله، يضلون أنفسهم، ويضلون غيرهم، بسبب تركهم للنصوص، وبعدهم عن السنن والآثار، واتباعهم للأهواء والآراء المضلة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

❁ ❁ ❁

أثر: الرد إلى الله كتابه والرد إلى الرسول إذا قبض إلى سنته

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ميمون بن مهران في قوله عز وجل: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ (١). قال الرد إلى الله كتابه، والرد إلى الرسول، إذا قبض إلى سنته..

الشرح : وهذا قول ميمون بن مهران، وهو قول صحيح، واعتمده أهل العلم وقرروه، وذلك بقول الله عز وجل: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ (٢).

قال العلماء: الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول هو الرد إليه في حياته - عليه الصلاة والسلام - والرد إلى سنته بعد وفاته، وهذه الآية تعتبر حكمًا وفيصلًا في الأمور التي يتنازع فيها الناس.

فجميع الأمور التي يتنازع فيها الناس يجب عليهم أن يعرضوها على النصوص؛ كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فيردوها إليها، ولا بد أن تعرض أقوال العلماء كلها على النصوص، فما وافق النصوص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وجب العمل به، وما خالف النصوص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وجب تركه، عملًا بهذه الآية الكريمة.

فكل مسألة فيها خلاف لأهل العلم تشكل عليك، اعرضها على النصوص، فما وافق النصوص من هذه الأقوال خذ به، وما خالفها ترده؛

---

(١) سورة النساء آية : ٥٩ .

(٢) سورة النساء آية : ٥٩ .

فهذه طريقة أهل الحق، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾(١) ثم جعل ذلك شرطًا في الإيمان فقال: ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾(٢)؛ حيث إن ذلك الرد إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله ﷺ ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ في العاقبة.

وقال سبحانه في الآية الأخرى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾(٣).

ما اختلف فيه الناس فحكمه مردود إلى الله، والسنة تابعة للقرآن، فيجب رد جميع ما يتنازع فيه الناس إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

مثال: اختلف العلماء في شأن الزكاة في الحلي - من الذهب والفضة - الذي تلبسه المرأة؛ قال فريق من العلماء: لا يجب فيه الزكاة، وقال فريق آخر: يجب فيه زكاة.

فمثل هذه مسألة نردها إلى كتاب الله؛ فإذا رددناها إلى كتاب الله، وجدنا الله - تعالى - يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾(٤) والمرأة صاحبة الحلي - صاحبة ذهب وفضة - فتكون داخلة في الآية، فيجب الزكاة.

وكذلك ما جاء في السنة في قصة المرأة التي جاءت إلى النبي ﷺ وفي يد ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب؛ فقال النبي ﷺ لها: «تؤدين زكاتهما؟» قالت: لا. قال: «هما حسبك من النار»(٥).

وكذلك حديث أم سلمة كانت تلبس أوضاحًا من فضة فأرشدها النبي ﷺ إلى وجوب الزكاة.

---

(١) سورة النساء آية : ٥٩ .

(٢) سورة النساء آية : ٥٩ .

(٣) سورة الشورى آية : ١٠ .

(٤) سورة التوبة آية : ٣٤ .

(٥) النسائي: الزكاة (٢٤٧٩)، وأبو داود: الزكاة (١٥٦٣) .

فكل مسألة تنازع فيها العلماء فنردها إلى النصوص، وننظر ما وافق النصوص من هذه الأقوال نأخذ به، وما خالفها رددناه، فقد عرضنا هذه المسألة على النصوص ووجدنا النصوص تدل على وجوب الزكاة في الحلي، فالصواب القول بوجوب الزكاة في الحلي، وهكذا كل مسألة.



أثر: في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال عكرمة في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾(١) : أبو بكر وعمر رضي الله عنهما .

الشرح : قال عكرمة مولى ابن عباس - رضي الله عنهما - في قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾(٢) : أبو بكر وعمر رضي الله عنهما .

ومقصود عكرمة أن يمثل بمثال لأولي الأمر؛ لأن أبا بكر تولى الخلافة بعد وفاة النبي ﷺ ثم تولى عمر بعده، وكذلك من بعدهم فهو من أولي الأمر، وليس المراد الحصر، كما لو كان عندك أعجمي ما يعرف الخبز، ويسأل عن الخبز، فتأتي برغيف فتقول: هذا الخبز. أي: هذا مثال الخبز، وليس المراد أن هذا جميع الخبز، حتى يعرف الأعجمي مثاله، فأراد عكرمة أن يقول: أبو بكر وعمر هذا مثال لأولي الأمر، وليس المراد الحصر، فيجب طاعتهما في طاعة الله ورسوله، وكذلك أولو الأمر بعدهما، فكل ولي أمر يجب طاعته في طاعة الله، ولا يطاع أحد في المعاصي، عملًا بهذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾(٣) .

---

(١) سورة النساء آية : ٥٩ .

(٢) سورة النساء آية : ٥٩ .

(٣) سورة النساء آية : ٥٩ .

قال العلماء: كرر الفعل في ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾(١) ولم يقل: وأطيعوا أولي الأمر منكم؛ لأن الرسول ﷺ معصوم، لا يأمر إلا بطاعة الله؛ فلذلك أعاد الفعل في «أطيعوا الرسول»؛ وأما ولي الأمر، فليس بمعصوم، فقد يأمر بمعصية الله، فلا يطاع إلا في طاعة الله؛ فيجب طاعة ولاة الأمور في طاعة الله فحسب . وهذا فيه الحث على اتباع السنة، والبعد عن الشبه والبدع ومخالفة النصوص.

❁ ❁ ❁

(١) سورة النساء آية : ٥٩ .

أثر: السنة قاضية على كتاب الله وليس الكتاب قاضيا على السنة

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال يحيى بن أبي كثير: السنة قاضية على كتاب الله، وليس الكتاب قاضيًا على السنة.

التخريج: رواه الدارمي، والهروي، ومحمد بن نصر المروزي في السنة، وذكره السيوطي في مفتاح الجنة، وعزاه للبيهقي على أنها من قول الأوزاعي، وصححه ابن حجر بسند البيهقي.

الشرح : وقول يحيى بن كثير - رحمه الله - صحيح اعتمده أهل العلم، ومعنى أن السنة قاضية على كتاب الله؛ أي: مفسرة ومبينة وموضحة لكتاب الله، كما سبق أن ذكرنا أن السنة فسرت عدد الصلوات الخمس في اليوم والليلة، وعدد الركعات، وحددت وبينت الأوقات، وبينت السنة نصب الزكاة، واشتراط الحول، وبينت تفاصيل مناسك الحج.

وهكذا فالسنة قاضية على كتاب الله؛ فهي توضح المجمل وتبينه، وتخصص العام وتقيد المطلق.

وفي هذا بيان أنه يجب على المسلم أن يعمل بالكتاب والسنة، ولا يتجاوزهما إلى البدع والآراء، وفيه التحذير من البدع، وهذا هو مقصود المؤلف - رحمه الله - من سياق هذه النصوص.

❁ ❁ ❁

أثر: كان جبريل ينزل على الرسول بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال حسان بن عطية: كان جبريل - عليه السلام - ينزل على رسول الله ﷺ بالسنة، كما ينزل عليه بالقرآن، ويعلمه إياها، كما يعلمه القرآن..

التخريج: رواه المروزي في السنة، والمصنف في الكبرى، واللالكائي، والهروي، والدارمي.

الشرح : وهذا الكلام صحيح، وهو من كلام حسان بن عطية، يقول: كان جبريل - عليه الصلاة السلام - ينزل على رسول الله ﷺ بالسنة كما ينزل بالقرآن، ويعلمه إياها كما يعلمه القرآن.

والمعنى أن السنة وحي ثان، فالسنة وحي وليست من عند النبي ﷺ وقد دل على هذا القرآن الكريم، قال الله تعالى في كتابه العظيم: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾[1] يعني الرسول - عليه الصلاة والسلام - ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾[2].

وقال - عليه الصلاة والسلام - : **«ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»**[3] فالسنة وحي من الله، ولكن السنة نوعان: نوع لفظه ومعناه من الله، وهو الحديث القدسي، كحديث أبي ذر عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه أنه قال:

---

(١) سورة النجم آية : ٣ .

(٢) سورة النجم آية : ٣ - ٦ .

(٣) أبو داود: السنة (٤٦٠٤) .

«**يا عبـادي، إني حرمـت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا، فلا تظالموا . . . يا عبادي، كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي، كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم. . .** »[(١)] إلى آخره.

وكذلك حديث أبي هريرة، الحديث القدسي: «**من عادى لي وليًا، فقد آذنته بالحرب**»[(٢)]. فهذا من الله لفظًا ومعنى؛ لأن النبي ﷺ يرويه عن ربه، وفي الحديث: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**»[(٣)].

فهذا من الله لفظًا ومعنًى كالقرآن، إلا أن له أحكامًا تختلف عن القرآن؛ إذ القرآن يتعبد بتلاوته، والحديث القدسي لا يتعبد بتلاوته، والقرآن لا يمسه إلا المطهرون، والحديث القدسي يمسه غير المتوضئ، والقرآن معجز بألفاظه، والحديث القدسي غير معجز بألفاظه.

فالأحكام تختلف، لكن كل من القرآن والحديث القدسي من كلام الله لفظًا ومعنىً، أما سائر الأحاديث غير القدسية، فهي من الله معنى، ومن الرسول ﷺ لفظًا، فالرسول هو الذي تكلم بها؛ ولهذا يضاف إلى النبي، قال النبي ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**»[(٤)]. فهذا من كلام الرسول لفظًا، لكن معناه من الله وحيًا، فيكون الحديث القدسي من الله لفظًا ومعنى، وغير القدسي من الله معنى ومن الرسول ﷺ لفظًا.

---

(١) مسلم: البر والصلة والآداب (٢٥٧٧)؛ والترمذي: صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٩٥)؛ وابن ماجه: الزهد (٤٢٥٧)؛ وأحمد (٥/ ١٥٤) .

(٢) البخاري: الرقاق (٦٥٠٢) .

(٣) مسلم: الزهد والرقائق (٢٩٨٥)؛ وابن ماجه: الزهد (٤٢٠٢)؛ وأحمد (٢/ ٣٠١) .

(٤) البخاري: بدء الوحي (١)؛ ومسلم: الإمارة (١٩٠٧)؛ والترمذي: فضائل الجهاد (١٦٤٧)؛ والنسائي: الطهارة (٧٥)؛ وأبو داود: الطلاق (٢٢٠١)؛ وابن ماجه: الزهد (٤٢٢٧)؛ وأحمد (١/ ٢٥) .

ولا تغتر بما يوجد في الكتب، كتب أصول التفسير، وكتب علوم القرآن مما ينقل عن السيوطي، أو غيره من أنه يقول: إنه كلام الرسول؛ لأنه على مذهب الأشاعرة، فالأشاعرة ينكرون أن يكون كلام الله لفظًا ومعنى، ويقولون: كلام الله مطلقًا - كلام الله، سواء القرآن أو غير القرآن - معنى قائم بنفسه وليس بحرف ولا صوت.

وهذا غلط؛ فالقرآن كلام الله لفظه ومعناه، حروفه وألفاظه ومعانيه من الله، وكذلك الحديث القدسي؛ أما الحديث غير القدسي، فهو من الله معنى، ومن الرسول لفظًا تكلم به النبي ﷺ لفظه.



أثر: في قوله تعالى: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال سعيد بن جبير في قوله عز وجل: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾[(١)]: لزوم السنة والجماعة.

التخريج: رواه المصنف في الكبرى، واللالكائي، والهروي.

الشرح : وهذا سعيد بن جبير التابعي الجليل يقول في تفسير قول الله عز وجل: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾[(٢)]، ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾[(٣)] قال: لزوم السنة والجماعة.

لا شك أن لزوم السنة من الهداية؛ فمن لزم السنة عمل بالقرآن؛ ومن لزم السنة والجماعة، فهو من المهتدين؛ أما من خالف السنة عن عمد، فهذا ضال، وما هو من المهتدين.

وهذا فيه الحث على لزوم السنة والجماعة، والتحذير من البدع والآراء المضلة، والمحدثات في الدين.

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة طه آية : ٨٢ .

(٢) سورة طه آية : ٨٢ .

(٣) سورة طه آية : ٨٢ .

أثر: في قوله تعالى:
﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾

قال المؤلف - رحمه الله - : حدثنا عبيد الله، قال: أنبأنا أبو علي إسماعيل بن محمد الصفار، قال: أنبأنا أحمد بن منصور الرمادي، قال: أنبأنا عبد الرزاق، قال: أنبأنا معمر، عن قتادة، في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾(١) قال: القرآن والسنة.

التخريج: رواه المصنف في الكبرى، والمروزي في السنة.

وهذا الأثر رواه المؤلف - رحمه الله - بالسند، كما في الإبانة الكبرى، فإن الإبانة الكبرى روى الآثار بالأسانيد، والآثار التي سبقت في هذا الكتاب كلها حذف فيها الإسناد.

الشرح : هنا يقول: حدثنا عبيد الله، هو ابن بطة، اسمه عبيد الله، يقول الراوي عنه: حدثنا عبيد الله، قال: أنبأنا أبو علي إسماعيل بن محمد الصفار، قال: أنبأنا أحمد بن منصور الرمادي، قال: أنبأنا عبد الرزاق، قال: أنبأنا معمر، عن قتادة في قول الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾(٢) قال: القرآن والسنة.

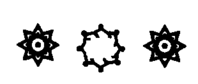
هذا رواه المؤلف بسنده إلى قتادة بن دعامة السدوسي التابعي الجليل في

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٣٤ .

(٢) سورة الأحزاب آية : ٣٤ .

تفسير هذه الآية، فسر الذي يتلى في بيوت النبي من آيات الله والحكمة بالقرآن والسنة: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ وهي القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةِ﴾ وهي السنة، فالذي يتلى في بيوت أزواج النبي ﷺ هو القرآن والسنة، وهذا فيه الحث على العمل بالقرآن والسنة، والتحذير مما خالف الكتاب والسنة من الآراء والبدع والشبه والمحدثات في الدين.



أثر: أفضل السعادة حسن الرأي يعني السنة

قال المؤلف - رحمه الله - : قال: حدثنا أبو عبد الله أحمد بن علي بن علاء بن الجوزجاني، قال: أنبأنا عبد الوهاب الوراق الشيخ الصالح، قال: أنبأنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مجاهد قال: أفضل السعادة حسن الرأي. يعني: السنة.

التخريج: رواه ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث.

الشرح : وهذا الأثر أيضًا رواه المؤلف بالسند، قال: حدثنا أبو عبد الله أحمد بن علي بن علاء بن الجوزجاني، قال: أنبأنا عبد الوهاب الوراق الشيخ الصالح، قال: أنبأنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مجاهد بن جبر التابعي الجليل، الذي يروي عن ابن عباس. في التفسير قال: أفضل السعادة حسن الرأي. يعني السنة.

وهذا فيه الحث على لزوم السنة، والعمل بها، والتحذير من البدع والمحدثات في الدين.

أفضل السنة حسن الرأي؛ أي: الرأي المستند إلى النصوص، المراد: حسن الرأي، يعني المأخوذ من السنة، من النصوص، الاستنباطات المأخوذة من النصوص.

أما الرأي المجرد، فهذا هو المذموم، فالرأي رأيان: رأي مأخوذ من النصوص مستنبط منها، فهذا هو الذي جاءت النصوص بالمدح والثناء على أهله، والرأي الثاني: رأي مجرد، وهو الذي يخالف النصوص، فهذا هو المذموم، وهو الذي جاءت النصوص والآثار بذمه، فالأثر فيه التحذير من البدع، والآراء المجردة.

أثر: كلما جاءنا رجل هو أجدل من رجل

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال إسحاق بن عيسى سمعت مالك بن أنس يعيب الجدال في الدين، ويقول: كلما جاءنا رجل هو أجدل من رجل، أردنا أن نترك ما جاء به جبريل إلى النبي ﷺ.

التخريج: رواه الدارمي، والمصنف في الكبرى، واللالكائي، والهروي.

الشرح : وهذا الأثر أيضًا رواه بالسند، وقال: إسحاق بن عيسى، سمعت مالك بن أنس يعيب الجدال في الدين. ومالك بن أنس الإمام المشهور - رحمه الله - إمام دار الهجرة، يعيب الجدال في الدين، ويقول: إن الجدال في الدين إنما يورث الخصومات والشبه والنزاع والشقاق، فتتولد البدع من الشبه التي تنشأ عن الجدال والخصومات؛ ولهذا قال مالك بن أنس رضي الله عنه - يعيب الجدال في الدين - : كلما جاءنا رجل هو أجدل من رجل، أردنا أن نترك ما جاء به جبريل إلى النبي ﷺ.

يعني كلما جاء واحد يجادل ثم جاء رجل أجدل منه، أقوى منه جدالًا وخصومة، نترك ما جاء به جبريل إلى النبي ﷺ من الكتاب والسنة التي هي وحي ثان، ونأخذ بالآراء المضلة، فقد قال هذا رحمه الله من باب العيب والإنكار، وأنه لا يجوز للإنسان أن يأخذ بالآراء المضلة التي تنشأ عن الجدال والخصومات، ويترك الكتاب والسنة؛ لأن هذا يولد الشبه والشكوك والبدع.

❁ ❁ ❁

أثر: ما أخذ رجل بدعة فراجع سنة

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ابن سيرين ما أخذ رجل بدعة، فراجع سنة..

التخريج: رواه الدارمي.

الشرح : وهذا محمد بن سيرين التابعي المعروف الجليل يقول: ما أخذ رجل بدعة، فراجع السنة. يعني في الغالب أن صاحب البدعة لا يرجع عنها، ولا ينزل، وقد يرجع لكن هذا قليل، والمراد الأغلب، وما أخذ رجل بدعة فراجع سنة؛ لأن صاحب البدعة يظن أنه على حق، ويعتقد أنه على حق، ففي الغالب أنه لا ينزع عن البدعة، ولا يتركها، لكن قد يمن الله عليه بترك البدعة، والمراد الأغلب.

فهذا فيه التحذير من البدع؛ لأن الإنسان إذا اعتنق البدعة وتأثر بها واعتقدها، في الغالب أنه يستمر عليها؛ لأنه يظن أنه على الحق. وهذا فيه التحذير من البدع حتى لا تتمكن من نفس الإنسان.



أثر: ما ابتدع رجل بدعة إلا أتى غدًا بما كان ينكره اليوم

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال عامر بن عبد الله: ما ابتدع رجل بدعة، إلا أتى غدًا بما كان ينكره اليوم.

الشرح : وهذا الأثر عن عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام فيه التحذير من البدع؛ فقوله: ما ابتدع رجل بدعة إلا أتى غدًا بما كان ينكره اليوم؛ أي أنه تتطور به البدع من بدعة إلى بدعة، تجده اليوم يأتي ببدعة، ثم غدًا يأتي ببدعة أعظم منها، وينكر البدعة الأولى، ثم يأتي من الغد ببدعة أكبر.

وهكذا تتطور البدع وتزيد، حتى ينسلخ الإنسان من الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ لأن البدع والمعاصي بريد الكفر، فالواجب الحذر من البدع؛ حتى لا تزل به القدم.

فالواجب لزوم السنة والكتاب العزيز، ما دل عليه الكتاب والسنة فيهما الكفاية، والله تعبدنا بالعمل بكتابه وسنة رسوله ﷺ فالواجب الحذر من البدع والمحدثات في الدين.



أثر: إذا غلب الهوى على القلب، استحسن الرجل ما كان يستقبحه

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ابن عون: إذا غلب الهوى على القلب، استحسن الرجل ما كان يستقبحه.

الشرح : وهذا عبد الله بن عون البصري يقول: إذا غلب الهوى على القلب، استحسن الرجل ما كان يستقبحه. فالهوى يعمي الإنسان ويصمه، يعميه عن الحق فلا يبصره، ويصم أذنه فلا يسمع الحق، ويبكمه فلا يتكلم بالحق؛ فإذا غلب الهوى على قلب الإنسان، استحسن البدع واستحسن المعاصي، فقد يكون يستقبح البدعة اليوم، ولكن إذا غلب عليه الهوى صار ما يستقبحه أمس، يستحسنه اليوم، فصارت البدعة حسنة في نفسه، بعد أن كانت قبيحة؛ بسبب غلبة الهوى.

فالواجب أن يكبح الإنسان جماح نفسه، وأن ينزع منها الهوى قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[1] لا بد أن ينزع الإنسان عن الهوى، ولا بد أن ينهى نفسه عن الهوى؛ حتى لا يستحسن القبيح من البدع، والمحدثات في الدين.

---

(١) سورة النازعات آية : ٣٧ - ٤١ .

أثر: لا يزال العبد مستورًا حتى يرى قبيحه حسنًا

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال الفضيل: لا يزال العبد مستورًا؛ حتى يرى قبيحه حسنًا.

الشرح : الفضيل بن عياض العالم الزاهد المشهور يقول: لا يزال العبد مستورًا ، حتى يرى قبيحه حسنًا. وإنما يرى قبيحه حسنًا إذا اتبع هواه، وترك ما دلت عليه النصوص. صار يرى القبيح حسنًا، فينكشف أمره؛ وأما قبل ذلك، فإنه مستور، إذا كان لا يتبع الهوى ويجاهد نفسه للعمل بالنصوص، فإنه لا يزال مستورًا.

فإذا ترك النصوص واتبع الهوى، بان قبحه، وظهر للناس؛ بسبب استحسانه للقبيح من البدع والمحدثات في الدين.



أثر: آيتان في كتاب الله ما أشده على الذين يجادلون في القرآن

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال أبو العالية: آيتان في كتاب الله ما أشدهما على الذين يجادلون في القرآن: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ (١)، ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ﴾ (٢).

التخريج: رواه الهروي، ورواه ابن البنا.

الشرح : فلا يزال المؤلف - رحمه الله - يسوق الآثار والأحاديث في ذم أهل البدع والتحذير منهم، والأمر بلزوم السنة والجماعة، والتحذير من النزاع والخصام في القدر، وفي آيات الله؛ يقول أبو العالية الرياحي - رحمه الله - في هذا الأثر - وهو من التابعين - يحذر من الجدال بالباطل، يقول: آيتان في كتاب الله ما أشدهما على الذين يجادلون في القرآن، وهما قول الله تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ (٣).

سورة غافر، والآية الثانية من سورة البقرة، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ﴾ (٤).

هاتان الآيتان تدلان على ذم الذين يجادلون في القرآن، وأن هذا وصف

---

(١) سورة غافر آية : ٤ .
(٢) سورة البقرة آية : ١٧٦ .
(٣) سورة غافر آية : ٤ .
(٤) سورة البقرة آية : ١٧٦ .

الكفار، يقول: ﴿مَا يُجَادِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾(١) فأهل البدع يشابهون الكفار في جدالهم في آيات الله بالباطل، يجادل في آيات الله، جدال في تنزيله، وجدال في تأويله، جدال في تنزيله، هل هو كلام الله منزل غير مخلوق، أو هو مخلوق، وجدال في تأويله، (استوى).. هل استوى، واستقر، وعلا، وصعد، أو استولى؟!!

فهذا من الجدال بالباطل، وهو من جدال أهل البدع، فلهم شَبه بالكفار الذين ذمهم الله في قوله: ﴿مَا يُجَادِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾(٢) والآية الثانية فيها ذم أيضًا للاختلاف في الكتاب، وأن المختلفين في شقاق بعيد، في شقاق ونزاع بينهم، وهذا الشقاق بعيد عن الحق، وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد، واختلفوا في الكتاب، اختلاف في تنزيله، واختلاف في تأويله، فهم اختلفوا في تنزيله.

فقال بعضهم: إنه منزل، وقال بعضهم: إنه غير منزل، بل هو مخلوق، واختلاف في تأويله، تأويل على غير تأويله، في تأويل استوى بمعنى استولى، تأويل صفة الرضا بالثواب، صفة الغضب بالانتقام.

وهكذا فهاتان الآيتان توجبان التحذير من الجدال في آيات الله بالباطل، وأن هذا وصف الكفار، وأن أهل الجدال في شقاق بعيد، وفي خلاف ونزاع وخصام بينهم، ليس عندهم اتفاق، بل هم في شقاق واختلاف، قلوبهم مختلفة، وقلوبهم متنافرة؛ بسبب شقاقهم ونزاعهم وخصامهم وعدم اتفاقهم على الحق.

* * *

(١) سورة غافر آية : ٤ .

(٢) سورة غافر آية : ٤ .

أثر: لأن يكون ابني فاسقًا من الفساق أحب إلي من أن يكون صاحب هوى

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال أرطأة بن المنذر: لأن يكون ابني فاسقًا من الفساق أحب إلي من أن يكون صاحب هوى.

التخريج: رواه الأثرم في مسائل الإمام أحمد، والهروي.

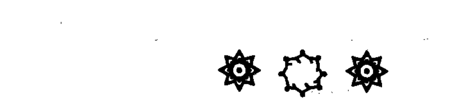
الشرح : هذا أرطأة بن المنذر بن الألهاني أبو عدي الحمصي يبين أن البدعة أشد من المعصية؛ فيقول: لأنْ يكون ابني فاسقًا من الفساق - يعني: يعمل كبيرة من الكبائر، فالفاسق هو الذي يعمل كبيرة من كبائر الذنوب، والفسق هو فعل الكبيرة والمداومة على الصغيرة.

والكبيرة أصح ما قيل في تعريفها: ما ترتب عليه حدٌّ في الدنيا أو وعيد في الآخرة: كالزنا، والسرقة، وشرب الخمر، وعقوق الوالدين، وقطيعة الرحم، وشهادة الزور، والعدوان على النفس في الدماء، والعدوان على النفس في الأموال، والعدوان على النفس في الأعراض، هذه كلها كبائر من فعلها يكون فاسقًا، فيقول: لأنْ يكون ابني فاسقًا أحبّ إلي من أن يكون صاحب هوى. أي: بدعة، وذلك أن البدعة أشد من الكبيرة، وأحب إلى الشيطان من الكبيرة؛ لأن صاحب الكبيرة يعلم أنه على باطل، ويعلم أنه عاصٍ، يعترف بأنه عاصٍ فَيُرجى أن يتوب.

أما صاحب البدعة، فيظن أنه على حق، وأنه مصيب، فلا يفكر في التوبة في الغالب، ومن هنا كانت البدعة أحب إلى الشيطان من المعصية، وهي أقرب إلى الكفر من الكبيرة؛ لأن صاحب المعصية يعلم أنه على ضلال، وأنه عاصٍ فَيُرجى أن يتوب.

وأما صاحب البدعة، فهو يعتقد أنه على حق، وإذا جادلته، قال: أنت على الباطل، وأنا على الحق. فلا يتوب، ومن هنا فضل أرطأة بن المنذر الكبيرة على البدعة. قال: لأنْ يكون ابني فاسقًا من الفساق يعمل كبيرة من الكبائر، كالزنا والسرقة وشرب الخمر أحب إلي من أن يكون صاحب هوى. يعني: بدعة كأن يكون: معتزليًا، أو خارجيًا، أو جهميًا، أو مرجئًا، أو رافضيًا، هذه بدعة أشد من الكبائر.

وهذا فيه تحذير من البدع، وأنها تلي الكفر في المرتبة، وأنها أشد من كبائر الذنوب، نسأل الله السلامة والعافية.



أثر: لأن أجلس إلى النصارى في بِيَعِهم

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال أبو إسحاق الفزاري: لأنْ أجلس إلى النصارى في بِيَعِهم أَحبُّ إليّ من الجلوس في حلقة يتخاصم فيها الناس في دينهم.

الشرح : كذلك أبو إسحاق الفزاري، وهو إبراهيم بن محمد بن الحارث الفزاري ثقة حافظ له تصانيف يقول: لأن أجلس إلى النصارى في بِيَعِهم. البِيَعُ جمع بيعة، والبيعة هي معبد النصارى، ومثلها الكنيسة كذلك، وتطلق أيضًا على معبد اليهود. يقول: لأنْ أجلس إلى النصارى في بيعهم أحب إلي من الجلوس في حلقة يتخاصم فيها الناس في دينهم؛ لأن الجلوس في بيعة النصارى معصية، والجلوس في حلقة يتخاصم فيها الناس في دينهم تورث الشكوك والشُّبَه وتؤدي إلى البدع، وهذا أشد، فالشكوك والشبه التي تورث البدع أشد وأعظم من المعصية.

ولهذا فضل أبو إسحاق الفزاري الجلوس في بيعة النصارى؛ لأنها معصية والعاصي يرجى أن يتوب، بخلاف صاحب البدعة، فإنه في الغالب لا يتوب؛ لأنه يعتقد أنه على الحق.



أثر: لأن يصحب ابني فاسقًا شاطرًا سُنِّيًا

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال سعيد بن جبير: لأن يصحب ابني فاسقًا شاطرًا سُنِّيًا أحب إلي من أن يصحب عابدًا مبتدعًا.

التخريج: رواه الهروي في ذم الكلام.

الشرح : كذلك أثر سعيد بن جبير التابعي الجليل المعروف يقول: لأنْ يصحب ابني فاسقًا شاطرًا يعني: خبيثًا بسبب أعماله السيئة: كأن يكون سكِّيرا يشرب الخمر، يأكل أموال الناس بالباطل، يتعامل بالربا، فهذا فاسق؛ فإذا كان سنيًا ليس مبتدعًا فهو أَحبُ إليَّ من أن يصحب عابدًا مبتدعًا؛ لأن العابد المبتدع على ضلال ولو كان عابدًا، فبدعته أحب إلى الشيطان من المعصية، وهي تلي الكفر، وهو يعتقد أنه على حق، فلا يفكر أن يتوب؛ فلهذا فضلها سعيد بن جبير، يقول: لأن يصحب ابني فاسقًا خبيثًا، ولكنه من أهل السنة أحب إلي من أن يصحب مبتدعًا، ولو كان عابدًا؛ لأن هذا على البدعة، والبدعة أشد من المعصية، وهذا على المعصية.

وهذا فيه دليل على التحذير من البدع، وأن البدع أشد من كبائر الذنوب.

۞ ۞ ۞

أثر: رأينا ابنك يلعب بالطيور

قال المؤلف - رحمه الله - : وقيل لمالك بن مغول: رأينا ابنك يلعب بالطيور. فقال: حبذا إن شغلته عن صحبة مبتدع.

الشرح : مالك بن مغول الكوفي - رحمه الله - قيل له: إن ابنك يلعب بالطيور. فقال: حبذا إن شغلته عن صحبة مبتدع. يقول: اللعب بالطيور واللعب كذلك بالشِّطْرَنْج وغيره هذه معصية؛ فإذا اشتغل بالمعصية عن صحبة المبتدع، فهذا أهون وأسهل.

وأحيانًا يكون بعض الشر أهون من بعضه، فكونه يشتغل بالمعصية أولى من كونه يشتغل بصحبة المبتدع؛ لأن صحبة المبتدع تورثه البدع، قد يضره هذا المبتدع وقد يعتقد ما يعتقد فيصير مبتدعًا، والبدعة أشد من الكبيرة؛ ولهذا فضل مالك بن مغول أن يشتغل ابنه بالمعصية عن البدعة.

كل هذه الآثار من العلماء - رحمهم الله - تُبين أن البدعة أشد من المعصية، وفيه التحذير من البدع؛ لأنها تلي الكفر، ولأن أصحاب البدع لا يعتقدون أنهم على باطل؛ فلا يتوبون، بخلاف أصحاب الكبائر؛ لأنهم يعلمون أنهم عصاة؛ فيُرجى أن يتوبوا.

۞ ۞ ۞

أثر: من نعمة الله على الشاب والأعجمي إذا تنسكا أن يوفقا لصاحب سُنَّة

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ابن شوذب: من نعمة الله على الشاب والأعجمي إذا تنسكا أن يوفقا لصاحب سُنَّة يحملهما عليها؛ لأن الشاب والأعجمي يأخذ فيهما ما سبق إليهما.

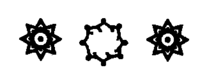
التخريج: رواه اللالكائي، والمصنف في الكبرى، وابن الجوزي في تلبيس إبليس، ورواه ابن البنا.

الشرح : وهذه - أيضًا - مقالة قالها ابن شوذب أبو عبد الرحمن الخراساني، يقول: من نعمة الله على الشاب والأعجمي إذا تنسكا؛ أي: تعبدا، صارا صاحبي نسك وعبادة - أن يوفقا لصاحب سنة يحملهما عليها؛ أي: يحثهما على السنة، هذا من نعمة الله على العبد؛ لأن الشاب والأعجمي يأخذان ما سبق إليه: إن سبقت إليه البدعة أخذ بها، وإن سبقت إليه السنة أخذ بها؛ لأن الشاب يتأثر، بخلاف الشيخ، فإنه لا يتأثر في الغالب.

فالشيخ يكون على ما كان عليه في الغالب؛ إن كان على حق، استمر على الحق؛ وإن كان على باطل، استمر على الباطل، بخلاف الشاب، فإنه يتأثر؛ ولهذا تجد دعاة الضلال والنصارى يركزون على الشباب؛ لأن الشباب يتغيرون ويتأثرون وييأسون من الشيوخ، وأن يورثوا في قلوبهم الشُّبَه؛ ولهذا فهم يركزون على الشباب؛ لأن الشاب سريع التأثر والتقلب.

بخلاف ما إذا وُفق الشاب لصاحب بدعة، هذا من الخذلان، وكذلك الأعجمي إذا وفق لصاحب بدعة ينشئه على البدعة.

وهـذا مـن ابـن شـوذب - رحـمـه الـلـه - فـي بيـان أن الـبـدعـة أشـد مـن المعصية، وأن المعصية ولو كانت كبيرة أسهل من البدعة، فهذا فيه التحذير من البدع.



أثر: إذا رأيت الشاب أول ما ينشأ مع أهل السنة والجماعة

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال عمرو بن قيس الملائي: إذا رأيت الشاب أول ما ينشأ مع أهل السنة والجماعة، فارْجُه؛ وإذا رأيته مع أهل البدع، فايأس منه؛ فإن الشاب على أول نشوئه.

التخريج: رواه ابن بطة في الكبرى.

الشرح : وهذه المقالة - أيضًا - لعمرو بن القيس الملائي، أبي عبد الله في بيان عظم شأن البدعة، وأنها أشد من الكبيرة، يقول: إذا رأيت الشاب أول ما ينشأ مع أهل السنة والجماعة، فارجه. يعني: يُرجى له الخير.

أما إذا رأيت الشاب مع أهل البدع، فايأس منه؛ فإن الشاب على أول نشوئه، إذا نشأ على معتقد أهل السنة والجماعة نشأ عليه؛ وإذا نشأ على معتقد أهل البدع، نشأ عليه.

وهذا فيه التحذير من البدع، وفيه أنه ينبغي على طالب العلم أن يحرص على معتقد أهل السنة والجماعة، وأن يعض عليه بالنواجذ، وأن يحمد الله على أن وُفق لأن ينشأ على معتقد أهل السنة والجماعة.

ولهذا تجد علماء كبارًا فطاحل لم يوفقوا لمشايخ ينشئونهم على معتقد أهل السنة والجماعة، وهم علماء كبار خدموا الإسلام: مثل الحافظ ابن حجر - رحمه الله - شارح صحيح البخاري، عالم كبير حافظ له اليد الطولى في علوم الحديث، ومع ذلك تجده يؤول الصفات على معتقد الأشاعرة؛ لأنه لم يوفق لمن ينشئه على معتقد أهل السنة والجماعة.

ونرجو أن يغفر له هذه الزلات في بحر حسناته، الكثيرة فهو لم يتعمد، لكن ما وفق لمن ينشئه على معتقد أهل السنة والجماعة، وظن أن هذا هو الحق، وأن فيه تنزيه الله، تجده يؤول الغضب - مثلًا - بالانتقام، يؤول الرضا بالثواب.

وكذلك الإمام النووي - رحمه الله - العالم الجليل، له التصانيف العظيمة: رياض الصالحين هذا الكتاب العظيم الذي قلّ أن يوجد مسجد أو بيت إلا وفيه رياض الصالحين، وهذا من حسن نيته، ومع ذلك تجده يؤول الصفات على معتقد الأشاعرة؛ لأنه ما وفق من الأساس لمن ينشئه على معتقد أهل السنة والجماعة.

وإذا قرأت - أحيانًا - في الشروح كفتح الباري أو غيره في بعض الصفات يقول: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾(١) أو في بعضها ينقل لك نقولًا كثيرة عن علماء كبار فطاحل كلهم يؤولون الصفات، ولا يصلون إلى مذهب أهل السنة والجماعة.

وتجد الإمام النووي - رحمه الله - في شرح صحيح مسلم إذا جاء في الصفات مثلًا: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾(٢)، ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾(٣)، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾(٤) يقول: للناس مذهبان: مذهب للسلف، ومذهب للخلف، مذهب السلف لا يتكلم في الصفات ويفوضها إلى الله، ومذهب الخلف يتأولها.

وكل من المذهبين ما وصل لمذهب أهل السنة، مذهب السلف الذي سمى نفسه مذهب المفوضة يعني: يفوضون المعنى، ومذهب الخلف مذهب

---

(١) سورة القلم آية : ٤٢ .
(٢) سورة المائدة آية : ١١٩ .
(٣) سورة المجادلة آية : ١٤ .
(٤) سورة الأعراف آية : ٥٤ .

المؤولة، ما وصلا إلى مذهب أهل السنة والجماعة، لا هذا ولا هذا، والسبب أنهم لم يوفقوا لمن ينشئهم على معتقد أهل السنة والجماعة، بل نشأهم مشايخهم على هذا، وظنوا أن هذا هو الحق، وأن هذا فيه تنزيه الله عز وجل.

فهذا يؤيد ما ذكره أهل العلم من أن من نعمة الله على العبد أن ينشأ على معتقد أهل السنة والجماعة؛ فإذا رأى أن هؤلاء العلماء الكبار الفطاحل أوَّلوا الصفات، ولم يتبين لهم معتقد أهل السنة والجماعة الذي درج عليه الصحابة، والتابعون والأئمة الأربعة وغيرهم، وقرره العلماء، يخاف على نفسه، ويعض على معتقد أهل السنة والجماعة.

فإذا زل هؤلاء العلماء الكبار، فأنت حري أن تزِلّ، وهذا يجعل الشاب وطالب العلم يحرص على معتقد أهل السنة والجماعة، ويعض عليه بالنواجذ، ويحمد الله أن وُفق لمن ينشئه على معتقد أهل السنة والجماعة.

شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - والعلامة ابن القيم نشروا مذهب أهل السنة والجماعة بعد أن اندفن، هذه الكتب العظيمة التي ألفها أبو العباس شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - العقيدة الواسطية، عقيدة عظيمة، ينبغي لطالب العلم أن يحفظها.

كلمات معدودة في بيان معتقد أهل السنة والجماعة في الصفات وفي الأسماء وفي الأحكام وفي الصحابة تكتب بماء الذهب، بل هي أغلى من ماء الذهب، فماء الذهب لا يساوي شيئًا. كتبها بعد العصر في جلسة واحدة جوابًا عن سؤال من بلدة اسمها واسطة في العراق؛ فسميت الواسطية.

كذلك الحموية رسالة عظيمة في الصفات وفي العلو جوابًا لسؤال من بلدة حماة، والتدمرية جوابًا لسؤال من بلدة تدمر، وهي رسائل عظيمة، كذلك العقيدة الطحاوية عامة لبيان أصول الدين، كذلك - أيضا - مؤلفات شيخ الإسلام - رحمه الله - الكثيرة مجموع الفتاوى وفي غيرها، ومؤلفات ابن

القيم، كذلك أئمة الدعوة كالإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - وأئمة الدعوة كلهم نشروا مذهب أهل السنة والجماعة، وبينوه في رسائلهم ومكاتباتهم ودروسهم، وصارت مدرستهم امتدادًا لمدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن القيم رحمهما الله .

هذه نعمة عظيمة مَنَّ الله بها علينا في آخر الزمان، في هذه الأزمنة المتأخرة نُشر مذهب أهل السنة والجماعة، انتشر وصار في زمن الإمام محمد ابن عبد الوهاب، والإمام محمد بن سعود - رحمهما الله - في القرن الثاني عشر والثالث عشر يعني: صار زمانهم يُضم إلى زمان الصحابة والتابعين لشدة تمسكهم بالحق، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وشدة غيرتهم على دين الله، ونشرهم لمعتقد أهل السنة والجماعة.

ولا نزال نتفيأ ظلال هذا البيان والإيضاح، وظلال هذه الدعوة السلفية التي وفق الله لها الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - وانتشرت في مشارق الأرض ومغاربها، فلله الحمد على هذه النعمة العظيمة في آخر الأزمنة.

فهذه نعمة عظيمة منَّ الله بها عليك، فلو لم يوفقنا الله، ولم ننشأ على معتقد أهل السنة والجماعة، لكنا مثل غيرهم جهمية أو أشاعرة، أو معتزلة أو رافضة، أو ملاحدة وحدة وجود، نسأل الله السلامة والعافية، كلها موجودة في القديم والحديث.

إذا خرجت إلى أي بلد من البلاد تجد فيها صوفية، تجد في البلد مائة طريقة، كل طريقة لها شيخ يدعو إلى النار - والعياذ بالله - تَجِدُ صوفية، تجد ملاحدة، تجد وحدة الوجود، تجد جهمية، تجد أشاعرة، تجد معتزلة، تجد رافضة، تجد مرجئة، تجد خوارج.

ولكن الله مَنَّ علينا بمعتقد أهل السنة والجماعة، ومنَّ الله على من شاء في سائر أقطار الأرض ممن وفقه الله لسلوك معتقد أهل السنة والجماعة،

والعمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فلله الحمد على هذه المِنة العظيمة.

فعمرو بن قيس الملائي - رحمه الله - يقول: إذا رأيت الشاب أول ما ينشأ مع أهل السنة والجماعة، فارجه: ارجُ له الخير؛ أما إذا رأيته مع أهل البدع، فايأس منه؛ فإن الشاب على أول منشئه، هذا هو الأغلب؛ وإلا فقد يوفق الله الإنسان - ولو كان من أهل البدع - لمعتقد أهل السنة والجماعة.

ولكن في الغالب أن من الشباب إذا نشأ على معتقد أهل السنة والجماعة فإنه يرجى له الخير والاستمرار عليه؛ وإذا نشأ مع أهل البدع، فالغالب أنه يستمر على بدعته. نسأل الله السلامة والعافية.



أثر: إن الشاب لينشأ فإن آثر أن يجالس أهل العلم

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال عمرو بن قيس: إن الشاب لينشأ، فإن آثر أن يجالس أهل العلم، كاد يسلم؛ وإن مال إلى غيرهم، كاد يعطب.

التخريج: رواه ابن بطة في الكبرى.

الشرح : وهذا الأثر - أيضًا - كسابقه، كل العلماء تواطأت كلماتهم على التحذير من البدع، وأن البدع أشد من المعصية؛ ولهذا قال عمرو بن قيس: إن الشاب لينشأ؛ فإن آثر أن يجالس أهل العلم من أهل السنة والجماعة، كاد يسلم؛ وإن مال إلى غيرهم من أهل البدع، كاد يعطب. يعني: يهلك بالبدع.



أثر: إني لأرى الشاب على كل حالة مُنكَرة

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال حماد بن زيد: قال لي يونس: يا حماد، إني لأرى الشاب على كل حالة مُنكَرة فلا أيأس من خيره، حتى أراه يصاحب صاحب بدعة فعندها أعلم أنه قد عَطُب.

الشرح : وهذا - أيضًا - نص لحماد بن زيد بن درهم الأزدي أبي إسماعيل البصري - رحمه الله - الفقيه المحدث المشهور، يقول: قال لي يونس بن عبيد بن دينار العبدي: يا حماد، إني لأرى الشاب على كل حالة منكرة. يعني: من المعاصي. فلا أيأس من خيره.

لا ييأس من خيره؛ لأنه قد يوفق للتوبة، يرجى أن يتوب؛ لأنه يعلم، يحس، يؤنبه ضميره، فالمسلم يحس ويؤنبه ضميره، ويعتقد أنه على باطل ولو شرب الخمر، ولو كان عمل المعصية؛ فهو يعلم أنه على باطل، فقد يؤنبه ضميره، وسرعان ما يتوب إن وفقه الله.

حتى أراه يصاحب صاحب بدعة: إذا رأيته يصاحب صاحب بدعة، فعندها اعلم أنه قد عطب. يعني: هلك؛ لأن صاحب البدعة يعتقد أنه على حق، فلا يفكر في التوبة، وهذا يفيد أن البدعة أشد من المعصية.

❁ ❁ ❁

أثر: ما ازداد صاحب بدعة عبادة إلا ازداد من الله بعدًا

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال الحسن: ما ازداد صاحب بدعة عبادة إلا ازداد من الله بعدًا.

التخريج: رواه الهروي مَرّةً عن الحسن، ومرة عن حماد بن زيد، ورواه ابن وضاح، وعزاه الشاطبي في الاعتصام لابن وهب.

الشرح : وهذا - أيضًا - مقال الحسن البصري - رحمه الله - في التحذير من البدع، يقول: ما ازداد صاحب بدعة عبادة إلا ازداد من الله بعدا؛ لأن عبادته ليست موافقة للشرع، وهي تقدح في شهادة أن محمدًا رسول الله.

والعبادة لا تصح إلا بشرطين:

الأول: أن تكون خالصة لوجه الله؛ فإن لم تكن خالصة لله، دخلها الشرك.

الثاني: أن تكون موافقة للشرع وللسنة، فإن لم تكن موافقة للسنة دخلتها البدعة؛ وإذا تعبد الإنسان بالبدعة، ازداد من الله بعدًا؛ لأنه على غير الشرع؛ ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان، عن عائشة - رضي الله عنها - : **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رد»** (١) من أحدث في أمرنا هذا: يعني: الدين. ما ليس منه فهو رد. يعني: مردود عليه.

---

(١) البخاري: الصلح (٢٦٩٧)؛ ومسلم: الأقضية (١٧١٨)؛ وأبو داود: السنة (٤٦٠٦)؛ وابن ماجه: المقدمة (١٤)؛ وأحمد (٦/ ٢٧٠) .

وفي لفظٍ لمسلم: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا، فهو رد»[1]. أي مردود على صاحبه، فالذي يتعبد بالبدع مردود عليه عمله؛ ولهذا قال الحسن: ما ازداد صاحب بدعة عبادة إلا ازداد بها من الله بعدًا؛ لأن بدعته مخالفة للشرع، ولهدي النبي ﷺ.

❁ ❁ ❁

(١) صحيح مسلم: كتاب الأقضية (١٧١٨)؛ وسنن أبي داود: كتاب السنة (٤٦٠٦)؛ ومسند أحمد (٦/١٤٦، ٦/ ١٨٠، ٦/٢٥٦) .

أثر: المجتهد في العبادة مع الهوى يتصل جهده بعذاب الآخرة

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ابن عون: المجتهد في العبادة مع الهوى يتصل جهده بعذاب الآخرة.

الشرح : قال ابن عون: المجتهد في العبادة مع الهوى؛ أي: مع البدعة يتصل جهده بعذاب الآخرة؛ لأن عبادته ليست موافقة للشرع، فيتصل جهده وعمله بعذاب الآخرة؛ لأنه متوعَّد.

وإن كان يتعب إلا أن تعبه معصية، وهو متوعَّد، يُعذب عليه.



أثر: قال إبليس لأوليائه مِن أين تأتون بني آدم

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال الأوزاعي: قال إبليس لأوليائه: مِن أين تأتون بني آدم ؟ فقالوا: من كل باب. قال: فهل تأتونهم من قِبل الاستغفار؟ قالوا: إن ذلك شيء لا نطيقه، إنهم لمُقِرُّون بالتوحيد. قال: لآتينهم من باب لا يستغفرون الله منه. قال: نبُث فيهم الأهواء والبدع.

التخريج: رواه الدارمي في سننه، واللالكائي، والهروي.

الشرح : وهذا المقال للأوزاعي إمام أهل الشام المعروف - رحمه الله - يبين أن الأهواء والبدع يحبها الشيطان، ويبثها في الناس، وأن إبليس قال لأوليائه: من أين تأتون بني آدم ؟ فقالوا: من كل باب. قال: فهل تأتونهم من قِبل الاستغفار؟ قالوا: لا، إن ذلك شيء لا نطيقه، إنهم لمقرون بالتوحيد. قال: لآتينهم من باب لا يستغفرون الله منه. قال: نبث فيهم الأهواء والبدع.

فالذي يفعل البدعة ما يستغفر الله منها؛ لأنه ما يظن أنه عاصٍ، بخلاف الذي يفعل الكبيرة: يزني أو يسرق أو يشرب الخمر، يستغفر ويتوب؛ لأنه يعلم أنه على باطل، وأنه على معصية، لكن المبتدع ما يعتقد أنه على باطل، ويظنك أنت - وأنت على السنة - على الباطل.

فإذا قلت: هذا باطل، أو هذا بدعة. قال: لا، أنت الذي على الباطل، هذا هو الحق، وهذا هو الصواب. فلا يفكر في التوبة؛ ولهذا قال الشيطان: نبث فيهم الأهواء والبدع حتى لا يستغفروا منها؛ لأنهم لا يعتقدون أنهم على الباطل، بل يعتقدون أنهم على الحق فيستمرون على باطلهم. نسأل الله السلامة والعافية.

أثر: ما ابتدع رجل بدعة إلا غُلَّ صدره على المسلمين

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال سعيد بن عنبسة: ما ابتدع رجل بدعة إلا غُلَّ صدره على المسلمين، واختُلِجَت منه الأمانة.

التخريج: رواه الهروي سعيد بن عنبسة القلاعي.

الشرح: هذا سعيد بن عنبسة - رحمه الله - يقول: ما ابتدع رجل بدعة إلا غل صدره على المسلمين : حقد، صار في صدره حقد على المسلمين، واختلجت منه الأمانة. يعني: ذهبت، وهذا فيه التحذير من البدع، وأن المبتدع لا بد أن يكون في قلبه حقد على المسلمين، على أهل السنة والجماعة؛ لأنه مخالف لهم.

فأهل السنة والجماعة ينكرون عليه بدعته، وهو ينكر عليهم لزوم السنة؛ فيكون في قلبه حقد عليهم، وبالتالي تفقد منه الأمانة، وتخرج الأمانة من صدره، فلا يكون مؤتمنًا؛ لأنه مبتدع، وهذا فيه تحذير من البدع.



أثر: ما ابتدع رجل بدعة إلا سُلب وَرَعُه

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال الأوزاعي: ما ابتدع رجل بدعة إلا سُلب وَرَعُه.

التخريج: رواه الهروي.

الشرح : هذا - أيضًا - مقال للأوزاعي - رحمه الله - يقول: ما ابتدع رجل بدعة إلا سُلِبَ ورعه. يعني: أُخذ منه الورع، فلا يكون ورِعًا؛ لأنه مقيم على البدعة؛ فكيف يكون ورعًا وهو على البدع التي هي أشد من الكبائر! فإذا ابتدع البدعة فلا يكون ورعًا، فالذي لا يتورع عن البدع، ولا يتورع عن المعاصي، يسلب منه الورع.

فالذي يشرب الخمر، ويسرق، ويشهد زورًا، ويتعامل بالربا، هل يقال: إنه ورع؟ لا يقال؛ لأنه عاصٍ، ما يتورع، يأكل المال الحرام بالسرقة أو بالربا، هذا ليس بورع، والذي يفعل البدع أشد منه؛ فإذا كان السارق والمرابي ليس بورع، فالذي يفعل البدعة أشد وأشد وأبعد عن الورع؛ لأن معصيته أشد من معصية فاعل الكبيرة.

۞ ۞ ۞

أثر: ما ابتدع رجل بدعة إلا تبرأ الإيمان منه

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال الحسن: ما ابتدع رجل بدعة إلا تبرأ الإيمان منه.

الشرح : وهذه مقالة للحسن: ما ابتدع رجل بدعة إلا تبرأ الإيمان منه، والمراد بالإيمان؛ أي: الإيمان الكامل، فيكون إيمانه ضعيفًا وناقصًا، إلا إذا كانت هذه البدعة توصل إلى الكفر؛ فإنه يسلب منه الإيمان الكامل والعياذ بالله .

فإن البدعة قد تكون بدعة مكفرة، وقد تكون مفسقة؛ فإذا كانت البدعة مكفرة، مثل: بدعة الروافض الذين يكفرون الصحابة، ويعبدون آل البيت، ويكذبون الله في أنه حفظ القرآن، فهذه بدعة توصل إلى الكفر.

وكذلك القدرية الذين أنكروا علم الله، ونسبوا الله إلى الجهل، هذه بدعة مكفرة. وكذلك الجهمية الذين ينفون الأسماء والصفات، ويصفون الله بالعدم.

وقد تكون البدعة مفسقة، فإذا ابتدع الرجل بدعة مكفرة، فإنه يسلب منه الإيمان بالكلية والعياذ بالله؛ وإذا ابتدع بدعة مُفَسِّقة، فإنه يسلب منه كمال الإيمان، ويبقى أصل الإيمان؛ فيكون إيمانه ضعيفًا.

❁ ❁ ❁

أثر: ما ابتدع رجل بدعة إلا أخذ الله منه الحياء

قال المؤلف - رحمه الله - : قال ابن عون: ما ابتدع رجل بدعة إلا أخذ الله منه الحياء وركب فيه الجفاء.

الشرح : نسأل الله العافية - أيضًا - هذه المقالة لابن عون، وهي تحذير من البدع، يقول: ما ابتدع رجل بدعة إلا أخذ الله منه الحياء. يعني: صار لا يبالي.

فإذا كان العاصي الذي يفعل الزنا والسرقة منزوعًا منه الحياء، فالمبتدع أشد نزعًا للحياء؛ لأن بدعته أعظم؛ لأنه تجرأ على ارتكاب البدعة، وترك السنة، فلا شك أنه ليس عنده حياء، فالله - تعالى - يأخذ منه الحياء، ويركب فيه الجفاء - نسأل الله العافية - لأنه يكون جافيًا بسبب جفائه للسنة، وتركه لها.

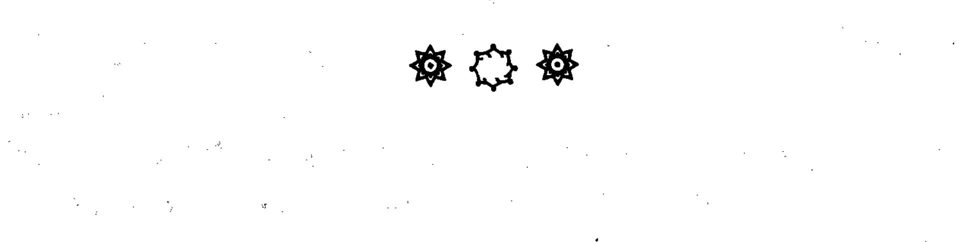


أثر: دخلتُ على ابن عباس فقلت أوصني

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال عثمان بن حاضر الأزدي: دخلتُ على ابن عباس فقلت: أوصني، فقال: عليك بالاستقامة، اتبع ولا تبتدع.

التخريج: رواه الدارمي، والمصنف في الكبرى، والهروي، وابن وضاح.

الشرح : وهذه المقالة لعثمان بن حاضر الأزدي يروي عن ابن عباس أنه دخل عليه فقال: أوصني. قال: عليك بالاستقامة، اتبع ولا تبتدع. عليك بالاستقامة؛ أي: استقم على السنة، واستقم على الدين؛ أي: فاتبع القرآن والسنة. والاستقامة: هي الاستقامة على الدين، وهو لزوم الكتاب والسنة، فأمره بالاستقامة على الدين إجمالًا، ثم فصَّل، فقال: اتبع ولا تبتدع. وهذا تحذير له من البدعة؛ أي: اتبع ما جاءت به النصوص، ولا تكن من أهل البدع، فهذا فيه التحذير من البدع.



أثر: اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كُفِيتم

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ابن مسعود: اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كُفِيتم؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

التخريج: رواه الدارمي، وابن أبي خيثمة في كتاب العلم بسند صحيح، كما قال محققه الشيخ الألباني، ورواه البغوي في شرح السنة، واللالكائي، والهروي، ومحمد بن نصر المروزي.

الشرح : وهذا الأثر عن ابن مسعود رضي الله عنه ثابت معلوم، وقد تناقله أهل العلم واحتجوا به، وهو مشهور عن ابن مسعود رضي الله عنه اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفِيتم؛ أي: اتبعوا ما جاء في الكتاب والسنة، ولا تبتدعوا، فقد كفيتم؛ أي: كفاكم الله وكفاكم رسوله ﷺ بما أغناكم عن البدع بما شرع لكم في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ فقد كُفِيتم.

ثم قال: فإن كل مُحدَثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وهذا جاء معناه في الحديث الصحيح**«كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»** [١]. هذا ثابت في الحديث الصحيح، وزاد النسائي:**«وكل ضلالة في النار»** [٢].

كل محدثة، يعني: كل محدثة في الدين، والمحدث في الدين: هو ما أحدث في دين الله، وفي شرعه مما لم يشرع في كتاب الله، ولا على لسان

---

(١) مسند أحمد (٤/ ١٢٦) (١٧١٥)، وقال الشيخ شعيب : حديث صحيح، الدارمي (١/ ٥٧)، صحيح ابن حبان (١/ ١٧٨) (٥)، المستدرك (١/ ١٧٦) (٣٣٢).

(٢) النسائي في الكبرى (١/ ٥٥٠) (١٧٨٦)، صحيح ابن خزيمة (٣/ ١٤٣) (١٧٨٥)، والطبراني في الكبير (٩/ ٩٧) (٨٥٢١).

رسوله ﷺ فهذا بدعة، والبدعة ضلالة؛ فلهذا قال: «**فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»[١]. وزاد النسائي في روايته: «**وكل ضلالة في النار**»[٢]. وهذا فيه تحذير من البدع، وأن صاحبها متوعد بالنار.

۞ ۞ ۞

(١) تقدم قريبًا.
(٢) تقدم قريبًا.

أثر: لا تُحَدّث بكل ما سمعت

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال طلحة بن مصرف: لا تُحدِّث بكل ما سمعت إلا أن يكون الذي حدثكم على السُّنة.

الشرح : وهذه مقالة من طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب الكوفي - رحمه الله - يقول: لا تحدث بكل ما سمعت. أي: تخيَّر؛ فالإنسان يسمع من الكلام الطيب والخبيث، وإنما يختار فينظر إذا كان الذي سمعه خيرًا، فيحدث به؛ وإن كان شرًّا، فلا يحدث به؛ لهذا جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: **«كفى بالمرء إثمًا أن يحدِّث بكل ما سمع»**[1].

إذ أن الإنسان إذا كان يحدث بكل ما سمعه، فقد يسمع الزور ويحدث به، ويسمع الباطل ويحدث به، وقد يسمع الكفر من كافر، فهل يحدث به؟! لا، فالإنسان يختار .

ومن يسمع الغيبة هل يحدث بالغيبة؟ لا، بل عليه أن ينكر على صاحبها، ولا يحدِّث بها، ومن يسمع الباطل ينكر على صاحبه ولا يحدث به.

ولهذا قال طلحة بن مصرف: لا تحدث بكل ما سمعت إلا أن يكون الذي حدثكم على السنة فحدِّث به؛ لأنه خير؛ وإن كان على البدع، فلا تحدث به.

❁ ❁ ❁

---

(١) مسلم: مقدمة (٥)؛ وأبو داود: الأدب (٤٩٩٢) .

أثر: لأن أرى في المسجد نارًا تضطرم أَحَبُّ إليّ من أن أرى فيه بدعة

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال أبو إدريس الخولاني: لأن أرى في المسجد نارًا تضطرم أَحَبُّ إليَّ من أن أرى فيه بدعة لا تُغَيَّر.

التخريج: رواه المروزي في السنة، ورواه من قول ابن عمر - أيضًا - ورواه ابن بطة في الكبرى، ورواه ابن وضاح، وعزاه الشاطبي في الاعتصام لابن وهب.

الشرح : وهذه المقالة لأبي إدريس الخولاني؛ عائذ بن عبد الله الدمشقي عالم أهل الشام يقول: لأنْ أرى في المسجد نارًا تضطرم - تشتعل = أحبُّ إليَّ من أن أرى فيه بدعة لا تُغَيَّر؛ لأن النار التي في المسجد تضطرم يمكن إطفاؤها، ولا يضر إذا أكلتْ شيئًا من المسجد أو جانب المسجد؛ إذ يمكن إصلاحه، فلا يضر هذا.

وإن كان هذا نقصًا، لكنه نقص دنيوي مقدَّر، لكن المصيبة هي البدعة التي لا تغيَّر؛ لأن هذا نقص في الدين، وتضر العقائد، وتضر الدين كما أن اضطرام النار في المسجد مصيبة، والإنسان قد يثاب على المصيبة قال - تعالى - : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [1].

---

(١) سورة البقرة آية : ١٥٥ .

ولهذا فضل أبو إدريس الخولاني - عالم الشام - المصيبة الدنيوية على المصيبة الدينية؛ لأن النار التي في المسجد التي تطرم مصيبة دنيوية يسهل جبرها، والبدعة التي لا تغير مصيبة دينية يصعب جبرها؛ فكانت المصيبة الدنيوية أسهل وأخف من المصيبة الدينية.





أثر: ما يكاد الله يأذن لصاحب بدعة بتوبة

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال عطاء: ما يكاد الله يأذن لصاحب بدعة بتوبة.

التخريج: رواه الهروي في ذم الكلام، وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية، عن ابن عباس مرفوعًا، وأوله: أبى الله... وقال: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ وفيه مجاهيل.

الشرح: هذا ليس بحديث، بل هو من كلام عطاء، وأوله: ما يكاد الله أو يأبى الله لصاحب بدعة بتوبة؛ أي: في الغالب أن صاحب البدعة لا يتوب؛ لأنه يعتقد أنه على الحق فيستمر على بدعته، ولا يفكر في التوبة وقد يُوفَّق للتوبة كما هو معتقد أهل السنة والجماعة، وكم من مبتدع منَّ الله عليه، لكن المراد الأغلب؛ ولهذا قال: لا يكاد؛ أي: ما يقرُب في الغالب، وهذا هو الأغلب.



أثر: من أَقَرَّ باسم من هذه الأسماء المحدثة، فقد خلع رِبقَةَ الإسلام من عنقه

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ابن عباس: من أَقَرَّ باسم من هذه الأسماء المحدثة، فقد خلع رِبقَةَ الإسلام من عنقه.

التخريج: رواه الخطابي في غريب الحديث، والأثرم في مسائل أحمد وعبد الرزاق في المصنَّف، والمصنِّف في الكبرى، والهروي ورواه الشهاب القضاعي في مسنده مرفوعًا من حديث أبي ذر.

وهذه المقالة عن ابن عباس رضي الله عنه تحذير من البدع، قال: من أقر باسم من هذه الأسماء المحدثة. يعني: من أقرها ولم ينكرها، ورضي بها، فإنه يكون مبتدعًا؛ لأن الراضي كالفاعل، فالذي يرضى بالبدع، ويقر بالبدع له حكم أهل البدع، كما أن الذي يقر بالمعاصي له حكم أهل المعاصي.

والذي يقر بالكفر له حكم الكفر؛ فإذا رضي الإنسان بالكفر وأقر الكفر، صار كافرًا مثلهم، ولو لم يفعل الكفر، بمجرد الرضا؛ وإذا رضي الإنسان بالبدعة وأقرها، صار مبتدعًا، له حكم أهل البدع، ولو لم يعمل بها.

وإذا رضي الإنسان بالمعصية والكبيرة، فله حكم العاصي، ولو لم يفعلها؛ فإذا جلس الإنسان في مجلس يسب فيه دين الإسلام، أو يسب الله ورسوله، وسكت ولم ينكر وهو قادر، فيكون كافرًا مثلهم، حكمه حكم الفاعل؛ لأنه ما أنكر ورضي واستمر جالسًا معهم، فالواجب عليه أحد أمرين: إما أن ينكر عليهم، أو يقوم؛ فإن لم ينكر ولم يقم، فهو كافر مثلهم.

وكذلك من جلس عند صاحب بدعة، وهو يفعل بدعة وسكت ولم ينكر،

ولم يقم، وهو يستطيع، فهو مبتدع مثله، فالواجب عليه إما أن ينكر البدعة، أو يقوم.

وكذلك من جلس عند من يشرب الخمر، أو يسرق أو يتعامل بالربا يجب عليه أحد أمرين: إما أن ينكر عليه تعامله بالربا، أو ينكر عليه شربه الخمر، أو شربه الدخان، أو الغيبة والنميمة.

فإن كان لا يستطيع الإنكار، يقوم من المجلس؛ فإن جلس ولم ينكر ولم يقم، فله حكمهم؛ فإن كانوا يشربون الخمر، فحكمه حكم شارب الخمر؛ وإن كانوا يتعاملون بالربا، فله حكم المتعاملين بالربا؛ وإن كانوا يشربون الدخان، فله حكم من يشربون الدخان، إن كانوا يغتابون الناس له حكم المغتابين.

قال الله - تعالى - في كتابه العظيم: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾[1].

❁ ❁ ❁

(١) سورة النساء آية : ١٤٠ .

أثر: إياكم وكل اسم يسمى بغير الإسلام

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ميمون بن مهران: إياكم وكل اسم يسمى بغير الإسلام.

التخريج: رواه المصنف في الكبرى.

الشرح : وهذا الأثر من ميمون بن مهران - رحمه الله - وهو تحذير من البدع، قال: إياكم وكل اسم يسمى بغير الإسلام. لأن كل اسم يسمى بغير الإسلام فهو مُبْتَدَع، فكل اسم تسمى بغير الإسلام معناه تجاوز الإسلام، وصار حدثًا في دين الله، وقد قال - عليه الصلاة والسلام - : «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رد**»[1]. فهذا فيه تحذير من البدع.

❁ ❁ ❁

(١) البخاري: الصلح (٢٦٩٧)؛ ومسلم: الأقضية (١٧١٨)؛ وأبو داود: السنة (٤٦٠٦)؛ وابن ماجه: المقدمة (١٤)؛ وأحمد (٦/ ٢٧٠) .

أثر: لم يكن من هذه الأهواء على عهد النبي ﷺ

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال مالك بن أنس: لم يكن من هذه الأهواء على عهد النبي ﷺ ولا أبي بكر ولا عمر ولا عثمان.

التخريج: رواه الهروي.

الشرح : وهذه المقالة من الإمام الجليل مالك بن أنس - رحمه الله - تحذير من البدع، وأن البدع لم تكن على عهد النبي ﷺ ولا أبي بكر ولا عمر ولا عثمان، ليست في زمن الخلفاء الثلاثة، لكن حدثت في زمن الخليفة الراشد علي رضي الله عنه فنشأت الخوارج وابتدعوا البدع.

ونشأت السبئية الذين ألهوا عليًا رضي الله عنه وقالوا: أنت الإله، فَخَدَّ لهم أخدودًا، يعني: حفر في الأرض وأضرمها نارًا، وألقاهم فيها لما لم يرجعوا عن كفرهم، وقال لمولاه قنبر:

لـمّـا رأيـتُ الأمـرَ أمـرًا مُـنـكَـرا أجّـجـتُ نـاري ودعـوتُ قـنـبـرا

فخَدَّ أخاديد وأضرمها بالنار وألقاهم فيها، وكذلك الشيعة والخوارج كلهم نشأوا في زمن الخليفة علي رضي الله عنه؛ فالبدع نشأت في أواخر عهد الصحابة؛ ولهذا قال مالك بن أنس - رحمه الله - : لم يكن من هذه الأهواء - يعني: البدع - شيء على عهد النبي ﷺ ولا أبي بكر ولا عمر ولا عثمان، إنما خرجت الخوارج والشيعة في زمن علي رضي الله عنه، وكذلك المرجئة في أواخر عهد الصحابة. وفيه التحذير من البدع، وأنها ليست في العصور الأولى.

❁ ❁ ❁

أثر: إذا تسمى الرجل بغير الإسلام والسنة فألحقه بأي دين شئت

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال مالك بن مِغْوَل: إذا تسمى الرجل بغير الإسلام والسنة، فألحقه بأي دين شئت.

الشرح : نسأل الله العافية! هذا قول مالك بن مغول: إذا تسمى الرجل بغير الإسلام والسنة. معناه: خرج عن الإسلام، وخرج عن السنة، إذًا فألحقه بأي دينٍ شئت؛ فإن شئت قلت: إنه على دين المشركين، أو على دين النصارى، أو على دين اليهود، أو على دين المجوس، كل ما كان خلاف دين الإسلام فهو كفر.

والكفر ملة واحدة، إن قلت: يهوديًا أو نصرانيًا أو وثنيًا أو مجوسيًا، فكلهم كفرة، ما خالف دين الإسلام فهو الباطل.

وهذا فيه تحذير من البدع؛ لأن البدع قد تخرج الإنسان من الإسلام، فالبدع قد تكون مكفرة؛ فإذا كانت مكفرة، خرج بها صاحبها من الإسلام؛ وإذا كانت غير مكفرة؛ فهي بريد الكفر، فالواجب الحذر منها.

وإذا تسمى الرجل بغير الإسلام والسنة، فألحقه بأي دين شئت؛ لأن الكفر ملة واحدة، ولو كانت الأديان متعددة، وكلها توصل إلى النار، فكل الكفرة من أهل النار، ما دام خرج عن الإسلام والسنة فهو كافر، على أيَّة ملة من ملل الكفر.

والكفرة - وإن كانت لهم ملل متعددة - يجمعهم شيء واحد، وهو أنهم مخلدون في النار، نعوذ بالله ونسأل الله السلامة والعافية!!

أثر: إن فيما أنزل الله على موسى لا تجالس أهل الأهواء

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال عطاء: إن فيما أنزل الله - تبارك وتعالى - على موسى - عليه السلام - : لا تجالس أهل الأهواء، فيحدثوا في قلبك ما لم يكن.

التخريج: رواه المصنِّف في الكبرى، والهروي.

الشرح : وهذا من أخبار بني إسرائيل؛ لأن بين عطاء وبين موسى - عليه السلام - دهورًا وأزمنة طويلة تنقطع دونها أعناق المُطِيّ، يقول عطاء: إن فيما أنزل الله - تبارك وتعالى - على موسى - عليه السلام - : لا تجالس أهل الأهواء - يعني: أهل البدع - فيحدثوا في قلبك ما لم يكن. أي: ما لم يكن فيه من قبل إذا كنت على السنة وعلى الحق، فإذا جلست لأهل البدع، أحدثوا في قلبك شيئًا لم يكن فيه من قبل.

فهذا فيه التحذير من البدع، ولكن لا حاجة إلى الآثار الإسرائيلية، لكن المؤلف - رحمه الله - نقل هذا الأثر الإسرائيلي من باب تَضافر الآثار والأدلة وتناصرها؛ وإلا ففي الأحاديث الصحيحة، والآثار عن الصحابة والتابعين كفاية عن الآثار الإسرائيلية.

❁ ❁ ❁

أثر: ما ابتدع قوم بدعة إلا استحلوا فيها السيف

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال أبو قِلابة: ما ابتدع قوم بدعة إلا استحلوا فيها السيف.

التخريج: رواه الدارمي بسند صحيح، ورواه الآجري في الشريعة بسندٍ رواته ثقات إلا عبد الأعلى بن حماد، قال فيه الحافظ في التقريب: لا بأس به، وهو من رجال الشيخين؛ ورواه اللالكائي، وعزاه الشاطبي لابن وهب.

الشرح : وهذه المقالة لأبي قلابة التابعي المعروف فيها التحذير من البدع، يقول: إن البدع توصل إلى القتال بين المسلمين، ويستحل فيها المبتدع قتل أهل السنة والجماعة؛ ولهذا قال: ما ابتدع قوم بدعة إلا استحلوا فيها السيف بسبب حقدهم على أهل السنة والجماعة وبسبب اعتقادهم أنهم على الحق، وأن أهل السنة على الباطل؛ فلأجل هذا يستحلون قتالهم، ويستحلون السيف، فتجد بعض الجهمية يستحلون دماء أهل السنة ويعتقدون أن دمهم حلال، وكذلك الرافضة يستحلون دم أهل السنة، وكذلك الخوارج والمعتزلة وغيرهم، وهذا مصداق لقول أبي قلابة السابق.



أثر: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ﴾

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال أبو قلابة في قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾(١). قال أبو قلابة: فهي جزاء كل مفترٍ إلى يوم القيامة.

التخريج: رواه الهروي.

الشرح : وهذه المقالة لأبي قلابة يبين أن هذه الآية تشمل المبتدعة، وهي قول الله عز وجل في عُباد العجل من بني إسرائيل، وأن الله - تعالى - ابتلاهم بعبادة العجل حتى أُشرِبَ في قلوبهم حبها ﴿وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾(٢). يعني: حُبَّ العِجل.

وقال سبحانه في آية الأعراف: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ﴾(٣) يعني: عبدوه من دون الله، وهم بنو إسرائيل، لما ذهب موسى لميقات ربه، واستخلف أخاه هارون ماذا عمل السامري؟

صنع لهم عجلًا، أخذ الحُلي وصوَّرها بصورة العجل، وصار له خُوَار، وقال لبني إسرائيل: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾(٤) واستمروا على عبادتهم، وحاول هارون - عليه الصلاة والسلام - أن يمنعهم فما استطاع،

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٥٢ .

(٢) سورة البقرة آية : ٩٣ .

(٣) سورة الأعراف آية : ١٥٢ .

(٤) سورة طه آية : ٨٨ .

وكادوا يقتلونه، و ﴿قَالُوا۟ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ﴾(١).

فلما أتى موسى عليه السلام أخبر الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام فقال تعالى: ﴿فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ﴾(٢) قبل أن يأتي إليهم وعلم علم اليقين ولا إشكال فيه أنهم فُتنوا ﴿فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ﴾(٣) وأخبره الله أنهم عبدوا العجل.

لكن لما جاء ووصل إلى بني إسرائيل ووجدهم يعبدون العجل شاهدهم بعينه، غضب غضبًا شديدًا حتى ألقى الألواح التي في يده، وفيها كلام الله وتكسرت من شدة الغضب، ولم يؤاخذه الله؛ لأنه غضبان معفو عنه.

وأخذ برأس أخيه ولحيته وهو هارون يجره إليه، وهو نبي كريم مثله، لكن من شدة الغضب، يقول: كيف تتركهم يعبدون العجل؟ فقال له هارون: يا ابن أم، هو أخوه من أبيه وأمه، لكن من باب الاستعطاف ﴿لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي﴾(٤).

وفي الآية الأخرى: ﴿قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُوا۟ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٥)، ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ﴾(٦)، ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾(٧).

ولم يؤاخذه الله لأنه غضبان، ولأن له منزلة عند الله، وهذا دليل على أن

---

(١) سورة طه آية: ٩١.
(٢) سورة طه آية: ٨٥.
(٣) سورة طه آية: ٨٥.
(٤) سورة طه آية: ٩٤.
(٥) سورة الأعراف آية: ١٥٠.
(٦) سورة الأعراف آية: ١٥٤.
(٧) سورة الأعراف آية: ١٥١.

الرؤية ليست كالعلم، ليس الخبر كالمعاينة، أخبره الله ومتيقن مثل الشمس أنهم عبدوا العجل لكن لما جاء ورآهم بعينه يعبدون العجل، تغير الحال، فدلَّ على أنه ليس الخبر كالعِيان.

والله - تعالى - عاقبهم بهذه العقوبة وجعل من توبتهم جاءتهم ظلمة وصار يقتل بعضهم بعضًا وغضب الله عليهم وألزمهم الذلة وأنزل قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ﴾(١).

قال أبو قلابة: فهي جزاء كل مفتر إلى يوم القيامة، ومنهم أهل البدع فهم مفترون، لهم نصيب من الغضب، ولهم نصيب من الذلة. هذا فيه تحذير من البدع.



(١) سورة الأعراف آية : ١٥٢ .

أثر: أهل الأهواء أهل ضلالة ولا أرى مصيرهم إلا إلى النـــار

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال أبو قلابة: إن أهل الأهواء أهـل ضلالة، ولا أرى مصيرهم إلا إلى النار، فجربهم فليس أحد منهم ينتحل رأيًا أو قال قولًا فيتناهى دون السيف، وإن النفاق كان ضـروبًا، ثـم تـلا: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ﴾[(١)]، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾[(٢)]، ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ﴾[(٣)].

واختلف قولهم واجتمعوا في الشك والتكذيب، وإن هؤلاء اختلف قولهم واجتمعوا في السيف، ولا أرى مصيرهم إلا إلى النار.

التخريج: رواه أبو الشيخ عن أبي قلابة بلفظ: مثل أصحاب الأهواء مثل المنافقين كلامهم شيء، وجماع أمرهم النفاق، ثم تلا قول الله - تعالى -، وأخرجه ابن سعد، والدارمي.

الشرح : فالمبتدع متوعَّد بالنار، وإيمان المبتدع إيمان ضعيف، إن مات على بدعة من غير توبة إلا إذا كانت بدعته توصله إلى الكفر، فهذه ردة والعياذ بالله.

وينتحل رأيًا. يعني: يعتقد ويعتنق رأيًا، أو قال: قولًا فيتناهى به إلى السيف.

---

(١) سورة التوبة آية : ٧٥ .

(٢) سورة التوبة آية : ٥٨ .

(٣) سورة التوبة آية : ٦١ .

وإذا جرَّبت أهل البدع، فإنك لا تجد مبتدعًا ينتحل رأيًا، ولا يقول قولاً مبتدعًا إلا يصل أمره إلى السيف، يعني: يستحل قتال أهل السنة والجماعة يقاتلهم بالسيف بسبب حقده وبغضه لأهل السنة والجماعة واعتقاده أنه على الحق.

وأهل البدع - وإن كانت البدع متنوعة - يجتمعون في الحقد على أهل السنة والجماعة، واستحلال السيف، واستحلال قتالهم؛ والنفاق -وإن كان ضروبًا يعني: أنواعًا - أهله يجتمعون في الشك والتكذيب.

فكلهم يشكون في خبر الله وخبر الرسول، ويكذبون الله ويكذبون رسوله، وإن كانوا أنواعًا، يجمعهم الشك والتكذيب، والدليل على أن النفاق أنواع أن الله - تعالى - أخبر عنهم في سورة التوبة قال: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾[1] فهذا نوع من النفاق، وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[2] وهذا نوع آخر من النفاق، وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾، وهذا نوع ثالث من النفاق، ولكن يجمعهم شيء واحد وهو الشك والتكذيب، الشك في خبر الله وخبر رسوله، والتكذيب لله ولرسوله.

وكذلك المبتدعة: هذا بدعة - مثلًا - في الصحابة، بدعة في الأسماء والصفات، بدعة في الأحكام، بدعة في العمل، فهي أنواع وضروب، لكن يجمعهم شيء واحد هو استحلال قتال أهل السنة والجماعة

---

(١) سورة التوبة آية : ٧٥ - ٧٦ .

(٢) سورة التوبة آية : ٥٨ .

ولهذا قال: وإن هؤلاء اختلف قولهم. يعني: أهل البدع، واجتمعوا في السيف – يعني: القتال. ولا أرى مصيرهم إلا إلى النار. ففيه التحذير من البدع.

۞ ۞ ۞



أثر: مَن فارق الجماعة شبرًا، فقد خلع رِبقَةَ الإسلام من عنقه

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ابن عباس: مَن فارق الجماعة شبرًا، فقد خلع رِبْقَةَ الإسلام من عنقه.

التخريج: هذا الأثر جاء مرفوعًا عند الترمذي من حديث الحارث الأشعري، وقال الترمذي حديث حسن صحيح. وقال صاحب تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي: وأخرجه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما، والحاكم وقال: صحيح على شرط البخاري ومسلم. وأخرجه النسائي ببعضه، وأخرجه أبوداود في كتاب السنة، وقال صاحب عون المعبود: والحديث سكت عنه المنذري. قلت: وقد أقر الذهبي تصحيح الحاكم وتبعه صاحب تحفة الأحوذي.

والذي تبين لي أن الحديث ليس على شرط الشيخين، فإن عبد الله بن صالح لم يرو له مسلم لضعفه، وقد نبه على ذلك الذهبي في تلخيص المستدرك، ولكنه فات عليه ذلك هنا، وأيضًا فإن خالد بن أبي عمران لم يخرج له البخاري كما قاله الحافظ ابن حجر في التقريب.

وأما رواية ابن عباس، فقد أخرجها الطبراني في المعجم الكبير، كما أشار السيوطي إلى ذلك في الجامع الكبير، وساق جميع ألفاظ الحديث عن ابن عمر ومعاوية وأنس وحذيفة وأبي ذر وأسعد بن زرارة وابن مسعود، وظهر أن قول صاحب تحفة الأحوذي أن الحديث أخرجه ابن حبان وابن خزيمة في صحيحيهما وَهْمٌ.

كما فات السيوطي أن يذكر أن للحديث طريقًا آخر عن علي رواه ابن بطة في إبانته الكبرى، واكتفى بذكره في الرسالة التي بين أيدينا بدون سند.

الشرح : وهذا قول ابن عباس فيه الوعيد على أهل البدع، وأن البدع من الكبائر، والحديث رواه مسلم باختلاف في أول لفظه، فرواه مسلم بلفظ: «**من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر؛ فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات، فميتته جاهلية**»(١). وفي لفظ: «**فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه**»(٢).

وهذا الحديث يدل على أن الخروج على ولاة الأمور من كبائر الذنوب، وأنه لا يجوز الخروج على ولاة الأمور للمعاصي؛ ولو رأى المعاصي في البلد، فلا يخرج على ولاة الأمور، وإنما المعاصي ينكرها الإنسان بقدر استطاعته.

فينكر باليد إن استطاع؛ فإن عجز فباللسان؛ فإن عجز فبقلبه، وينكر المعاصي كذلك - أيضًا - بأن يبلغ - مثلًا - أهل العلم، ليخاطب أهل العلم وُلاة الأمور بما يليق بهم، وإن قدرتَ أن تفعل ذلك، فهذا خير؛ وإن لم تقدر، فأنت معذور؛ أما أن تخرج على ولاة الأمور، فلا يجوز.

وقتال ولاة الأمور والخروج عليهم من المعاصي؛ لأن هذه طريقة أهل البدع، وهذا من كبائر الذنوب.

وهذا الحديث في صحيح مسلم: «**من رأى من أميره شيئًا يكرهه، فليصبر**»(٣).

أي: يتحمل، ولو رأيت المعاصي، فاصبر ولا تقاتل؛ لأنك إذا خرجت على ولي الأمر، فقد ارتكبت مفسدة أعظم، فأنت بذلك تريد أن تنكر المنكر وتقع في منكر أعظم، تريد أن تدفع مفسدة صغرى بمفسدة كبرى، فهذا لا يصح.

---

(١) المسند (٤/ ٢٠٢) (١٧٨٣٣) ، وذكر فيه هذه العبارة لكن في غير هذا الحديث وغير هذا السياق ، لكن في معنًى مناسب لهذا .
(٢) النسائي: قطع السارق (٤٨٧٢) .
(٣) سبق تخريجه.

ولهذا قال العلماء: الإنسان إذا رأى منكرًا فله أحوال: الحال الأولى: أن يزول هذا المنكر إذا أُنكر - الحال الثانية: أن يخف المنكر، الحال الثالثة: أن يحدث منكر مثله أو منكر أشد، وهذا مثاله: الإنكار على ولي الأمر بالخروج عليه، كرجل رأى المعاصي في البلد؛ فخرج على ولاة الأمور، يقول لهم - مثلًا - : لماذا يوجد سفور؟! لماذا يوجد كذا؟! ولماذا يوجد دخان؟! لماذا يوجد خمور؟! فيصير مقاتلًا لولاة الأمور.

فإذا خرجت على ولي الأمر بالقتال حصل إراقة دماء، وانقسام الناس، واختلال الأمن، واختلال الاقتصاد، واختلال التجارة والزراعة، واختلت أمور المسلمين، وتدخل الأعداء وتربضوا بهم الدوائر، كل هذه مفاسد أعظم من مفسدة المنكر الذي تريد أن تنكره.

والقاعدة عند أهل العلم التي دلت عليها النصوص أنه إذا اجتمعت مفسدتان لا يمكن تركهما نرتكب المفسدة الصغرى لترك الكبرى، فهاتان مفسدتان: مفسدة الخروج على ولي الأمر، ومفسدة المنكر؛ نصبر على مفسدة المنكر، ولا نرتكب المفسدة الكبرى وهي الخروج على ولاة الأمور.

وإذا اجتمعت مصلحتان لا يمكن فعلهما نفعل المصلحة الكبرى، ولو زالت المصلحة الصغرى، فهذه قواعد معروفة عند أهل الشرع؛ لذلك ينبغي للإنسان ألا يغلب جانب التحمس والعاطفة التي على غير بصيرة، ويرجع إلى أهل العلم إذا أشكل عليه شيء ويسأل.

فبعض الشباب يكون لديه التحمس أو الاندفاع لكن على غير بصيرة، فلا بد أن يكون عملك مقيدًا بالشرع، بأن ترجع إلى أهل العلم وإلى أهل الخبرة، وإلى أهل البصيرة حتى يبينوا لك ويوضحوا لك النصوص والأمر الواجب عليك.

وكذلك ابن عباس قال: من فارق الجماعة شبرًا فمات، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، وأهل البدع فارقوا الجماعة فهم مرتكبون لكبيرة، ولا يلزم من هذا الكفر.

أثر: لا تقوم الساعة حتى تكون خصومة الناس في ربهم

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال محمد ابن الحنفية: لا تقوم الساعة حتى تكون خصومة الناس في ربهم.

التخريج: هذا الأثر ورد مرفوعًا من حديث أبي هريرة، وأخرجه أبو نصر الديلمي كما جاء في الدر المنثور.

وسئل الإمام الدارقطني عن هذا الحديث مرفوعًا فقال: يرويه أبو قلابة عن حسين بن حفص عن الثوري عن سهيل عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ووهم فيه، وإنما روي عن الثوري هذا الحديث من حديث منذر الثوري عن محمد ابن الحنفية من قوله: غير مرفوع. وقال أبو العالية: ذكرت ذلك لابن المديني فقال: ليس بشيء، إنما الحديث حديث ابن الحنفية.

الشرح : فما زال المؤلف - رحمه الله - يورد الآثار والأحاديث في بيان وجوب لزوم الجماعة، والحذر من البدع وأهل البدع.

وهذا الأثر عن محمد ابن الحنفية، وهو محمد بن علي بن أبي طالب لكن سمي محمد ابن الحنفية نسبة إلى أمه؛ لأنها من سبايا بني حنيفة؛ لما ارتد بنو حنيفة وارتد العرب، وقاتل الصحابة - رضوان الله عليهم - المرتدين، فقاتلوا بني حنيفة صار من سباياهم أم محمد ابن الحنفية تسرَّاها علي بن أبي طالب رضي الله عنه وصار يسمى محمد ابن الحنفية تمييزًا له عن إخوته، وإلا فهو محمد بن علي بن أبي طالب.

يقول: والصواب أن هذا موقوف ليس مرفوعًا، يقول: لا تقوم الساعة حتى تكون خصومة الناس في ربهم. يعني: أن خصومتهم في الصفات والأسماء، وفي أفعال الله، وفي قدره وقضائه، وهذا فيه التحذير من الخصومات والنزاع والشقاق في الأسماء والصفات وفي القدر؛ لأنه يولد الشبهات، والشبهات تولد البدع.

وهذا القول - وإن كان الصواب أنه موقوف على محمد ابن الحنفية - قاله استنادًا إلى النصوص الكثيرة التي فيها النهي عن البدع والخصومات والنزاع، وأنه يجب على الإنسان أن يُسَلِّم لله ولرسوله ﷺ.

وليس له أن يعترض على أفعال الله ولا صفاته، فلا يسأل عن صفات الله، فلا يقول: كيف؟ ولا يقول: لم؟ «كيف» في الصفات، و «لم» في الأفعال، وقد تأدب بذلك الصحابة والتابعون ومن بعدهم، فلزموا كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ وأعرضوا عن الشبهات والخصومات.

أما المتأخرون، فإنهم بسبب بعدهم عن مشكاة النبوة واختلاطهم بالأعاجم، وترجمة الكتب - كتب اليونان والرومان - نشأت الخصومات والنزاع في القدر، وفي أفعال الله وفي صفاته وأسمائه؛ ولهذا قال محمد ابن الحنفية - رحمه الله - : لا تقوم الساعة حتى تكون خصومة الناس في ربهم. وهذا فيه التحذير من النزاع والخصومات التي تولد الشبهات، والشبهات تولد البدع.

۞ ۞ ۞

أثر: يوشك أن تظهر شياطين مما أَوْثَق سليمان بن داود

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال عبد الله بن عمرو: يوشك أن تظهر شياطين مما أَوْثَق سليمان بن داود - عليه السلام - يفقهون الناس.

التخريج: أخرجه عبد الرزاق في المصنف بسند صحيح بلفظ: فتقرأ على الناس قرآنًا. وأخرجه مسلم في صحيحه، وابن وضاح كلهم عن عبد الله بن عمرو بن العاص .

الشرح : وهذا الأثر عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - كما ذكر المحقق، أخرجه عبد الرزاق في المصنَّف، وأخرجه مسلم وأخرجه الدارمي - أيضًا - في سننه في المقدمة، فقال: أخبرنا محمد بن يوسف عن سفيان عن ليث عن طاوس عن عبد الله بن عمرو.

قال: يوشك أن يظهر شياطين قد أوثقها سليمان بن داود - عليه السلام - يفقهون الناس في الدين. وهذا فيه تحذير من الإصغاء إلى شبه شياطين الجن والإنس .

الشيطان اسم للمتمرد من كل جنس، فالمتمرد من الجن يسمى شيطانًا كافرًا، والمؤمن من الجن لا يسمى شيطانًا، والمتمرد من الإنس يسمى شيطانًا أيضًا، فالشياطين يكونون من الإنس ومن الجن، وهو المتمرد من كل نوع، وكذلك من الدواب كما قال - سبحانه - : ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ (١) .

---

(١) سورة الأنعام آية : ١١٢ .

وهذا فيه التحذير من الشبهات التي يلقيها شياطين الإنس وشياطين الجن فقوله: يوشك؛ أي: يقرب أن تظهر الشياطين مما أوثق سليمان بن داود - عليه الصلاة والسلام - يفقهون الناس في الدين؛ أي: يزعمون أنهم يفقهون الناس في الدين، وهم يلبسون على الناس، ويُدخلون في الدين ما ليس منه، وأي فقه عند الشياطين!

لكن المراد يفقهون الناس في الدين، أي: يزعمون أنهم يفقهون الناس في الدين، وهم يغيرون الدين رأسًا على عقب، وهذا فيه التحذير من الإصغاء إلى ما تلقيه شياطين الجن وشياطين الإنس من الشبهات والشهوات من الشبهات التي تتولد منها البدع، والبدع مخالفة للدين، وهي حدث في الدين.

ولهذا ثبت في الصحيحين من حديث عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رد**»[1]. وفي لفظ لمسلم: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا، فهو رد**»[2].

فإذًا الحدث والبدع ليست من الدين، وإنما هي حدث في الدين، ولكن هؤلاء الشياطين من تلبيسهم للناس يزعمون أنهم يفقهونهم في الدين من باب التلبيس.

❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري: الصلح (٢٦٩٧)؛ ومسلم: الأقضية (١٧١٨)؛ وأبو داود: السنة (٤٦٠٦)؛ وابن ماجه: المقدمة (١٤)؛ وأحمد (٦/ ٢٧٠).

(٢) صحيح مسلم: كتاب الأقضية (١٧١٨)؛ وسنن أبي داود: كتاب السنة (٤٦٠٦)؛ ومسند أحمد (٦/ ١٤٦، ٦/ ١٨٠، ٦/ ٢٥٦).

أثر: لا تقل في القرآن برأيك

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال أيوب السَّخْتِياني: قال لي أبو قِلابة يا أيوب، احفظ عني أربعة: لا تقل في القرآن برأيك، وإياك والقدر؛ وإذا ذكر أصحاب رسول الله ﷺ فأمسك، ولا تمكن أصحاب الأهواء من سمعك فينفذوا فيه ما شاءوا.

التخريج: رواه المصنِّف في الكبرى، ورواه الهروي، واللالكائي من طريق ابن بطة، وابن عساكر عن أبي قلابة عن ابن مسعود مرفوعًا.

الشرح : وهذه المقالة التي رواها أيوب السختياني التابعي الجليل وصية له، ووصية لكل مسلم، يقول له: يا أيوب، احفظ عني أربعًا. وهي وصية ليست خاصة بأيوب، بل هي عامة، فكل مسلم عليه أن يحفظ هذه الأربعة؛ لأن الوصية والنصيحة والتوجيه والإرشاد والأمر إذا جاء في كتاب الله أو في سنة رسول الله ﷺ أو عن الصحابة أو عن التابعين أو من بعدهم من العلماء، فإنما يقصد به النصح لكل من تبلغه، فالنبي ﷺ لما سأله رجل قال: أوصني. قال: «لا تغضب» . قال: أوصني. قال: «لا تغضب» . فردد مرارًا: قال: «لا تغضب» [(١)].

فهذه الوصية ليست خاصة بالرجل، بل هي وصية للأمة كلها؛ لأن الشريعة عامة، فهي وصية لهذا الرجل ولغيره.

---

(١) البخاري: الأدب (٦١١٦)؛ والترمذي: البر والصلة (٢٠٢٠)؛ وأحمد (٢/ ٣٦٢، ٢/٤٦٦) .

الشريعة عامة إلا ما دل الدليل على تخصيصه أحد، كما في الجذعة التي ضحى بها خال البراء قال له: جذعة من الماعز، قال: «تجزيك ولن تجزئ عن أحد من بعدك»[(١)]. هذا دليل على الخصوصية، وما لم يدل دليل على الخصوصية، فالشريعة عامة، والوصايا عامة.

فإذا أوصى أحد العلماء أحد تلاميذه، فالوصية عامة له ولغيره؛ وإذا أوصى الصحابي كذلك، فالوصية له ولغيره؛ وإذا أوصى النبي ﷺ أحدًا، فهي له ولغيره؛ وإذا أمر الله بأمر، فهو للأمة كلها.

فهذه الوصية التي أوصى بها أبو قلابة التابعي الجليل عامة له ولغيره، ينتفع بها كل مسلم، قال له: احفظ عني أربعًا، أربع وصايا: الوصية الأولى: لا تقل في القرآن برأيك. أي: لا تفسر القرآن برأيك، فالقرآن لا يفسر بالرأي، إنما يُفَسَّرُ كلام الله بكلام الله، أو بحديث الرسول ﷺ إن لم يوجد، أو بلغة العرب، أو بالرأي المستند إلى النصوص.

أما الرأي المجرد، فلا؛ ولهذا قال: لا تقل في القرآن برأيك، وهو مجرد مبني على الهوى والضلال؛ ولهذا ثبت عن الصديق الأكبر أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: لما سئل عن تفسير آية في القرآن وهو قوله: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾[(٢)] قال: أيّ سماء تظلني، وأي أرض تقلني إن أنا قلت في كتاب الله برأيي، أو بما لا أعلم.

فلا يجوز للإنسان أن يقول في القرآن برأيه؛ ومن قال في القرآن برأيه، فقد أخطأ ولو أصاب.

هذه وصية عظيمة من أبي قلابة قال: لا تقل في القرآن برأيك: لا تفسر

---

(١) البخاري: الجمعة (٩٥٥)؛ ومسلم: الأضاحي (١٩٦١)؛ والترمذي: الأضاحي (١٥٠٨)؛ والنسائي: صلاة العيدين (١٥٦٣)؛ وأبو داود: الضحايا (٢٨٠٠)؛ وأحمد (٢٨٧/٤)؛ والدارمي: الأضاحي (١٩٦٢).

(٢) سورة عبس آية: ٣١.

القرآن برأيك، فالقرآن يفسر بالقرآن، كلام الله يفسر بعضه بعضًا، فما أُجمل في مكان يُفصل في مكان آخر؛ فإن لم يجد في كتاب الله، ينظر في سنة رسول الله، يفسر بسنة رسول الله ﷺ فإن لم يجد فبأقوال الصحابة فإن لم يجد، فبأقوال التابعين؛ فإن لم يجد، فبلغة العرب؛ فإن لم يجد، فبقواعد النصوص، والقواعد المأخوذة من النصوص وما يستنبط من النصوص، فلا يفسر القرآن بالرأي؛ فلهذا قال: لا تقل في القرآن برأيك.

الوصية الثانية: وإياك والقدر. أي: إياك أن تخاصم وتجادل في القدر، وإياك أن تعارض القدر، وإياك أن تنكر قدر الله فاحذر، احذر أن تخالف شرع الله في القدر، إما بالخصومة أو بالنزاع أو بالمعارضة، أو بإنكار قدر الله أو قضائه، أو بالاعتراض على قضاء الله وقدره.

فإياك والقدر، احذر، سلِّم لقضاء الله وقدره، من لم يُسلِّم هلك، لا تعارض قدر الله، عليك أن تسلم، قل: آمنت بالله، آمنت بقضاء الله وقدره.

وإذا ذكر أصحاب رسول الله ﷺ فأمسك، لا تسبهم ولا تعبهم ولا تتنقصهم، فإن هذا لا يصدر من قلب مؤمن، إنما يحصل ممن في قلبه مرض وزيغ ونفاق، وفيه دغل، وفيه مرض.

والواجب الإمساك عما شجر بين الصحابة والترضي عنهم، ومعرفة منزلتهم وسابقتهم وفضلهم؛ ولهذا أوصى أبو قلابة فقال: وإذا ذكر أصحاب رسول الله؛ فأمسك. أي: أمسك عن عيبهم ولمزهم وذمِّهم وتنقصهم والوقوع في أعراضهم.

فالواجب الإمساك عما شجر بين الصحابة، واعتقاد أن لهم من الفضل والحسنات والسبق إلى الإسلام والجهاد مع النبي ﷺ وتنفيذ شرع الله ما يغطي ما صدر عنهم من هفوات، وما صدر منهم.

وما ورد في الأخبار مما صدر عنهم، فهو على أقسام: منه ما هو كذب لا أساس له من الصحة، ومنه ما له أصل لكن زِيدَ فيه أو نقص وغُيِّر عن

وجهه، ومنه ما هو صحيح، والصحيح هم فيه ما بين مجتهد مصيب له أجران، وما بين مجتهد مخطئ له أجر.

ولهذا قال في الوصية الثالثة: وإذا ذكر أصحاب رسول الله ﷺ فأمسك.

والوصية الرابعة: ولا تمكن أصحاب الأهواء من سمعك فيُنفذوا فيه ما شاءوا، فأصحاب الأهواء هم أصحاب البدع لا تمكنهم من سمعك؛ فإنك إذا مكنتهم من سمعك؛ أنفذوا فيه ما شاءوا، بل أعْرِضْ عنهم، ولا تصغ لهم، فكم من إنسان أصغى لأهل البدع، ويظن أنه لا يتأثر، ولكن سرعان ما يتأثر وتنفذ فيه شُبههم.

فلا تمكن أصحاب الأهواء والبدع - الجهمية والمعتزلة والرافضة والخوارج والمرجئة وغيرهم - من سمعك فينفذوا فيه ما شاءوا، بل أعرض عنهم، ولا تجالسهم ولا تستمع إلى شُبههم، ولو كنت تظن أنك لا تتأثر. فالواجب الإعراض عن أهل البدع.



أثر في قوله تعالى:
﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال إبراهيم النخعي في قوله عز وجل: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ (١) قال: هم أصحاب الأهواء.

التخريج: أخرجه أبو عبيد، وابن جرير، وابن المنذر عن إبراهيم بلفظ: قال: فأغرى بعضهم بعضًا في الخصومات والجدال في الدين. وأخرجه عبد ابن حميد، وابن جرير عنه بلفظ: ما أرى الإغراء في الآية إلا الأهواء المختلفة. وكذا أخرجه الهروي.

الشرح : وهذا الأثر عن إبراهيم النخعي - من أصحاب عبد الله بن مسعود، تابعي صغير - في تفسير قوله - تعالى - : ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ (٢) قال: هم أصحاب الأهواء. يعني: البدع.

والآية إنما هي في أهل الكتاب؛ قال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ۚ﴾ (٣) في اليهود، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ۚ﴾ (٤).

---

(١) سورة المائدة آية : ٦٤ .

(٢) سورة المائدة آية : ٦٤ .

(٣) سورة المائدة آية : ٦٤ .

(٤) سورة المائدة آية : ٦٤ .

فهذه الآية في اليهود ولكن إبراهيم النخعي - رحمه الله - يقول: إنها تشمل أهل البدع بعمومهم؛ لأن لهم شبهًا باليهود؛ فاليهود بينهم عداوة وخصومة وبغضاء، وكذلك أهل البدع بينهم العداوة والخصومة والبغضاء.

ولذلك كل أهل بدعة يضللون أهل البدعة الأخرى، فتجد الجهمية يضللون المعتزلة يقولون: أنتم على ضلال، يقول: لماذا أنتم تثبتون الأسماء وتنفون الصفات، انفوا الأسماء حتى تكونوا مثلنا وإلا فأنتم متناقضون، والمعتزلة يقولون: لا أنتم الذين أخطأتم، كيف نثبت الآن الأسماء والصفات إذا شبهنا؟

والجبرية تضلل وتعادي القدرية، الجبرية يقولون: إن العبد مجبور، وهو كالريشة في الهواء، والقدرية يقولون: العبد يخلق أفعالَ نفسِه.

فهؤلاء يقولون: أنتم على ضلال، وهؤلاء يقولون: أنتم على ضلال، فكل فرقة تضلل الأخرى، فبينهم عداوة وبغضاء، كما أن اليهود فرق متعددة وأحزاب، بالنظر إلى اليهود الآن في فلسطين تجدهم أحزابًا متعددة: بعضهم متشددون يسمونهم أصوليين متشددين في يهوديتهم، وبعضهم متساهلون، وهؤلاء يعادون هؤلاء، فهم أحزاب متناحرة.

وإن كانت تجتمع على حرب المسلمين لكن بينهم عداوة وبغضاء، وكذلك أهل البدع بينهم عداوة وبغضاء؛ فلأجل هذا قال إبراهيم النخعي رحمه الله : إن هذه الآية - وإن كانت نزلت في اليهود - تشمل في عمومها أهل البدع؛ لأن بينهم عداوة وبغضاء كما أن اليهود بينهم العداوة والبغضاء.

وفيه التحذير من البدع؛ لأن الواجب على المسلمين أن يكونوا أخوة متحابين ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1] ولا ينبغي أن يكون بينهم غِل ولا حقد ولا حسد.

---

(١) سورة الحجرات آية : ١٠ .

ولهذا أمر الإسلام المسلمين أن يتعاونوا، وأن يسلم بعضهم على بعض، وأن يعطف بعضهم على بعض، وأن يحسن بعضهم إلى بعض، وأن يتسامح الإنسان عن حقه، كل هذا لأجل أن تكون القلوب سليمة، وأن يكون المؤمنون إخوة متحابين متآلفين، وأن تزول بينهم الوحشة والعداوة والبغضاء. فأهل البدع ليسوا كذلك، بل بينهم عداوة وبغضاء كاليهود. وفيه تحذير من أهل البدع.



أثر: الخصومات في الدين تمحق الأعمال

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال معاوية بن قرة: الخصومات في الدين تمحق الأعمال.

التخريج: رواه الآجري في الشريعة بلفظ تحبط الأعمال، ورواه المصنف في الكبرى، واللالكائي، والهروي.

الشرح : وهذا الأثر عن معاوية بن قرة بن إياس بن هلال المزني العالم الجليل، يقول: الخصومات في الدين تمحق الأعمال، تمحقها: تذهب بركتها؛ لأن الخصومات تورث العداوة والبغضاء وتورث الشبه والشكوك في الأذهان والأفكار، وبالتالي إذا نشأت الشكوك والشبه، محقت بركة الدين؛ فهذا الشخص الذي في نفسه وساوس وشكوك وأوهام؛ وفي نفسه غل وحقد على بني جنسه، فهذا لا شك أن دينه ليس فيه بركة، بل هو ممحوق البركة؛ ولهذا قال معاوية: الخصومات في الدين تمحق الأعمال؛ لأنها تولد الشبهات والبدع والشكوك والأوهام وتولد البغضاء والعداوة بينه وبين إخوانه.



أثر: النظر إلى صاحب بدعة يطفئ نور الحق من القلب

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال يوسف بن أسباط: النظر إلى صاحب بدعة يطفئ نور الحق من القلب.

التخريج: روى ابن وضاح عن الحسن أثرًا قريبًا من لفظ أثر يوسف.

الشرح : يقول يوسف بن أسباط: النظر إلى صاحب بدعة يطفئ نور الحق من القلب؛ لأن الإنسان إذا نظر إلى صاحب بدعة وأدمن النظر إليه وخالطه وعاشره، تزول الوحشة من بدعته ويألف هذه البدعة؛ وإذا ألف البدعة، طفئ نور الحق. يعني ينطفئ النور الكامل، فيبقى نور الحق ونور الإيمان في قلبه ضعيفًا بسبب كثرة نظره إلى صاحب البدعة ومخالطته ومماسته، وقديمًا قيل: إذا كثر الإمساس قلَّ الإحساس؛ فإذا كثر الإمساس بأهل البدع والاختلاط بهم زال استقباح هذه البدع وزالت النفرة منها؛ فيألف الإنسان البدعة ولا يستقبحها؛ فيزول نور الإيمان الكامل، ويضعف بذلك الإيمان؛ فلهذا قال: يوسف بن أسباط: النظر إلى أصحاب البدع يطفئ نور الحق من القلب.

❁ ❁ ❁

أثر: إذا كان طريقك على صاحب بدعة

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال بشر بن الحارث: إذا كان طريقك على صاحب بدعة، فغمض عينيك قبل أن تبلغ إليه.

التخريج: أخرجه الهروي بلفظ قريب منه.

الشرح : هذا الأثر لبشر بن الحارث يقول: إذا كان طريقك على صاحب بدعة، فغمض عينيك قبل أن تبلغ إليه. أي: تصل إليه، وهذا الأثر فيه التحذير من أهل البدع، فليس لك أن تركن إلى صاحب البدع ولا أن تجلس معه؛ لأنه - كما سبق - إذا جلس مع صاحب بدعة وركن إليه، زالت وحشة البدعة من نفسه، وسهلت عليه فألفها واستحسنها ثم لا ينكرها؛ فيكون هذا سببًا في ضعف إيمانه؛ ولهذا قال بشر بن الحارث رضي الله عنه ورحمه الله: عليك أن تسد الذريعة التي تكون سببًا في ضعف الإيمان وهي النظر إلى صاحب بدعة.

وسد الذرائع من القواعد المعروفة في الشريعة؛ فسد الذريعة ألا تنظر إلى صاحب بدعة، غمض عينيك قبل أن تصل إليه؛ لأنك إذا فتحت عينيك هذه المرة فتحتها مرة أخرى ثم ثالثة ثم سهل عليك ما بعد ذلك، فيسهل عليك الجلوس معه والنظر إليه، ثم سهل عليك مصاحبته فزال بذلك استقباح هذه البدعة، ثم تألف هذه البدعة فتكون شريكًا له في الإثم فيكون هذا سببًا في ضعف إيمانك؛ ولهذا قال: في الشبهات ينبغي أن تسد الباب من الأصل؛ فإذا كان طريقك على أصحاب البدع، فغمض عينيك قبل أن تبلغ إليهم سدًا للذريعة التي توصِّل إلى استحسان الجلوس مع أهل البدع، وبالتالي استحسان بدعتهم ثم تزول وحشة هذه البدعة، ثم لا ينكر، ثم يضعف إيمانه، فلهذا ينبغي سد الذريعة وسد الباب.

أثر: إذا خرجت من بيتك فلقيك صاحب بدعة

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال أبو العباس الخطاب: إذا خرجت من بيتك فلقيك صاحب بدعة، فارجع؛ فإن الشياطين محيطة به.

التخريج: أخرجه الهروي عن يحيى بن أبي كثير: إذا رأيت المبتدع في طريق، فخض في غيره، وأخرجه اللالكائي.

الشرح : وهذا أيضًا من باب سد الذريعة إلى الركون إلى أهل البدع. عن أبي العباس الخطاب: إذا خرجت من بيتك فلقيك صاحب بدعة، فارجع؛ فإن الشياطين محيطة به؛ لأنك إذا لم ترجع ولقيته، فإن الشياطين محيطة به، تحسن لك وتسهل عليك مقاربته والوقوف معه ومجالسته؛ وإذا تساهل في أول الأمر لا يزال يتساهل شيئًا بعد شيء حتى يجالس أهل البدع وحتى لا ينكر عليهم؛ فيكون شريكًا لهم في الإثم؛ فلهذا سدًّا للذريعة ينبغي للإنسان إذا لقي صاحب بدعة أن يرجع ولا يقابله حتى لا تتدرج به الحال إلى أن يستحسن بدعة بسبب الشياطين المحيطة به والتي تسهل عليه هذه البدعة.



أثر: إياكم والجدال

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال مسلم بن يسار: إياكم والجدال، فإنها ساعة جهل العالم، وفيها يبتغي الشيطان زلته.

التخريج: أخرجه الدارمي، والآجري في كتاب أخلاق العلماء، والمصنف في الكبرى، والهروي.

الشرح : وهذه المقالة لمسلم بن يسار البصري العابد يقول: إياكم والجدال فإنها ساعة جهل العالم، وفيها يبتغي الشيطان زلته. وهذا فيه تحذير من الجدال والخصومات؛ لأن الجدال يولد الشبهات، والشبهات تولد البدع، يقول: احذروا الجدال فإنها حتى لو صدرت من عالم فإنها ساعة جهل، ساعة جهل فيها العالم وتساهل، وقد يزل العالم فيصدر منه شيء أثناء الجدال، تتولد منه الشبهة والبدعة، فسدًا للذريعة ينبغي الحذر والبعد عن الجدال، فإن الجدال قد ينشأ منه شبهة ولو كانت من عالم؛ فالعالم قد يتكلم في أثناء الجدال بسبب الخصومة والنزاع، يتكلم بكلمة فينشأ منها شبهة، ثم تنشأ من الشبهة بدعة؛ لأن هذه الساعة من الجدال ساعة جهل، جَهل فيها العالم بسبب الخصومة والنزاع والجدال والشيطان يبتغي الزلة ويلقي هذه الكلمة التي فيها إيهام أو فيها شبهة في قلب بعض الناس فتولد في قلبه شبهة ثم ينشأ من الشبهة بدعة؛ فلهذا حذر مسلم بن يسار - رحمه الله - من الجدال.

❁ ❁ ❁

أثر: صاحب البدعة لا يقبل له صوم ولا صلاة

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال الحسن: إن صاحب البدعة لا يقبل له صوم ولا صلاة ولا حج ولا عمرة ولا صدقة ولا جهاد ولا صرف ولا عدل.

التخريج: رواه ابن وضاح عن الأوزاعي، والآجري في الشريعة عن الحسن، واللالكائي.

الشرح : وهذه المقالة من باب التشديد، وقوله: إن صاحب البدعة لا يقبل منه صوم ولا صلاة ولا حج ولا عمرة ولا صدقة ولا جهاد ولا صرف، إنما هذا محمول على البدعة المكفرة، فالبدعة المكفرة لا يقبل من صاحبها صوم ولا صلاة ولا حج ولا عمرة ولا صدقة ولا جهاد ولا صرف ولا عدل، (ولا صرف): فالصرف الفريضة والعدل النافلة، وقيل: الصرف التوبة، وإنما هذا من الكافر، فالكافر هو الذي لا تقبل منه الأعمال.

والبدعة بدعتان: بدعة مكفرة، وهذه صاحبها لا يقبل منه صلاة ولا صوم ولا حج ولا عمرة ولا صدقة ولا حج ولا جهاد في حال كفره إلا إذا تاب قبل موته، وبدعة غير مكفرة: وهذه صاحبها ضعيف الإيمان، وتقبل وتصح أعماله؛ لأنه ليس بكافر، لكن قد توصله هذه البدعة إلى البدعة الكفرية فلا يقبل منه صوم ولا صلاة ولا صدقة ولا حج ولا عمرة، وهذا محمول على صاحب البدعة التي توصله إلى الكفر، الذي لا تقبل منه الأعمال، والبدعة غير الكفرية توصل إلى البدعة الكفرية، فينبغي الحذر منها سدًا للذريعة.

۞ ۞ ۞

أثر: الاعتصام بالسنة نجاة

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال الزهري: الاعتصام بالسنة نجاة، والعلم يقبض قبضًا سريعًا فنعش العلم ثبات الدين والدنيا وذهاب ذلك كله ذهاب العلماء.

التخريج: أخرجه الدارمي، والمصنف في الكبرى، واللالكائي، وذكره عياض في الشفاء.

الشرح : وهذا المقال للزهري وهو تابعي صغير وإمام مشهور، والزهري هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري الإمام المحدث المعروف الذي لا تخفى شهرته وعلمه، وهذه المقالة من الزهري - رحمه الله - مقالة عظيمة، يقول: الاعتصام بالسنة نجاة، نجاة من الفتن، ونجاة من البدع وبالتالي نجاة من النار؛ فإذا نجا الإنسان من الفتن ومن البدع واستقام على الشريعة وعلى السنة، فإنه يكون من الناجين، فمن اعتصم بشرع الله ودينه وابتعد عن البدع، فإن هذا هو النجاة، هذا طريق السعادة وطريق السلام؛ ومن نجا من البدع والفتن واستقام على الدين، فهو السعيد، والعلم يقبض قبضًا سريعًا.

وكما في الحديث: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من صدور الرجال، وإنما يقبض العلم بقبض العلماء»[1]. فهو يقبض قبضًا سريعًا،

---

(١) البخاري: العلم (١٠٠)، ومسلم: العلم (٢٦٧٣)، والترمذي: العلم (٢٦٥٢)، وابن ماجه: المقدمة (٥٢)، وأحمد (٢/ ١٦٢)، والدارمي: المقدمة (٢٣٩) .

يموت العلماء الأخيار واحدًا بعد واحد، ثم يقبض العلم فلا يبقى إلا الجهال فيكونون رءوس الناس فيفتون بغير علم فيضِلون ويضلون، فالعلم يقبض قبضًا سريعًا، فنعش العلم - أي: ظهوره بين الناس - ثبات الدين والدنيا، ثبات للدين والدنيا؛ وإذا خفي العلم، عم الجهل وفاض، ثم هلك الناس، وخفاء العلم واندثاره هلاك.

وهذا الأثر فيه الحث على أخذ العلم عن العلماء قبل ذهابهم، ولا سيما علماء أهل السنة والجماعة العلماء الربانيون، علماء الحق، وفيه تحذير من البدع والأخذ عن أهل البدع.



أثر: من جعل دينه غرضًا للخصومات، أكثر التنقل

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال عمر بن عبد العزيز: من جعل دينه غرضًا للخصومات، أكثر التنقل.

التخريج: رواه الدارمي في سننه، وقال الدارمي: أكثر تنقله؛ أي: يتنقل من رأي إلى رأى. ورواه الآجري في الشريعة من طريقين. ورواه اللالكائي. والبغوي في شرح السنة. ورواه ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث وابن البناء.

الشرح : وهذه المقولة لعمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد - رحمه الله - الذي ضمه بعض العلماء للخلفاء الراشدين، ومعروف عدله وورعه - رحمه الله - ورضي عنه، وعلى الرغم من قصر مدة خلافته - سنتين - فقد حصل فيها إصلاحات عظيمة، وهو أول من أمر بجمع الحديث.

يقول - رحمه الله - : من جعل دينه غرضًا للخصومات، أكثر التنقل. أي: من شيء إلى شيء، فلا يثبت على الدين والسنة، وهذا فيه تحذير من الخصومات والجدال؛ لأنها تولد الشبهات، والشبهات تولد البدع، ثم لا يثبت على الدين ولا على السنة، وفيه التحذير من الخصومات.

۞ ۞ ۞

أثر: لا تجالسوا أصحاب الخصومات

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال محمد بن علي: لا تجالسوا أصحاب الخصومات، فإنهم الذين يخوضون في آيات الله.

التخريج: رواه الدارمي في موضعين من سننه، وكذا رواه ابن بطة في الكبرى..

الشرح : وهذا محمد بن علي بن أبي طالب، وهو محمد بن علي ابن الحنفية يقول رضي الله عنه: لا تجالسوا أصحاب الخصومات، فإنهم الذين يخوضون في آيات الله. وهذا نهي وتحذير؛ لأنه تتولد من خصوماتهم وجدالهم الشبه، وتتولد من الشبه البدع؛ فهم يخوضون في آيات الله بغير علم؛ فهذا داخل في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ [(١)] النصوص التي حذرت من الخوض في آيات الله بغير علم يدخل فيها أصحاب الخصومات وأهل البدع؛ لأن أصحاب الخصومات نشأت من خصوماتهم الشبه ونشأت من الشبه البدع، فهم يخوضون في آيات الله بغير علم؛ ففيه التحذير من الخصومات وأهل الخصومات والأمر بلزوم السنة والجماعة ولزوم الكتاب والسنة والتسليم لكتاب الله ولسنة رسوله ﷺ.



---

(١) سورة الأنعام آية : ٦٨ .

أثر: لا تظهر بدعة إلا ترك مثلها من السنة

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال غضيف بن الحارث: لا تظهر بدعة إلا ترك مثلها من السنة.

التخريج: رواه الطبراني، وأورده صاحب المشكاة وعزاه لمسند أحمد، ورواه أيضًا البزار، والطبراني في الكبير وفي إسنادهم كلهم أبو بكر عبد الله ابن أبي مريم، وفيه مقال، ولكن رجح الحافظ ابن حجر توثيق رجال الإسناد، وقال إسناده جيد. كذا في الفتح الرباني، قال الهيثمي: فيه أبو بكر بن أبي مريم منكر الحديث. وضعف الألباني سنده في تحقيقه على المشكاة، وذكر صاحب المرعاة في شرح المشكاة أقوال من ضعفه من العلماء. قلت لعل تضعيفهم للحديث بناء على كونه مرفوعًا؛ أما إذا كان موقوفًا على غضيف، فليس ضعيفًا، سيما وقد رواه أحمد بسند ليس فيه ابن أبي مريم.

الشرح : وهذا المقال لغضيف بن الحارث السكوني - رحمه الله - يعني موقوفًا عليه ليس مرفوعًا يقول: لا تظهر بدعة إلا ترك مثلها من السنة وهذا صحيح، فإنه إذا ظهرت بدعة ماتت السنة؛ وإذا ماتت البدعة ظهرت السنة، هذا واضح، كلما ظهرت بدعة خفي ما يقابلها من السنة، وكلما ظهرت سنة خفي ما يقابلها من البدعة؛ لأن السنة تقابل البدعة والبدعة تقابل السنة؛ ولهذا قال غضيف: لا تظهر بدعة إلا ترك مثلها من السنة؛ لأنهما متقابلان فمثلًا بدعة المولد هذه بدعة فمن فعل بدعة المولد ترك السنة، والسنة عدم فعل المولد؛ فلا تظهر بدعة؛ إلا ترك مثلها من السنة كما لا تظهر السنة إلا وقد ترك ما يقابلها من البدعة، نعم هذا فيه التحذير من البدع وإظهارها والحث على لزوم السنن.

أثر: ما كان الرجل مع الأثر فهو على الطريق

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ابن سيرين: ما كان الرجل مع الأثر فهو على الطريق.

التخريج: أخرجه الدارمي، ورواه اللالكائي مرفوعًا، ورواه الآجري في الشريعة، والهروي، وابن بطة في الكبرى، وعزاه السيوطي للبيهقي في مفتاح الجنة.

الشرح : وهذه المقالة لابن سيرين، وهو محمد بن سيرين التابعي الجليل يقول: ما كان الرجل مع الأثر فهو على الطريق، والأثر معناه السنة، فالأثر يطلق على السنة وعلى الآثار عن الصحابة والتابعين يسمى الأثر، ما كان الرجل مع الأثر والسنة ولزم السنة فهو على الطريق المستقيم؛ وإذا حاد عن الآثار والسنن، فإنه يكون مع البدع، فيحيد عن الطريق المستقيم؛ فالسنة لزوم للصراط المستقيم، والبدعة فيها انحراف عن الطريق المستقيم، وهذه المقالة صحيحة ما كان الرجل مع الأثر فهو على الطريق المستقيم؛ وإذا حاد عن الأثر فإنه يكون مبتدعًا فيحيد عن الطريق، والأثر فيه التحذير من البدع، والحث على لزوم السنن.



أثر: لو بلغني عن الصحابة أنهم لم يجاوزوا بالوضوء ظفرًا

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال إبراهيم: لو بلغني عنهم يعني الصحابة أنهم لم يجاوزوا بالوضوء ظفرًا ما جاوزته، وكفى على قوم ازدراء أن تخالف أعمالهم.

التخريج: أخرجه الدارمي في سننه.

الشرح : وهذه المقالة لإبراهيم النخعي التابعي الجليل من أهل الكوفة، يقول: لو بلغني عن الصحابة أنهم لم يجاوزوا بالوضوء ظفرًا ما جاوزته، وهذا فيه الحث على لزوم السنة وتتبعها وعدم الحيد عنها والإفراط عنها ولو قيد شعرة؛ ولهذا قال: لو بلغني عن الصحابة أنهم لم يجاوزوا بالوضوء ظفرًا ما جاوزته، والمراد السنة وألزم طريق الصحابة والتابعين ولا أحيد عنه ولو شيئًا يسيرًا. ثم قال: وكفى على قوم ازدراء أن تخالف أعمالهم، يعني كفى بالقوم احتقارًا وعيبًا وذمًا أن تخالف أعمالهم أقوالهم أو أن تخالف أعمالهم السنة؛ فلا شك أن من القوم الذين تخالف أعمالهم السنة أن هذا عيب وذم، فالأثر فيه التحذير من البدع والأمر بلزوم السنن.



أثر: إنما أقتفي الأثر فما وجدت قد سبَقني إليه حدثتكم به

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال شريح: إنما أقتفي الأثر فما وجدت قد سبقَني إليه حدثتكم به.

التخريج: أخرجه ابن سعد في الطبقات..

الشرح : وهذه المقالة لشريح بن الحارث القاضي المشهور يقول: إنما أقتفي الأثر، والأثر هو سنة الرسول ﷺ وأثر الصحابة والتابعين، أقتفي أي: أتبع، إنما أقتفي الأثر، فما وجدت قد سبقني إليه حدثتكم به.

يقول: إنما أنا لا أبتدع وإنما أتبع الآثار الواردة عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة والتابعين، فما وجدت من الآثار شيئًا قد سبقت إليه قد حدثتكم به وما لم أجد شيئًا سبقت إليه لم أحدثكم به، وهذا فيه بيان حرصه - رحمه الله - على لزوم السنة واتباع الآثار وبعده عن البدع، وهكذا ينبغي على كل مسلم، وهذه نصيحة لمن تبلغه هذه النصيحة، وأنه ينبغي للإنسان أن يتبع الآثار والسنن وأن يحذر من البدع.

❁ ❁ ❁

أثر: ولدت قبل الاعتزال

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال بعض العلماء: ولدت قبل الاعتزال.

قال ابن سعد في الطبقات: وكان الشعبي شيعيًا، فرأى منهم أمورًا، وسمع كلامهم وإفراطهم، فترك رأيهم وكان يعيبهم.

الشرح : هذا من عيبه للاعتزال، والاعتزال مذهب المعتزلة، والمعتزلة جماعة اعتزلوا مجلس الحسن البصري وابتدعوا بدعًا، ومن بدعهم القول بأن الفاسق يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر، ومن بدعهم إنكارهم للصفات وإثبات الأسماء، وهؤلاء ظهروا في أوائل المائة الثانية وكانوا في الأول مع الحسن البصري يتتبعون الحديث والسنن ثم بعد ذلك خُذِلُوا وابتدعوا البدع من نفي الصفات والقول بأن الفاسق يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر، ولما سئل عنهم بعض العلماء قال: ولدت قبل الاعتزال يعني الاعتزال حادث والحدث بدعة؛ فقوله: ولدت قبل الاعتزال: دل على أن الاعتزال حادث والحدث في الدين بدعة والنبي ﷺ يقول: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» . فهو تحذير من الاعتزال وطريقة المعتزلة في الصفات وفي القول بأن العاصي يخرج من الإيمان، وكذلك سائر البدع ينبغي أن يحذرهم المسلم وأن يبتعد عنهم وأن يلزم السنة.

❁ ❁ ❁

أثر: كنت ولا رفض في الدنيا

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال الشعبي: كنت ولا رِفض في الدنيا. . .

الشرح : الرِّفض هو مذهب الرافضة يقال له: رِفض. أما الرَّفض - بالفتح - فهو الترك، يقال: فلان رفض كذا. أي: ترك كذا. يقول الشعبي: كنت قبل أن يوجد الرِّفض. أي: قبل أن يوجد مذهب الرافضة، دل على أن مذهب الرافضة مذهب خبيث ومحدث ومبتدع ليس له أصل في الشرع؛ فدل على بطلانه وفساده، وأنه ينبغي الحذر منه، فلم يكن هناك رافضة ثم بعد ذلك انتشر هذا المذهب، والرافضة من غلاة الشيعة، والشيعة طبقات وفرق أكثر من أربع وعشرين فرقة، والرافضة من الغلاة، ومن أعلى فرقهم النصيرية، وهؤلاء يعتقدون أن الله حلَّ في علي، وأن عليًا هو الإله.

ومنهم من يقول: إن عليًا في السحاب وسيرجع، يؤلهون عليًا، ثم المخطِّئة من فرقهم الذين يخطِّئون جبريل؛ فيقولون: إن جبريل أرسله الله إلى علي فخان وأعطاها محمدًا، فجبريل - كما يعتقدون - صد الرسالة عن حيدر - لقب علي - وهذا كفر بإجماع المسلمين، ثم الرافضة الذين يكفرون الصحابة ويفسقونهم، ويقولون بأن القرآن ما بقي منه إلا الثلث وحذف الثلثان، ويعبدون آل البيت، فهذا كفر، ومنهم فرق الزيدية الذين يفضلون عليًا على عثمان، وهم طبقات منهم الكافر ومنهم المبتدع. والأثر فيه تحذير من مذهب الرافضة.

❁ ❁ ❁

أثر: كفرت بدين ولدت قبله وهو دين القدرية

قال المؤلف - رحمه الله - : وذكر القدر عند مجاهد فقال: كفرت بدين ولدت قبله.

الشرح : وهذه المقالة لمجاهد بن جبر وهو تابعي جليل صاحب ابن عباس، لما ذكر عنده القدر يقول: كفرت بدين ولدت قبله، وهو دين القدرية الذين ينكرون قدَر الله، ويقولون: إن الله لم يعلم بالأشياء قبل كونها، ولم يكتبها في اللوح المحفوظ، والقدرية الغلاة وهم كفرة، والقدرية المتوسطة يثبتون العلم والكتابة ولكن ينكرون عموم الإرادة وعموم الخلق؛ فمجاهد - رحمه الله - يقول: إن هذا الدين حادث كفرت بدين ولدت قبله؛ أي: أنا مولود قبل أن يوجد هذا الدين دين القدرية ثم وجد؛ فأنا كافر بهذا الدين، والمقصود هنا التحذير من مذهب القدرية، وبيان أنه مذهب مبتدع، وأنه يخالف الشرع.



أثر: على أي دين تموت؟

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال مالك بن أنس: قيل لرجل عند الموت: على أي دين تموت؟ فقال: على دين أبي عمارة، وكان رجلًا يتولاه من بعض أهل الأهواء، وقال مالك - رحمه الله - : يدع دين أبي القاسم ويموت على دين أبي عمارة.

الشرح : هذه مقالة مالك بن أنس - رحمه الله - الإمام المشهور إمام دار الهجرة يقول: قيل لرجل عند الموت: على أي دين تموت؟ فقال هذا الرجل الذي حضره الموت: على دين أبي عمارة. وكان مبتدعًا، وأبو عمارة مبتدع من أهل البدع، فهذا يدل على أن هذا الرجل تمكنت البدعة من نفسه.

فقال مالك - رحمه الله - منكرًا عليه: يدع دين أبي القاسم وهو النبي ﷺ وهو دين الإسلام، ويموت على دين أبي عمارة.

فالأثر فيه التحذير من البدع وأن البدع - والعياذ بالله - قد تستولي على صاحبها حتى يصر عليها عند الموت - والعياذ بالله - كما أصر هذا الرجل الذي حضره الموت فقيل له: على أي دين تموت؟ قال: أموت على دين أبي عمارة، ولم يقل: أموت على دين الإسلام؛ لأن الإنسان إذا شب على شيء شاب عليه في الغالب؛ وإذا شاب على شيء، مات عليه. نسأل الله السلامة والعافية؛ فإذا كان في حياته يتولى أهل البدع ويهوى أهل البدع، مشى عليها واستمر عليها ومات عليها إلا من عصمه الله، نسأل الله السلامة والعافية، والأثر فيه التحذير من البدع.

❁ ❁ ❁

أثر: أنا على ملة رسول الله ﷺ

قال المؤلف - رحمه الله - : قال: حدثنا أبو الفضل شعيب بن محمد بن الراجيان الكفي، قال: حدثنا علي بن حرب، قال: أنبأنا سفيان بن عيينة عن أبي طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال: قال لي معاوية رحمة الله عليه: أنت على ملة عليٍّ رحمة الله عليه: قلت: لا، ولا على ملة عثمان، أنا على ملة رسول الله ﷺ.

التخريج: رواه عبد الرزاق في المصنف بسند صحيح، ورواه اللالكائي.

الشرح : هذا الأثر ساقه المؤلف - رحمه الله - سندًا، قال: حدثنا أبو الفضل شعيب بن راجيان الكفي، قال: حدثنا علي بن حرب، قال: أنبأنا سفيان بن عيينة عن ابن طاوس عن أبيه - وهو طاوس بن كيسان اليماني التابعي الجليل المعروف - عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال لي معاوية بن أبي سفيان: أنت على ملة علي. لأن ابن عباس كان ممن شايع عليًا وكان معه وقاتل معه؛ فإنه لما وقع الخلاف بين علي ومعاوية رضوان الله عليهم ومن معهم، انضم أكثر الصحابة إلى علي رضي الله عنه ورأوا أنه الخليفة الراشد الذي بايعه أكثر أهل الحل والعقد، وأنه يجب السمع والطاعة عملًا بقول الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ﴾[1].

فانضم أكثر الصحابة إلى علي ورأوا أنه هو الخليفة الراشد وأن معاوية

---

(١) سورة الحجرات آية : ٩ .

وأهل الشام بغاة كما قال النبي ﷺ: «ويح عمار تقتله الفئة الباغية»(١). وهذا هو الحق، وأهل الشام ومعاوية ومن معه يظنون أنفسهم على صواب لا يعلمون أنهم بغاة، لكن أخطأوا فلهم أجر الاجتهاد، وعليٌّ ومن معه اجتهدوا وأصابوا فلهم أجر الاجتهاد، ولهم أجر الإصابة، ومن هؤلاء ابن عباس انضم إلى علي؛ فمعاوية يقول لابن عباس: أنت على ملة علي لأنك انضممت إليه، قال ابن عباس: لا، لست على ملته. قال: ولا على ملة عثمان قال: أنا على ملة رسول الله ﷺ فعلي وعثمان وإن كانا على الحق، لكن قد يخطئون في بعض الأشياء، قد يكون لهم اجتهادات، فلا أتبعهم في كل شيء، إنما أنا على ملة الرسول عليه الصلاة والسلام؛ أما غير الرسول ﷺ فهو يخطئ ويصيب؛ فأنا على ملة رسول الله ﷺ لأن هذا هو الحق والنور، فعلى المسلم أن يلزم السنة ولا يتبع الرجال، فالدين إنما هو دين الله هو الذي يجب اتباعه؛ وأما الرجال، فهم يخطئون ويصيبون ولو كانوا من الصحابة، وإن كان مصيبًا إذا اجتهد له أجران، والمخطئ له أجر، لكن الواجب لزوم الكتاب والسنة، والرجال إنما يعرفون بالحق، ولا يعرف الحق بالرجال؛ فمن أصاب الحق، عرفنا أنه مصيب؛ ولهذا قال ابن عباس: أنا على ملة رسول الله، لست على ملة علي، ولا على ملة عثمان، وإن كانوا صحابة وأجلاء وهم على الحق، لكن نقول الأصل السنة أنا على ملة رسول الله ﷺ ومن وافقني عليها فهو على الحق.

❁ ❁ ❁

(١) البخاري: الصلاة (٤٤٧)؛ ومسلم: الفتن وأشراط الساعة (٢٩١٥)؛ وأحمد (٣/ ٥).

أثر: ما اجتمع رجلان يختصمان في الدين

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ما اجتمع رجلان يختصمان في الدين فافترقا حتى يفتريا على الله عز وجل.

التخريج: رواه ابن بطة في الكبرى.

الشرح : وهذا فيه تحذير من الخصومات والجدال في الدين؛ لأن الخصومات تولد الشبه، والشبه تولد البدع؛ ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما اجتمع رجلان يختصمان في الدين فافترقا حتى يفتريا على الله؛ لأنهما إما أن يكونا على الباطل أو يكون أحدهما على الحق والآخر على الباطل، فيكون الذي على الباطل قد افترى على الله، حيث إنه زعم أن البدعة التي نشأت من الشبهة أنها حق، وهي خلاف الحق؛ فيكون قد افترى على الله؛ فالأثر فيه تحذير من الخصومات في الدين، والتحذير من البدع، والأمر بلزوم الجماعة والسنة.

❁ ❁ ❁

أثر: ما خاصمت قط

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال إبراهيم النخعي: ما خاصمت قط.

التخريج: رواه ابن سعد في الطبقات.

الشرح : وهذه المقالة لإبراهيم النخعي التابعي المعروف يقول: ما خاصمت قط. لأن الخصام يؤدي إلى الشبه، والشبه تؤدي إلى البدع؛ فلهذا ابتعد عن الوسيلة - رحمه الله - وهي الخصومة؛ لأنها وسيلة إلى الشبهة، والشبهة وسيلة إلى البدعة، فابتعد عن الوسائل حتى لا تحصل الغايات، وهذا من الفقه في الدين، ويدل على إيمان العبد وقوته في دين الله أنه يبتعد عن الوسائل التي تؤدي إلى الشبهات، والشبهات تؤدي إلى البدع، فلهذا قال: ما خاصمت قط.

❁ ❁ ❁

أثر: يد الله فوق الجماعة

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال معاذ رضي الله تعالى عنه: يد الله فوق الجماعة؛ ومن شذ لم يبال الله بشذوذه.

الشرح : وهذه المقالة لمعاذ يقول: يد الله فوق الجماعة؛ أي: يد الله مع الجماعة - جماعة أهل السنة وهم الصحابة والتابعون؛ فالواجب لزوم طريقهم؛ لأن الصحابة والتابعين على الحق، فهم أخير الناس وأفضل الناس بشهادة التنزيل، وسمعوا كلام النبي ﷺ فهم خير الناس وأفضل الناس لا كان ولا يكون بعدهم، فالجماعة هم الصحابة والتابعون ومن بعدهم من الأئمة والعلماء، فالواجب لزوم طريقتهم، لزوم الكتاب والسنة وما عليه الصحابة والتابعون، فهم أهل الحق، وهم الفرقة الناجية؛ ومن شذ عنهم لم يبال الله بشذوذه؛ أي: بخروجه عن الحق؛ لأن الحق في كتاب الله وفي لزوم السنة في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وما درج عليه الصحابة والتابعون، ومن شذ، شذ في النار، لم يبال الله بشذوذه، هذا في التحذير من الشذوذ، والبدع شذوذ، البدع والشبهات كلها شذوذ. وفيه تحذير من البدع والشبهات، والأمر بلزوم السنة والجماعة.

❁ ❁ ❁

أثر: لا تجالس مفتونًا

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال مصعب: لا تجالس مفتونًا، فإنه لن يخطئك إحدى اثنتين، إما أن يفتنك فتتابعه، أو يؤذيك قبل أن تفارقه.

التخريج: أخرجه ابن وضاح بسنده عن الحسن البصري أنه قال: لا تجالس صاحب هوى فيقذف في قلبك ما تتبعه عليه فتهلك، أو تخالفه فيمرض قلبك.

الشرح : وهذا الأثر لمصعب - رحمه الله - يقول: لا تجالس مفتونًا. أي: مبتدعًا، فالمبتدع مفتون في دينه؛ فإنك إذا جالست مفتونًا لن يخطئك إحدى اثنتين إما أن يفتنك فتتابعه على بدعته، أو يؤذيك قبل أن تفارقه، فأنت متضرر على كل حال، هذا جليس السوء كما قال النبي ﷺ: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك فإما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحًا طيبة»[١]. وإما أن تشتري منه أو يهدي لك هدية أو يعلق بك رائحة طيبة، فأنت مستفيد على كل حال.

الجليس الصالح يحثك على الخير أو يحذرك من الشر ومن البدع؛ وأما جليس السوء، فإنك متضرر على كل حال «كنافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة»[٢]. فكذلك جليس السوء إما أن يحسِّن لك البدع

---

(١) البخاري: الذبائح والصيد (٥٥٣٤)؛ ومسلم: البر والصلة والآداب (٢٦٢٨)؛ وأحمد (٤/٤٠٤).

(٢) البخاري: الذبائح والصيد (٥٥٣٤)؛ ومسلم: البر والصلة والآداب (٢٦٢٨)؛ وأحمد (٤/٤٠٤).

والمعاصي، وإما أن يوقعك فيها، وإما أن يحسنها ويهون من شأنها في نفسك؛ ولهذا قال في هذا الأثر : لا تجالس مفتونًا. أي: مفتونًا في دينه، فإنك إن جالسته لم يخطئك إحدى اثنتين، يعني لا تسلم في الغالب من واحدة من خصلتين:

الخصلة الأولى: أن يفتنك فتتابعه؛ أي: يؤثر عليك ويحسّن هذه البدعة والشبهة في نفسك حتى توافقه وتعتنقها.

والخصلة الثانية: أن يؤذيك قبل أن تفارقه؛ أي: يؤذيك بكلامه وبشبهه التي يوردها حتى يؤذيك ويوغر صدرك وتتألم إذا كان في قلبك حياة، فإن القلب الحي يتألم من الشرور والمعاصي والبدع، وهذا فيه التحذير من البدع، والأمر بلزوم السنة والجماعة.

❁ ❁ ❁

أثر: من فارق الجماعة، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال علي رضي الله تعالى عنه: من فارق الجماعة، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه.

التخريج: تقدم تخريجه عن ابن عباس، ولم يذكر السيوطي في الجامع الكبير أن هذا الأثر مروي عن علي حيث ذكر عمن روى من الصحابة.

الشرح : وهذا علي، وكما سبق أن ذكرنا أن قول: «كرم الله وجهه»، هذه من بعض النساخ ولا يخص علي بها، فالصحابة كلهم كرم الله وجوههم ورضي الله عنهم؛ أما تخصيص علي بقول كرم الله وجهه، أو عليه السلام، فهذا من نساخ بعض الشيعة ولا يخص علي دون غيره، فالصحابة كلهم رضي الله عنهم. يقول: من فارق الجماعة، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه. وهذا من باب الوعيد يدل على أن ذلك من الكبائر؛ فمن فارق الجماعة، فقد ارتكب كبيرة كما جاء في الحديث الآخر في صحيح مسلم: **«من رأى من أميره شيئًا يكرهه، فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات، فميتته جاهلية»** [(١)]. وهذا من باب التغليظ والوعيد الذي يدل على أنه من الكبائر، لأن مفارقة الجماعة مفارقة للسنة، وليس هذا من الكفر؛ فمن فارق أهل السنة والجماعة، فقد خالف السنة؛ ومن خالف السنة، يخشى عليه الهلاك.

---

(١) البخاري: الفتن (٧٠٥٤)؛ ومسلم: الإمارة (١٨٤٩)؛ وأحمد (١/ ٢٧٥)؛ والدارمي: السير (٢٥١٩) .

من فارق الجماعة، فهو مرتكب للكبيرة، وهذا من باب الوعيد، والكبيرة قد تكون كبيرة مكفرة وقد تكون غير مكفرة؛ فإن كانت مفارقته الجماعة مفارقةً لهم في أصل الدين بأن ارتكب شركًا في العبادة من نواقض الإسلام، فهذا كفر وردة؛ وإذا كان دون ذلك، فهو كبيرة من كبائر الدنيا، فالمقصود أن هذا من باب التغليظ، وفيه الحث على لزوم الجماعة وأن مفارقة الجماعة - جماعة المسلمين مفارقة الصحابة والتابعين - كبيرة من كبائر الذنوب.



أثر: ما تقول في الذين يردون القدر

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال أبو الزبير: دخلت مع طاوس على ابن عباس فقال له طاوس: يا بن عباس، ما تقول في الذين يردون القدر؟ قال: أروني بعضهم! قلنا: صانعٌ ماذا؟ قال: أنا أجعل يدي في رأسه ثم أدق عنقه حتى أقتله.

التخريج: رواه عبد الله ابن الإمام أحمد في السنة، ورواه أحمد من طريقين، وفيهما أحمد بن عبيد المكي، وثقه ابن حبان، وضعفه أبو حاتم، وذكر أيضًا عللًا أخرى له.

الشرح : فهذا هو الأثر الثالث والأربعون بعد المائة وهو قول أبي الزبير، وهو محمد بن مسلم بن تدرس الأسدي، يقول: دخلت مع طاوس بن كيسان اليماني صاحب ابن عباس، التابعي الجليل على ابن عباس - رضي الله عنهما - فقال له طاوس يسأل ابن عباس: ما تقول في الذين يردون القدر؟ أي: يردون قدر الله وقضاءه، والذين يردون القدر - كما سبق - إما أنهم لا يؤمنون بعلم الله وكتابته، وأولئك هم القدرية الغلاة الذين يقولون: إن الأمر أُنُف؛ أي: مستأنف وجديد، وإن الله لا يعلم الأشياء قبل كونها حتى تقع، وينكرون كتابة الله للأشياء في اللوح المحفوظ، فهؤلاء كفرة، وهم الذين قال فيهم الإمام الشافعي - رحمه الله - : ناظروا القدرية بالعلم؛ فإن أقروا به خُصِمُوا وإن أنكروا كفروا. وأخرجهم العلماء من الثنتين والسبعين فرقة لكفرهم وضلالهم.

وهؤلاء هم الذين سئل عنهم ابن عباس؛ ولهذا قال له طاوس: يا بن

عباس، ما تقول في الذين يردون القدر - يردون قدر الله فلا يؤمنون بعلم الله وكتابة الأشياء قبل كونها - ؟ قال: أروني بعضهم. قلنا: صانعٌ ماذا؟ أي: ماذا تصنع فيهم؟ قال: أنا أجعل يدي في رأسه ثم أدق عنقه حتى أقتله. وهذا يدل على أن ابن عباس يرى أنهم كفار يستحقون القتل لكفرهم وضلالهم، وهؤلاء هم القدرية الغلاة؛ أما القدرية المتوسطة الذين هم عامة القدرية الذين يثبتون علم الله وكتابته للأشياء، ولكن ينكرون عموم الإرادة وعموم الخلق؛ فينكرون عموم الإرادة حتى لا تشمل إرادته للمعاصي والطاعات؛ وينكرون عموم الخلق حتى لا تشمل أفعال العباد، فيقولون بأن العباد هم الذين أرادوا أفعالهم وخلقوها مستقلين، والله تعالى لم يخلق أفعال العباد، لا الطاعات ولا المعاصي؛ ولهذا يوجبون على الله أن يثيب المطيع ويوجبون عليه أن يعاقب العاصي؛ لأنه هو الذي خلق فعل نفسه طاعة ومعصية، وهؤلاء ليسوا كفارًا ولكنهم مبتدعة.

والذين يقصدهم ابن عباس هم القدرية الغلاة الكفرة؛ ولهذا رأى أنهم يستحقون القتل، قال: أجعل يدي في رأسه حتى أدق عنقه حتى أقتله. وكان قد عَمِيَ ابن عباس رضي الله عنه ولهذا قال: أروني بعضهم، وفي لفظ أنه قال لما سئل عن بعض القدرية: إن استمكنت منهم، قلنا: ماذا تفعل؟ فقال: والله لئن استمكنت منه لأعضن أنفه حتى أقطعه ولأدقن رقبته حتى أقطعها. وهذا يدل على أنه يرى أنهم كفار، وفيه التحذير من أهل البدع القدرية وغيرهم.

۞ ۞ ۞

أثر: من فارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ابن عباس: من فارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية.

التخريج: رواه الشهاب القضاعي في مسنده موقوفًا على ابن عمر

الشرح : مفارقة الجماعة تكون بمخالفة السنة وفعل البدعة، فهذا فيه التحذير من البدع.

قوله: من فارق الجماعة - أي: جماعة أهل السنة - بأن شذ عنهم وفعل البدعة فإنه يكون مفارقًا للجماعة، ومن فارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية، وهذا من باب الوعيد، أي أنه مرتكب للكبيرة؛ كقوله ﷺ: «**من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات فميتته جاهلية**»[1].

وهذا فيه التحذير من البدع والأمر بلزوم السنة والجماعة، والتحذير من الشذوذ ومخالفة السنة؛ فمن فارق الجماعة فقد فعل البدعة وشذ عن الجماعة وعن السنة.

❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري: الفتن (٧٠٥٤)، ومسلم: الإمارة (١٨٤٩)، وأحمد (١/ ٢٧٥)، والدارمي: السير (٢٥١٩) .

أثر: في معنى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال مجاهد في قوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾[(١)]: يكذبون بآياتنا.

التخريج: أخرجه عبد بن حميد، وأبو داود في ناسخه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن أبي مالك، وسعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾[(٢)] قال يكذبون بآياتنا.

الشرح : وهذا الأثر عن مجاهد بن جبر المكي صاحب ابن عباس يقول في قول الله عز وجل ﴿ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾[(٣)]: يكذبون، ويدخل في عمومها أهل البدع فإنهم يخوضون في آيات الله ويكذبون بالسنن ويرتكبون البدع، فالذين يخوضون في آيات الله بالباطل ويعرضون عن السنن وعما دلت عليه النصوص ويعتنقون البدع فلهم نصيب من هذه الآية: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾[(٤)] فهذا الأثر فيه التحذير من الخوض في آيات الله بغير علم، ولأن من خاض في آيات الله بغير علم نشأت عنده الشبه، وتنشأ من الشبه البدع؛ فالأثر فيه التحذير من البدع ووسائلها وهو الخوض في آيات الله بالباطل وتكذيب النصوص وردها وتأويلها وحملها على غير محملها فإن هذا يولد الشبه والشكوك وتنشأ من ذلك البدع؛ فالواجب على المسلم أن يؤمن بآيات الله وبالسنن، وأن يلتزم ما دلت عليه النصوص وأن يستقيم على الدين، وأن يحذر من البدع.

---

(١) سورة الأنعام آية : ٦٨ .

(٢) نفسه .

(٣) نفسه .

(٤) نفسه .

أثر: والله لا يقبل الله من مبتدع عملاً

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال الحسن: والله! لا يقبل الله من مبتدع عملًا يتقرب به إليه أبدًا لا صلاة ولا صيامًا ولا زكاة ولا حجًا ولا جهادًا ولا عمرة ولا صدقة حتى ذكر أنواعًا من البر، وقال: إنما مثل أحدهم كمثل رجل أراد سفرًا هاهنا فهل يزداد من وجهه الذي أراده إلا بعدًا، وكذلك المبتدع إذ لا يزداد بما يتقرب به إلى الله عز وجل إلا بعدًا.

الشرح : وهذا الأثر عن الحسن البصري - رحمه الله - محمول على المبتدع الذي بدعته مكفرة؛ إذ لا يقبل الله منه عملًا لا صلاة ولا صيامًا ولا زكاة حتى يتوب من كفره وضلاله؛ لأن الكفر لا يُقبل معه العمل.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (١).

قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (٢).

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ (٤) فالمبتدع الذي بدعته توصله إلى الكفر لا يقبل الله منه عملًا يتقرب

---

(١) سورة الزمر آية : ٦٥ .

(٢) سورة الأنعام آية : ٨٨ .

(٣) سورة المائدة آية : ٥ .

(٤) سورة الفرقان آية : ٢٣ .

به أبدًا، لا صلاة ولا صيامًا ولا زكاة ولا حجًّا ولا جهادًا ولا صدقة؛ فجميع أعماله محبطة نعوذ بالله، وقال الحسن البصري - رحمه الله - : إنما مثل أحدهم - يعني المبتدعة الذين بدعتهم مكفرة - كمثل رجل أراد سفرًا هاهنا فهل يزداد من وجهه الذي أراده إلا بعدًا، وكذلك المبتدع في سفره إلى الله لا يزداد بما يتقرب به إلى الله عز وجل إلا بعدًا؛ لأن الكافر عمله محبط.

أما صاحب البدعة الذي لا توصله بدعته للكفر فهذا مؤمن لكن إيمانه ضعيف ومرتكبًا للكبيرة؛ فالمعاصي والبدع بريد الكفر، فإذا كانت البدع لا توصل للكفر فإن عمله مقبول وصحيح، وهو ضعيف الإيمان مرتكب لكبيرة، أما المبتدع الذي بدعته مكفرة فهو الذي لا يقبل عمله، وهذا هو الذي قصده الحسن - رحمه الله - .



أثر: في قوله تعالى: ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال مرة الطيب في قوله تعالى: ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾[(١)]: منحرفة عن الحق لا تعي شيئًا.

الشرح : فهذا مرة الطيب يقول في قوله تعالى: ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾[(٢)] أي: منحرفة عن الحق لا تعي شيئًا، وفسر: وأفئدتهم هواء بأنها خالية عن الحق ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾[(٣)].

وأفئدتهم هواء في الدنيا لخلوها من الخير، وأفئدتهم هواء في الآخرة من شدة الخوف وهذا في يوم القيامة ولهذا قال سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[(٤)] وهو يوم القيامة ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾[(٥)] من شدة الخوف؛ بسبب أعمالهم الخبيثة. نسأل الله السلامة والعافية.

وهذا الأثر فيه التحذير من أهل البدع؛ لأنهم يشاركون الكفرة في هذا وإن كان المبتدع الذي بدعته غير مكفرة عنده أصل الإيمان إلا أن إيمانه ضعيف، أما المبتدع الذي بدعته مكفرة فإنه داخل في هذه الآية الكريمة. نسأل الله العافية.

---

(١) سورة إبراهيم آية : ٤٣ .

(٢) نفسه .

(٣) نفسه.

(٤) نفسه .

(٥) نفسه.

أثر: سألت إبراهيم عن هذه الأهواء

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال أبو حمزة: سألت إبراهيم عن هذه الأهواء أيها أعجب إليك فإني أحب أن آخذ برأيك فقال: ما جعل الله في شيء منها مثقال ذرة من خير، وما هي إلا زينة من الشيطان، وما الأمر إلا الأمر الأول.

الشرح : وهذا الأثر ذكره عن أبي حمزة؛ فقد سأل إبراهيم النخعي - من أصحاب عبد الله بن مسعود، التابعي، فهو تابعي صغير - عن هذه الأهواء - أي: البدع - أيها أعجب إليك فإني أحب أن آخذ برأيك؟ فقال إبراهيم: ما جعل الله في شيء منها مثقال ذرة من خير، فالبدع كلها شر ليس فيها خير.

ومن قال من أهل العلم إن البدع تنقسم إلى أقسام وأنها بدعة حسنة وبدعة سيئة فهذا ليس بصحيح؛ فالبدع كلها سيئة ليس في البدع شيء حسن؛ فكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، والبدعة ما هي إلا زينة من الشيطان، فالشيطان يزينها ويحسنها في قلوب معتنقيها، وما الأمر إلا الأمر الأول، الذي عليه الرسول ﷺ والصحابة والتابعون وهو لزوم الكتاب والسنة والاستقامة على الدين.

فالواجب لزوم السنن والاستقامة على الدين والحذر من الأهواء والبدع فإنها زينة من الشيطان وليس فيها شيء من الخير.

❁ ❁ ❁

أثر: نعمتان لله عليّ لا أدري أيهما أفضل

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال أبو العالية: نعمتان لله عليَّ لا أدري أيهما أفضل أو قال: أعظم؛ أن هداني للإسلام، والأخرى أن عصمني من الرافضة.

التخريج: أخرجه ابن سعد في الطبقات، والهروي من كلام مجاهد، واللالكائي، والدارمي عن مجاهد.

الشرح : وهذه مقالة لأبي العالية الرياحي يقول: نعمتان لله علي لا أدري أيهما أفضل أو قال أعظم:

النعمة الأولى: قال: أن هداني للإسلام، والأخرى: أن عصمني من الرافضة، يحتمل هذا أن عصمني من الرافضة أو عصمني من الرِفض وهو مذهب الرافضة، وسياق الكلام يقتضي أن يقال: أن عصمني من الرِّفض أي مذهب الرافضة، ويحتمل معناه أن عصمني من الرافضة أي: فلم أكن معهم؛ وذلك أن الرافضة يكفرون الصحابة ويفسقونهم، وهذا تكذيب لله وهو كفر وضلال، ويعتقدون أن القرآن غير محفوظ وأنه لم يبق إلا الثلث، ويعبدون آل البيت؛ فلهذا قال أبو العالية: نعمتان عليَّ لا أدري أيهما أفضل أو قال أعظم الأولى: أن هداني للإسلام والأخرى أن عصمني من الرِّفض، والحقيقة أن النعمة الأولى هي الأصل أي أن هداه للإسلام؛ فإذا هدى الله المسلم للإسلام عصمه من الرفض؛ لأن الرفض ينافي الإسلام؛ فهو كفر وضلال

وهذا فيه التحذير من البدع ومن الرفض؛ مذهب الرافضة والحث على لزوم السنة والجماعة والاعتصام بالدين.

أثر: كنا عند ابن المبارك إذ جاءه رجل

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال الحسن بن شقيق: كنا عند ابن المبارك إذ جاءه رجل فقال له: أنت ذاك الجهمي؟ قال: نعم. قال: إذا خرجت من عندي فلا تعد إلي. قال الرجل: فأنا تائب، قال: لا، حتى يظهر من توبتك مثل الذي ظهر من بدعتك.

الشرح : هذه المقالة للحسن بن شقيق بن عمر بن شقيق الجرمي يروي عن عبد الله بن المبارك العالم الزاهد الإمام المشهور أنه جاءه رجل - كأنه لم يعرفه ولم يتحقق منه - فقال له: أنت ذاك الجهمي الذي تقول بمذهب الجهمية؟ وهم الذين ينكرون أسماء الله وصفاته ويقولون إن الله بكل مكان. قال: نعم. قال: إذا خرجت من عندي فلا تعد إلي؛ هجرًا له لكفره وضلاله، وهذا يدل على وجوب هجر أهل البدع وإبعادهم، ولا يكونون جلساء له، قال الرجل: أنا تائب، وهذا في وقت كانت السنن فيه ظاهرة، والبدع كانت قليلة، وكان لأهل السنة والأئمة والعلماء مكانة وكانت لهم قوة، وكان أهل البدع مخذولين.

ولهذا قال هذا المبتدع لعبد الله بن المبارك : أنا تائب، قال: لا، أي: لا أقبل منك حتى يظهر من توبتك مثل الذي ظهر من بدعتك، أي: كما أظهرت بدعتك فأظهر السنة في الأمكنة التي أظهرت فيها البدعة حتى يكون ذلك علامة على توبتك، أما الدعوى باللسان فلا أقبل؛ فدل على وجوب هجر أهل البدع كالجهمية والمعتزلة والرافضة والخوارج يجب على الإنسان أن يهجرهم وألا يكلمهم وألا يجالسهم وأن يطردهم من مجلسه حتى تظهر توبتهم، ولهذا لم يقبل منه عبد الله بن المبارك قوله ولا كلامه حتى تظهر توبته بالفعل.

أثر: ما من عملي شيء أوثق في نفسي من مشيتي إلى هذا المسجد

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال بقية بن الوليد: قال لي ثابت ابن عجلان: أدركت مالك بن أنس وسعيد بن المسيب وعامرًا الشعبي وسعيد بن جبير والحسن بن عتيبة وحماد بن أبي سليمان وعطاء وطاوسًا ومجاهدًا وابن أبي مليكة ومكحولاً وسليمان بن موسى والحسن وابن سيرين وأبا عامر - وأبو عامر أدرك أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه - مع غيرهم قد سماهم، فكلهم يأمرني بالصلاة في جماعة وينهاني عن الأهواء والبدع حتى قال لي: يا أبا محمد والله ما من عملي شيء أوثق في نفسي من مشيتي إلى هذا المسجد، ولربما كان عليه الوالي كما شاء الله أن يكون قد عرفنا ذلك منه ورأيناه فلا ندع الصلاة خلفه.

التخريج: رواه اللالكائي.

الشرح : وهذه المقالة نقلها بقية بن الوليد عن ثابت بن عجلان يقول: أدركت هؤلاء العلماء وهؤلاء الأئمة من التابعين ومن بعدَهم قال: فكلهم يأمرني بالصلاة في الجماعة وينهاني عن الأهواء والبدع أي: كلهم يأمرني بلزوم السنة والجماعة.

ومن لزوم السنة لزوم جماعة المسلمين فيصلي مع المسلمين في جماعتهم، ويحذر من الشذوذ؛ فمن ترك الجماعة فقد شذ عن المسلمين، والجماعة

واجبة، والله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾[1] قال: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّٰكِعِينَ﴾[2] ولم يرخص النبي ﷺ لابن أم مكتوم وكان رجلًا ضرير البصر وقال له: أتسمع النداء، ثم قال: فأجب الصلاة في جماعة، وهذا من لزوم جماعة أهل السنة.

وفي الأثر التحذير من البدع والشذوذ والخروج عن الجماعة، والأمر بلزوم الجماعة ولزوم السنة ولزوم جماعة المسلمين وعدم الشذوذ عنهم، والبعد عن الأهواء والبدع حتى قال لي: يا أبا محمد ما من عملي شيء أوثق في نفسي من مشيتي إلى هذا المسجد، أي: أرى أن مشيتي إلى المسجد وصلاتي مع المسلمين ولزوم جماعتهم عملًا صالحًا أرجو منه ثواب الله.

وقد كان الأمراء يصلون بالناس، وقد يكون بعضهم يقترف بعض المعاصي، ولربما نكون على علم بهذه المعاصي، ومع ذلك فلا ندع الصلاة خلفه؛ فإمام المسلمين والأمراء إذا صلوا بالناس يصلي الناس خلفهم ولو كان عليهم بعض المعاصي، فهذا أهون من البدع، ومقصوده أن لزوم جماعة المسلمين من أوثق الأعمال حتى ولو كان الإمام به بعض الأمور القادحة؛ لكن المصيبة البدع والشذوذ.

وفي الأثر أيضًا الحث على لزوم جماعة المسلمين في معتقداتهم وفي صلواتهم وفي عباداتهم وفي أوطانهم وبلدانهم والحذر من الشذوذ والبدع.

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة النساء آية : ١٠٢ .

(٢) سورة البقرة آية : ٤٣ .

أثر: سئل عن أهل القدر أيكف عن كلامهم

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ابن وهب: سئل مالك عن أهل القدر أيكف عن كلامهم أو خصومتهم أفضل؟ قال: نعم، إذا كان عارفًا بما هو عليه. قال: وتأمره بالمعروف، وتنهاه عن المنكر، وتخبره بخلافهم، ولا يراجعوا، ولا تصل خلفهم. قال مالك: ولا أرى أن يناكحوا.

الشرح : وهذه مقالة ابن وهب قال: سئل مالك عن أهل القدر، وهم الذين يتكلمون في القدر، وهم طائفتان - كما سبق - الطائفة الأولى: الذين ينكرون علم الله وكتابته، والطائفة الثانية: الذين ينكرون عموم الإرادة وعموم الخلق، وقد سئل مالك بن أنس أيكف عن كلامهم أو خصومتهم أفضل؟ قال نعم: لا يجادلوا ولا يخاصموا بل يهجروا، إذا كنت تعرف بما هو عليه من البدعة، وأنه مصر عليها؛ فلا يجادل ولا يخاصم، لكن يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر؛ ولهذا قال: وتأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، وتخبره بخلافهم؛ أي: بخلاف أهل السنة والجماعة، ولا يجادلوا ولا يخاصموا؛ لأن الجدال والخصام يولد الشبهات، والشبهات تولد البدع، وإنما يكف عن كلامهم وخصومتهم، ولكن يؤمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يصلى خلفهم، قال مالك: ولا أرى أن يناكحوا؛ فالقدري لا يزوج ولا يصلى خلفه؛ لأنه كافر، حيث إنه لا يؤمن بعلم الله وكتابته للأشياء، أما عامة القدرية الذين ينكرون عموم الإرادة وعموم الخلق، ويقولون إن العباد خالقون

لأفعالهم، فهؤلاء بدعتهم كبيرة تنقص الإيمان وتضعف الإيمان ولا يُكَفر ولا يرتَّب إمامًا للمسلمين، لكن إذا لم يجد غيره وصلى خلفه فالصلاة صحيحة في أصح قولي العلماء.





أثر: وسئل عن تزويج القدري

قال المؤلف - رحمه الله - : قال: وسئل مالك: عن تزويج القدري فقال: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ﴾[1].

الشرح : وهذا ما قال مالك يدل على أنه يرى أن القدري كافر لا يزوج؛ ولهذا تلا هذه الآية: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ﴾[2] فدل على أنه يرى أن القدري مشرك، فالمشرك لا يزوج، وهذا الأثر محمول على القدرية الغلاة الأولى الذين ظهروا في عصر الصحابة، الذين أنكروا علم الله وكتابته للأشياء، أما عامة القدرية المتأخرين فهم مبتدعة والفرق بين الطائفتين:

الطائفة الأولى: القدرية ينكرون المرتبتين الأوليين من القدر، والطائفة الثانية: يقرون بالمرتبتين الأوليين وينكرون عموم المرتبتين الأخريين، فمراتب القدر أربعة لا بد من الإيمان بها:

الأول: علم الله بالأشياء قبل كونها.

والثاني: كتابة الله في اللوح المحفوظ.

والثالث: إرادته للأشياء قبل كونها.

والرابعة: الخلق والإيجاد.

فالقدرية الأولى ينكرون المرتبتين الأوليين وهم كفرة، والمتوسطون يقرون بالمرتبتين الأوليين والمرتبتين الأخريين فينكرون العموم؛ فيقولون: أراد الله

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٢١ .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٢١ .

كل شيء إلا أفعال العباد والخلق: قال: خلق الله كل شيء إلا أفعال العباد فهم الخالقون لها بسبب الشبهة التي حصلت لهم، هؤلاء هم المبتدعة، ومراد مالك - رحمه الله - : الذي لا يزوج القدري من القدرية الأولى ولهذا قال الآية: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ﴾ [1] فدل على أن القدري مشرك لا يزوج، وفي الأثر التحذير من البدع، بدعة القدرية وغيرها.

❁ ❁ ❁

(١) سورة البقرة آية : ٢٢١ .

أثر: كان إذا جاءه بعض هؤلاء أصحاب الأهواء

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال: سمعت مالكًا يقول: كان ذلك الرجل إذا جاءه بعض هؤلاء أصحاب الأهواء قال: أما أنا فعلى بينة من ربي، وأما أنت فشاكٌّ فاذهب إلى شاكٍّ مثلك فخاصمه.

التخريج: رواه اللالكائي بسنده عن الحسن أن رجلًا جاء ليناقشه فقال له: إليك عني فإني قد عرفت ديني، وإنما يخاصمك الشاك في دينه.

الشرح : وهذه المقالة لمالك أيضًا تابع لما نقله ابن وهب يقول: كان ذلك الرجل إذا جاءه بعض هؤلاء أصحاب الأهواء قال: أما أنا فعلى بينة من ربي، أي: ما عندي شك، وأما أنت فشاك فاذهب إلى شاك مثلك فخاصمه، وهذا يدل على أن أهل البدع لديهم شكوك وليس عندهم يقين؛ فالواجب الحذر من أهل البدع حتى لا يشككوا الإنسان في دينه وعقيدته في ربه وفي أسمائه وصفاته مثل الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والرافضة والخوارج والمرجئة وغيرهم.

❁ ❁ ❁

أثر: يلبّسون على أنفسهم ويطلبون من يعرّفهم

قال المؤلف - رحمه الله - : قال: وقال مالك: يلبِّسون على أنفسهم ويطلبون من يعرِّفهم.

الشرح : هذا هو وصف أهل الأهواء. أهل البدع يُلَبِّسون على أنفسهم، أو يَلْبِسون على أنفسهم، ويطلبون مَن يُعرّفهم، هم الذين لبسوا على أنفسهم باعتناق البدع، وقبول الشبه، والتعرض لها، والصد عن النصوص، والبعد عن النصوص الواضحة الجلية.

فلما أعرضوا عنها عوقبوا ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [(١)] نسأل الله السلامة والعافية! فالواجب الحذر من أهل البدع والإصغاء إلى شبههم.



---

(١) سورة الصف آية : ٥ .

أثر: لقد دخلتُ في هذه الأديان كلها

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال مالك: قال لي رجل: لقد دخلتُ في هذه الأديان كلها فلم أر شيئًا مستقيمًا، فقال له رجل من أهل المدينة من المتكلمين: فأنا أخبرك، لم ذاك؟ قال: قلت: لأنك لا تتقي الله، ولو كنت تتقي الله لجعل لك من أمرك مخرجًا.

الشرح : وهذه المقالة لمالك يقول: قال لي رجل: لقد دخلتُ في هذه الأديان كلها فلم أر شيئًا مستقيمًا.

فالمراد بالأديان: البدع المتعددة. وسمى البدع المتعددة أديانًا؛ لأن أهل كل بدعة يدينون ببدعتهم ويعتنقونها، فسأل هذا الرجل فقال: دخلتُ في هذه الأديان كلها فلم أر شيئًا مستقيمًا، فقال له رجل من أهل المدينة ممن هو من المتكلمين: قال: قلت: لأنك لا تتقي الله، ولو كنت تتقي الله لجعل لك من أمرك مخرجًا.

يعني عملًا بقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[1] فمن اتقى الله وجاهد نفسه وعمل بالنصوص وابتعد عن البدع؛ جعل الله له مخرجًا من أمره، وعرف سبيل الحق، واستقام على الدين، ولزم السنة والجماعة.

ومن لم يتق الله فإنه يُخذل بسبب بعده عن قبول الحق، وبعده عن النصوص، وعدم قبولها، فعوقب بأنه لم يستقر في نفسه شيء من الخير، ولا

---

(١) سورة الطلاق آية : ٢ - ٣ .

يرى شيئًا مستقيمًا، بل عنده شكوك وشبه، وليس عنده يقين؛ عقوبةً من الله بسبب إعراضه وتركه الحق الواضح ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [1] نسأل الله السلامة والعافية.



(١) سورة الصف آية : ٥ .

أثر: شاورني عمر بن عبد العزيز في القدرية

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال أبو سهيل - عم أنس بن مالك - : شاورني عمر بن عبد العزيز في القدرية فقلت: أرى أن تستتيبهم، فإن تابوا وإلا ضربتهم بالسيف، فقال عمر ذاك رأيي، وكذلك كان يرى مالك بن أنس والحسن فيهم.

التخريج: رواه الدارمي في النقض على المريسي بسند صحيح.

الشرح : وهذه المقالة لعم أنس أبي سهيل يقول: شاورني عمر بن عبد العزيز في القدرية فاتفق رأيهما على أن القدرية يُستتابون، فإن تابوا وإلا قتلوا بالسيف.

وهذا ما كان يراه - أيضًا - مالك بن أنس والحسن، كل هؤلاء العلماء الأجلاء يرون أن القدرية يستتابون، فإن تابوا وإلا قتلوا، إن كانت بدعتهم موصلة إلى الكفر - وهؤلاء القدرية الأولى فيقتلون لكفرهم وضلالهم وهذا هو الغالب؛ لأن القدرية الأولى يرون أن الله لا يعلم الأشياء حتى تقع، فينسبون الله إلى الجهل، وأما القدرية الثانية فإنهم يستتابون، فإن تابوا وإلا قتلوا منعًا لشرهم وفسادهم.

وهذا فيه التحذير من البدع والشبهات التي تنشأ منها البدع.

۞ ۞ ۞

أثر: كان الحسن لا يرى القدرية مسلمين

وقال المؤلف - رحمه الله - : كان الحسن بن محمد بن علي لا يراهم مسلمين، وكذلك الخوارج.

الشرح : - أي القدرية - لا يراهم مسلمين؛ لإنكارهم علم الله وكتابته الأشياء قبل كونها، وهؤلاء القدرية الأولى، هو رأي كثير من العلماء؛ ولهذا أخرجوهم من الثنتين والسبعين فرقة التي قال فيها النبي ﷺ: **«افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة»**[(١)].

وكان الحسن لا يراهم مسلمين، وكذلك كثير من العلماء لا يرونهم مسلمين، وأنهم خارجون من الثنتين والسبعين فرقة لكفرهم وضلالهم.

وكذلك الخوارج، أي: كذلك يرى الحسن بن محمد أن الخوارج كفار؛ عملًا بالنصوص التي ظاهرها كفرهم وضلالهم؛ لقوله ﷺ في الخوارج: **«يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»**[(٢)].

وقوله: **«يمرقون من الدين ثم لا يعودون إليه»**[(٣)] وقوله: **«لئن لقيتهم لأقتلنهم قتل عاد»**[(٤)] شبههم بعاد وهم قوم كفار، قال: **«فمن لقيهم فليقتلهم**

---

(١) الترمذي: الإيمان (٢٦٤٠)، وأبو داود: السنة (٤٥٩٦)، وابن ماجه: الفتن (٣٩٩١)، وأحمد (٢/ ٣٣٢) .

(٢) البخاري: المناقب (٣٦١٠)، ومسلم: الزكاة (١٠٦٤)، والنسائي: الزكاة (٢٥٧٨) .

(٣) البخاري: التوحيد (٧٥٦٢)، ومسلم: الزكاة (١٠٦٤)، والنسائي: تحريم الدم (٤١٠١)، وأبو داود: السنة (٤٧٦٤)، وأحمد (٣/ ٣٣) .

(٤) البخاري: التوحيد (٧٤٣٢)، ومسلم: الزكاة (١٠٦٤)، والنسائي: الزكاة (٢٥٧٨)، وأبو داود: السنة (٤٧٦٤)، وأحمد (٣/ ٦٨) .

فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم عند الله»[1].

فظاهر النصوص أنهم كفار؛ ولهذا أخذ بهذا بعض أهل العلم، وهو رواية عن الإمام أحمد، والقول الثاني الذي عليه الجمهور أن الخوارج مبتدعة، وليسوا كفارًا وهو الرأي الذي كان عليه الصحابة؛ فالصحابة عاملوا الخوارج معاملة العصاة ولم يعاملوهم معاملة الكفار؛ لأنهم متأولون، ولما سُئل علي رضي الله عنه عن الخوارج أهم كفار؟ قال: من الكفر فرُّوا.

فالصحابة - كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : عاملوهم معاملة العصاة. فالجمهور على أنهم عصاة.

والقول الثاني: أنهم كفار، وممن رآهم كفارًا الحسن بن محمد بن علي قال: وكذلك الخوارج، أي: يراهم كفارًا.

❁ ❁ ❁

(١) الترمذي: الفتن (٢١٨٨)، وابن ماجه: المقدمة (١٦٨)، وأحمد (١/ ٤٠٤) .

أثر: من تعاطى الكلام تزندق

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ابن المبارك: من تعاطى الكلام تزندق.

التخريج: رواه اللالكائي عن الفضيل بن عياض، ورواه ابن قتيبة عن أبي يوسف في تأويل مختلف الحديث.

الشرح : وهذه المقالة مروية عن عدد من أهل العلم، قالوا: ومن تعاطى الكلام تزندق أي: من اشتغل بالكلام وترك النصوص من الكتاب والسنة وصار همه مقالات أهل الكلام - مقدماتهم وشبههم - فإنه يصل إلى الزندقة.

ومعنى الزندقة النفاق - والعياذ بالله -، وكلمة الزندقة فارسية الأصل معربة، وأصل الزنديق هو الخارج عن الدين، وكانوا يسمونهم في عهد الصحابة منافقين، ثم بعد عهد الصحابة صار المنافق يسمى زنديقًا، وفي عصرنا يسمى المنافق علمانيًا ، والعلماني هو المنافق، الذي يظهر الإيمان ويبطن الكفر.

ويوجد العلمانيون والمنافقون في المجتمع، ويوجد في المجتمع كثيرون يؤمنون بالله ورسوله، عندهم تحمس للدين، لكن إذا ضعف الإيمان في المجتمع أظهر العلمانيون كفرهم علانية ولا أحد يمنعهم، لكن إذا صار المجتمع فيه مؤمنون كُثر ما يستطيعون أن يظهروا كفرهم ونفاقهم؛ فيبطنون الكفر ويظهرون الإسلام؛ لأنهم إذا أظهروا الكفر قتلوا.

فإذا كانوا في دولة تحكم بالشريعة لا يستطيعون أن يظهروا كفرهم؛ لأنهم لو صرحوا بكفرهم أحيلوا إلى المحكمة وقُتلوا، فهم يتسترون، يظهرون الشر وينشرون الكفر، ويحاولون إظهار الفساد، ونشر الفساد في الأمة لإفساد

الأخلاق، وإفساد المرأة باسم الإصلاح، وباسم التجديد، باسم التطور، وباسم المدنية والحضارة، وهم كفرة في الباطن - نعوذ بالله - يريدون القضاء على الإسلام والمسلمين.

وقد ذكرهم الله في أول سورة البقرة، ذكر أهل الإيمان المؤمنين باطنًا وظاهرًا في أربع آيات وصفهم فيها، وذكر الكفار الكافرين ظاهرًا وباطنًا في آيتين، وذكر المنافقين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر في ثلاث عشرة آية بسبب تلبيسهم.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ (١) يظهرون الإسلام بألسنتهم ويبطنون الكفر ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (٢) من وصفهم الخداع.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ (٣) ينشرون الفساد ويسمونه صلاحًا.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ (٤) يسمون الإيمان سفهًا، ويصفون المؤمنين بالسفه، وهذه من أوصافهم، ضرب لهم مثل الماء ومثل النار.

قال ابن المبارك هنا - رحمه الله - الإمام المشهور: من تعاطى الكلام تزندق.

أي: من تعاطى الكلام واعتمد على الشبه وأعرض عن النصوص، فإنه يصل إلى الزندقة وإلى النفاق، ففيه التحذير من تعاطي الكلام والشبه والشكوك والبدع، فإنها توصل إلى الزندقة وهي النفاق - نعوذ بالله - .

---

(١) سورة البقرة آية : ٨ .
(٢) سورة البقرة آية : ٩ .
(٣) سورة البقرة آية : ١١ .
(٤) سورة البقرة آية : ١٣ .

أثر: إن لله ملائكة يطلبون حلق الذكر

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ابن المبارك: إن لله ملائكة يطلبون حلق الذكر، فانظر مع من يكون مجلسك، لا يكون مع صاحب بدعة، فإن الله لا ينظر إليهم، وعلامة النفاق: أن يقوم الرجل ويقعد مع صاحب بدعة.

التخريج: رواه السلفي عن الفضيل، وابن بطة في الكبرى عن ابن المبارك.

الشرح : وهذه المقالة للإمام عبد الله بن المبارك الإمام المشهور الزاهد العالم يقول: إن لله ملائكة يطلبون حلق الذكر، فانظر مع من يكون مجلسك، لا يكون مع صاحب بدعة، وهذا الأثر أيضًا فيه التحذير من البدع، يعني اطلب حلق العلماء ولا تأت إلى حلق المبتدعة.

ولهذا في الأثر الساري يقول ابن سيرين : «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم» . فالإنسان إذا تعلم وحضر مجالس العلماء إنما يخص مجالس علماء السنة، ويحذر من مجالس أهل البدع، فمجالس العلماء - مجالس أهل السنة والجماعة وأهل العلم - تحضره الملائكة.

أما مجالس البدع فلا تحضرها الملائكة؛ ولهذا قال: إن لله ملائكة يطلبون حلق الذكر، فانظر مع من يكون مجلسك، لا يكون مع صاحب بدعة؛ فإن الله لا ينظر إليهم.

قال: وعلامة النفاق أن يقوم الرجل ويقعد مع صاحب بدعة؛ فمصاحبة أهل البدع دليل على مرض في القلب، قد يصل به إلى النفاق - نعوذ بالله -

ومجالسة أهل السنن دليل على سلامة المعتقد، فالمرء على دين جليسه، فإذا كان يجالس أهل البدع فإن هذا دليل على مرض في قلبه يوصله إلى النفاق، وإذا كان يجالس أهل السنة فاعلم أنه على استقامة وعلى الجادة.

۞ ۞ ۞



أثر: من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال محمد بن النضر الحارثي: من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة نزعت منه العصمة، ووكِل إلى نفسه.

الشرح : وهذه المقالة لمحمد بن النضر الحارثي الكوفي يقول: من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة نزعت منه العصمة ووكل إلى نفسه؛ لأنه هو الذي اختار البدعة بنفسه.

فالواجب الحذر من البدع، فإذا اختار الإنسان البدعة فإنه يُخشى عليه أن تُنزع منه العصمة من الفتن، ويوكل إلى نفسه، ومن وُكل إلى نفسه هلك، فالواجب على الإنسان أن يحذر البدع، ويلزم السنة والجماعة حتى يعصمه الله من الفتن.

فالذي يتعرض للفتن ويمشي إلى مواقع الريب فإنه يُخشى عليه العطب والهلاك؛ لأنه هو الذي اختار هذا بنفسه، فيُخشى أن تنزع منه العصمة وأن يوكل إلى نفسه، ومن وكل إلى نفسه هلك، ففيه التحذير من البدع أيضًا.

۞ ۞ ۞

أثر: أدركت خيار الناس كلهم أصحاب سُنَّةٍ

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال الفضيل بن عياض: أدركت خيار الناس كلهم أصحاب سنة، ينهون عن أصحاب البدع، وصاحب سنة وإن قل عمله فإني أرجو له، وصاحب بدعة لا يرفع الله له عمل وإن كثُر.

التخريج: رواه اللالكائي، ورواه السِّلفي.

الشرح : وهذه المقالة للفضيل بن عياض العالم الزاهد المشهور يقول: أدركت خيار الناس كلهم أصحاب سنة أي: في زمانه ينهون عن أصحاب البدع، وذلك لأن أصحاب البدع مخالفون للسنن، وهم عصاة ومعرَّضون للفتنة.

ثم بين الفرق بين صاحب السنة وصاحب البدعة، فقال: صاحب السنة وإن قل عمله فإني أرجو له أي: أرجو له الخير وأن يثاب ويبارك الله في عمله ولو كان قليلًا، بخلاف صاحب البدعة، ولو كان عمله كثيرًا فإنه لا بركة فيه.

فالعمل الكثير مع البدعة لا يصح، والعمل القليل مع السنة يبارك الله فيه ويثيبه عليه ثوابًا كثيرًا.

فالواجب لزوم السنن والبعد عن البدع والمحدثات في الدين.

❁ ❁ ❁

أثر: أكلت عند صاحب بدعة أكلة

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال عبد الله بن عمر السرخسي - عالم الحرم، صاحب ابن المبارك - : أكلت عند صاحب بدعة أكلة فبلغ ابن المبارك فقال: لا أكلمك ثلاثين يومًا.

التخريج: رواه اللالكائي ورواه السلفي.

الشرح : وهذه المقالة يرويها عبد الله بن عمر صاحب ابن المبارك يقول: أكلت عند صاحب بدعة أكلة، أي: دعاه وجلس معه وأكل معه أكلة، فبلغ ابن المبارك عن صاحبه عبد الله بن عمر أنه أكل أكلة فهجره ثلاثين يومًا.

وهذا فيه التحذير من البدع، وهذا من باب التأديب.

وفيه أن من جالس أهل البدع يُعزر ويؤدّب، وهذا من عبد الله بن المبارك تعزير وتأديب لصاحبه؛ حيث إنه جلس وأكل عنده أكلة ودخل بيته وجلس عنده، فهجره ثلاثين يومًا، قال: لا أكلمك ثلاثين يومًا.

وفيه دليل على أن الأئمة والعلماء يحذرون من أهل البدع، ويعزرون من جالسهم تأديبًا لهم وتحذيرًا لهم من الإصغاء إلى شبههم، فالواجب الحذر من أهل البدع.

❁ ❁ ❁

أثر: إياك أن يكون مجلسك مع صاحب بدعة

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال إسماعيل الطوسي: قال لي ابن المبارك: يكون مجلسك مع المساكين، وإياك أن يكون مجلسك مع صاحب بدعة، فإني أخشى عليك مقت الله عز وجل.

الشرح : وهذه المقالة لابن المبارك يرويها إسماعيل الطوسي وصيه؛ يقول ابن المبارك لإسماعيل الطوسي: يكون مجلسك مع المساكين، وهذا خبر بمعنى الأمر، والمعنى: ليكن مجلسك مع المساكين. أي: جالس المساكين، المساكين: أهل السنة، ولو كانوا ضعفاء مساكين ماداموا متمسكين بالسنة، فاجلس معهم، واحذر مجالسة أهل البدع ولو كانوا من الأكابر، فإنك إذا جلست معهم فإني أخشى عليك نزول السخط والغضب والبغض من الله - عز وجل - . وإياك أن يكون مجلسك مع صاحب بدعة، فإني أخشى عليك مقت الله، والمقت هو الغضب.

فدل هذا على أن الأئمة والعلماء يحذرون من أهل البدع، ويرون أن مجالس أهل البدع مجالس سخط وغضب ومقت من الله عز وجل وذلك لبعدهم عن السنن، وانحرافهم عن الجادة والصراط المستقيم.

❁ ❁ ❁

أثر: إياك أن تجلس مع صاحب بدعة

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال الفضيل: إياك أن تجلس مع صاحب بدعة، فإني أخشى عليك مقت الله عز وجل.

الشرح: وهذه المقالة للفضيل كمقالة ابن المبارك وفيها التحذير من الجلوس مع أصحاب البدع، إياك: أي أحذرك، وإياك كلمة تحذير، إياك أن تجلس مع صاحب بدعة، ثم بين العاقبة فقال: إني أخشى عليك مقت الله؛ فدل على أن العلماء يحذرون من مجالسة أهل البدع من الجهمية والمعتزلة والرافضة والخوارج والقدرية وغيرهم.

إياك أن تجلس مع صاحب بدعة فإني أخشى عليك العاقبة وهي مقت الله وغضبه - نسأل الله السلامة والعافية.



أثر: بعث الله آدم بالشريعة

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال منصور بن المعتمر: بعث الله آدم - عليه السلام - بالشريعة، فكان الناس على شريعة آدم حتى ظهرت الزندقة، فذهبت شريعة آدم ثم بعث الله نوحًا - عليه السلام - بالشريعة، فكان الناس على شريعة نوح فما أذهبها إلا الزندقة، ثم بعث الله إبراهيم - عليه السلام - فكان الناس على شريعة إبراهيم - عليه السلام - حتى ظهرت الزندقة، وذهبت شريعة إبراهيم - عليه السلام - ثم بعث الله عز وجل موسى - عليه السلام -، فكان الناس على شريعة موسى حتى ظهرت الزندقة، فذهبت شريعة موسى ثم بعث الله عيسى - عليه السلام - فكان الناس على شريعة عيسى حتى ظهرت الزندقة، فذهبت شريعة عيسى ثم بعث الله عز وجل محمدًا ﷺ بالشريعة فلا يُخاف على ذهاب هذا الدين إلا بالزندقة.

الشرح : وهذه المقالة عن منصور بن المعتمر فيها التحذير من الزندقة، والزندقة - كما سبق - النفاق والخروج من الإسلام.

قال منصور بن المعتمر: بعث الله آدم - عليه الصلاة والسلام - بالشريعة، فكان الناس على شريعة آدم حتى ظهرت الزندقة، فذهبت شريعة آدم .

وهذا فيه نظر؛ لأن شريعة آدم كانت على التوحيد، ولم يحصل زندقة ولا كفر عشرة قرون، حتى وجد الشرك في زمن نوح - عليه الصلاة والسلام - .

جاء عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟﴾(١) قال: كان الناس على التوحيد والإسلام عشرة قرون، حتى ظهر الشرك في زمن نوح، فلما ظهر الشرك في زمن نوح بعث الله نوحًا؛ فنوح - عليه الصلاة والسلام - أول رسول بعثه الله في الأرض بعد وقوع الشرك، وإلا فقد كان قبله آدم وكان نبيًا مكلمًا، وقبله شيث نبي، لكنه ما وقع الشرك في زمن آدم ولا في زمن شيث

وإنما وقعت المعصية في زمن آدم فقد قتل قابيل أخاه هابيل، ولم يقع الشرك إلا في زمن نوح؛ ولأن آدم أُرْسِلَ إلى بنيه فقط، أما نوح فأرسل إلى بنيه وغير بنيه، وأرسل بعد وقوع الشرك، فكان نوح أول رسول بعثه الله إلى الأرض.

فقول منصور بن المعتمر: بعث الله آدم - عليه السلام - بالشريعة، فكان الناس على شريعة آدم حتى ظهرت الزندقة، فذهبت شريعة آدم فيه نظر، إلا إذا حمل على أن المقصود في زمن نوح بعد عشرة قرون، فبعد عشرة قرون ظهرت الزندقة؛ فذهبت شرعة آدم ثم بعث الله نوحًا - عليه السلام - بالشريعة، فكان الناس على شريعة نوح فما أذهبها إلا الزندقة.

ثم بعث الله إبراهيم، وهذا فيه أيضًا اختصار، وإلا بعث الله هودا قبل إبراهيم ثم بعد ذلك لما وقع الشرك بعث الله صالحًا - عليه الصلاة والسلام -، ثم بعد ذلك بعث الله إبراهيم - عليه الصلاة السلام - وبعد ذلك كانت النبوة والكتاب في ذرية إبراهيم.

ثم بعث الله موسى بعد ذلك، ثم كُلف الأنبياء الذين جاءوا بعد موسى بالعلم بالتوراة، ولما ظهر الشرك بعد ذلك بعث الله عيسى - عليه الصلاة والسلام -، ثم بعد ذلك وقع الشرك في الفترة بين عيسى ومحمد - عليه

---

(١) سورة يونس آية : ١٩ .

الصلاة والسلام - فبعث الله محمدًا - عليه الصلاة والسلام - بالشريعة.

يقول منصور: فلا يُخاف على ذهاب هذا الدين إلا بالزندقة، أي: يُخشى من ذهاب هذا الدين بالنفاق والشرك، وهذا فيه تحذير من أسباب الشرك، والبدع هي بريد الشرك، وهي أقرب إلى الشرك من المعاصي.

ففيه التحذير من الشرك وأسبابه وهي البدع، وهي أسباب الزندقة.



أثر: لا تطيعوا رؤساء الدنيا

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال محمد بن علي: لا تطيعوا رؤساء الدنيا فينتسخ - وفي نسخة: فينسخ - الدين من قلوبكم.

الشرح : وهذا فيه التحذير من طاعة رؤساء الدنيا في المعاصي والبدع، فإن من أطاع الناس - ولا سيما الرؤساء - في معصية الله؛ فإنه يُخشى عليه أن يُنسخ أو ينتسخ الدين من قلبه؛ لأن المعاصي والبدع بريد الكفر، والبدع أشد.

فلا يجوز طاعة أحد في المعاصي ولا في البدع، والواجب الحذر من البدع والمعاصي، فإنها بريد الكفر، وهي سبب في نسخ الدين من القلوب.

ففيه التحذير من البدع والمعاصي، وأنه لا يُطاع أحد في المعاصي ولا في البدع، «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»[1] لا رئيس، ولا أمير، ولا وجيه، ولا عالم، ولا كبير، ولا أب، ولا زوج، ولا سيد، لا أحد يطاع في المعاصي.

❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري: المغازي (٤٣٤٠)، ومسلم: الإمارة (١٨٤٠)، والنسائي: البيعة (٤٢٠٥)، وأبو داود: الجهاد (٢٦٢٥)، وأحمد (١/ ٩٤) .

أثر: إذا أطاع الناس سلطانهم فيما يبتدع لهم

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال الشعبي: إذا أطاع الناس سلطانهم فيما يبتدع لهم، أخرج الله من قلوبهم الإيمان، وأسكنها الرعب.

الشرح : وهذا أثر للشعبي التابعي الجليل، فيه التحذير من طاعة السلطان في البدع، قال: إذا أطاع الناس سلطانهم فيما يبتدع لهم، أخرج الله من قلوبهم الإيمان وأسكنها الرعب؛ وذلك لأن البدع بريد الكفر، فإذا أطاعوه في البدع أخرج الله من قلوبهم الإيمان الكامل، وبقي أصل الإيمان الضعيف، ولا تزال البدع بدعة بعد بدعة حتى توصل الإنسان إلى الكفر.

ففي الأثر التحذير من طاعة السلطان وغير السلطان في البدع والمعاصي، لا أحد يطاع في البدع والمعاصي.



أثر: سيأتي أمراء يدعون الناس إلى مخالفة السنة

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال الحسن: سيأتي أمراء يدعون الناس إلى مخالفة السنة، فتطيعهم الرعية خوفًا على ذهاب دنياهم، فعندها سلبهم الله الإيمان، وأورثهم الفقر، ونزع منهم الصبر، ولم يأجرهم عليه.

الشرح : وهذه المقالة للحسن - رحمه الله - فيها التحذير من طاعة الأمراء فيما يخالف السنة من البدع، وأن هذا يكون في آخر الزمان، قال: سيأتي أمراء يدعون الناس إلى مخالفة السنة، فتطيعهم الرعية خوفًا على ذهاب دنياهم، فعنده يعاقبون بنقيض قصدهم؛ لأنهم أطاعوه خوفًا من ذهاب الدنيا، فعاقبهم الله بنقيض قصدهم، فسلبهم الإيمان، وأورثهم الفقر، والإنسان العاصي يعامل بنقيض قصده.

فمن أطاع السلطان خوفًا على ماله ودنياه عاقبه الله بالفقر، وسلب منه الإيمان، ونزع منه الصبر، ولم يأجرهم عليه.

وهذا فيه التحذير من البدع، وأنه لا يطاع أحد في البدع والمعاصي، لا السلطان ولا الأمير ولا العالم ولا الكبير ولا الغني ولا الزوج ولا الأب ولا السيد «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»[1].

---

(١) البخاري: المغازي (٤٣٤٠)، ومسلم: الإمارة (١٨٤٠)، والنسائي: البيعة (٤٢٠٥)، وأبو داود: الجهاد (٢٦٢٥)، وأحمد (١/ ٩٤) .

أثر: إذا خالف السلطان السنة

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال يونس بن عبيد: إذا خالف السلطان السنة، وقالت الرعية: قد أُمرنا بطاعته، أسكن الله قلوبهم الشك، وأورثهم التطاعن.

الشرح: لا حول ولا قوة إلا بالله! وهذا فيه دليل على أن صاحب البدعة يعاقب، قال: إذا خالف السلطان السنة، وقالت الرعية: قد أمرنا بطاعته، هذا غلط من هؤلاء القائلين.

فإنا أمرنا بطاعتهم في طاعة الله؛ ولهذا قال النبي ﷺ: **«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»** (١) وفي الحديث الآخر: **«أطيعوهم ما أطاعوا الله ورسوله»** فقيَّد طاعة الأمراء بطاعة الله ورسوله.

«إنما الطاعة في المعروف» ، فإذا أطاعوهم في المعصية وقالوا: أمرنا بطاعتهم، أورثهم ذلك الشك بسبب قبول البدعة ومخالفة السنة، وحينئذ يسلط الله بعضهم على بعض، ويورثهم التطاعن فيما بينهم، يعني يعيب بعضهم بعضًا، وقد يؤدي هذا إلى القتال والفتنة بسبب مخالفة السنة وقبول البدعة التي تورثهم الشك، وبالتالي تورثهم البغضاء والعداوة والتطاعن والقتال. كل هذا من أسباب المعاصي والبدع. . . والأثر فيه التحذير من المعاصي والبدع.

---

(١) البخاري: المغازي (٤٣٤٠)، ومسلم: الإمارة (١٨٤٠)، والنسائي: البيعة (٤٢٠٥)، وأبو داود: الجهاد (٢٦٢٥)، وأحمد (١/ ٩٤) .

أثر: دين المرء على دين خليله

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال النبي ﷺ: «دين المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»[1] وقال سليمان بن داود: لا تحكموا على أحد بشيء حتى تنظروا من يخادن.

التخريج: رواه أبو داود والترمذي وحسنه، والقضاعي عن أبي هريرة وتساهل ابن الجوزي فأورده في الموضوعات، ومن ثم خطأه الزركشي وتبعه في «الدرر»، وقال الحافظ في «اللآلئ» : والقول ما قال الترمذي يعني: أن الحديث حسن، ورواه ابن بطة في الكبرى من خمسة طرق، ورواه ابن وضاح في البدع والنهي عنها، ورواه شهاب القضاعي في مسنده من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وقد أشار إلى هذا العجلوني في «كشف الخفا» .

الشرح : وهذا الحديث فيه: أن الإنسان على دين خليله، يعني صاحبه وصديقه، فلينظر أحدكم من يخالل؛ فإذا كان الإنسان صديقه وجليسه صاحب سنة فهو من أهل السنة، وإذا كان صاحب بدعة فهو من أهل البدعة، وإذا كان صاحب معصية فهو من أصحاب المعاصي؛ ولهذا يقول الشاعر:

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه … فكل قرين بالمقارن يقتدي

وهذا فيه التحذير من مصاحبة أهل البدع وأهل المعاصي؛ لأنهم يجرونه إلى ما هم عليه من الشرك والبدع والمعاصي، وكما سبق الحديث: **«مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك**

---

(١) الترمذي: الزهد (٢٣٧٨)، وأبو داود: الأدب (٤٨٣٣)، وأحمد (٢/٣٠٣) .

إما أن تبتاع منه، وإما أن يحذيك، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحًا كريهة»[(١)].

وكذلك قول سليمان بن داود: لا تحكموا على أحد بشيء حتى تنظروا من يخادن، أي: لا تحكم على الشخص حتى ترى قرينه وصاحبه وصديقه وجليسه، فإن كان قرينه مشركًا فالغالب أنه يوافقه في الشرك، وإن كان قرينه مبتدعًا فهو مبتدع، وإن كان قرينه عاصيًا فهو عاصٍ، وإن كان قرينه مطيعًا ومن أهل السنة فهو مطيع ومن أهل السنة .



(١) البخاري: الذبائح والصيد (٥٥٣٤)، ومسلم: البر والصلة والآداب (٢٦٢٨)، وأحمد (٤/ ٤٠٤) .

أثر: يا موسى كن يقظانًا وارتض لنفسك إخوانًا

قال المؤلف - رحمه الله - : إن الله أوحى إلى موسى: يا موسى كن يقظانًا وارتض لنفسك إخوانًا، وكل من خدن لا يواتيك على مسرته فاحذره فإنه لك عدو، وأنا منه بريء.

الشرح : فهذا من الآثار الإسرائيلية المأخوذة عن بني إسرائيل، وكان على المؤلف ألا يأتي بها اكتفاء بالنصوص من الكتاب والسنة والآثار الصحيحة عن السلف لكنه أراد أن يذكر ما ورد في الباب من باب الاستشهاد، وإلا فإن هذا من الآثار الإسرائيلية التي لا زمام لها ولا خطام؛ لأنه لا بد في الأثر أن يكون بسند متصل، ولم يعزُ المؤلف - رحمه الله - هذا الأثر إلى أحد، وهو أحيانًا يُعزي عمن يأخذ عن بني إسرائيل من التابعين، وبينه وبين موسى - عليه السلام - دهور تنقطع دونها أعناق المطي، فمن الذي سمع من موسى - عليه الصلاة والسلام؟!!.

أراد المؤلف بهذا أن فيه تحذيرًا من البدع، وتحذيرًا من أخدان السوء، والخدن: الصديق والصاحب، إذا كان على بدعة فإنه يكون مخالفًا للإنسان، وهو عدو الله بقدر ما فيه من البدعة، وإن كانت بدعته مكفرة فهو عدو لله كامل العداوة.

❁ ❁ ❁

أثر: من خَفيت علينا بدعته

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ابن المبارك: من خَفيت علينا بدعته لم تخف علينا إلفته.

الشرح : وهذه المقالة لعبد الله بن المبارك الإمام الزاهد المشهور، يقول: من خفيت علينا بدعته لم تخف علينا إلفته، أي: لو أخفى المبتدع بدعته فإنه لا تخفى إلفه ومصاحبته، فلا بد أن يصاحب أهل البدع، فإذا صاحب أهل البدع عرفنا أنه مبتدع، وإن أخفى بدعته، لكن كونه يصاحب أهل البدع، ويألف أهل البدع، ويركن إلى أهل البدع هذا دليل على بدعته.

فمن خفيت علينا بدعته لم تخف علينا إلفته، والأثر فيه التحذير من أهل البدع، فمن صاحب أهل البدع فهو منهم، ومن صاحب أهل المعاصي فهو منهم، ومن صاحب الكفار وافقهم، وهكذا.



أثر: كان للمجوس دين وكتاب

قال المؤلف - رحمه الله - : وقيل: إنه كان للمجوس دين وكتاب، فوقع ملك منهم على أخته - وقد كان هويها - فخاف رعيته فقال: إن الذي صنعته حلال، ثم قتلهم على ذلك، فظهر عليهم حتى بقي في المجوس نكاح الأخوات والأمهات، وبطلت شريعتهم الأولى.

الشرح : هذا معروف عند المجوس أنهم يجيزون نكاح الأمهات والأخوات، ويقال - كما قال المؤلف - رحمه الله - : إنه كان لهم دين وكتاب، وأنه وقع ملك منهم على أخته فرُفع كتابهم، والله أعلم بهذا.

والمجوس هم الذين يعبدون النار، يقال لهم: مجوس، وهم عباد النار، وهم ملحقون بأهل الكتاب في أخذ الجزية؛ ولهذا بين الله تعالى في كتابه العظيم أن أهل الكتاب تؤخذ منهم الجزية، في قوله: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾[1].

فأهل الكتاب من اليهود والنصارى يخيرون بين الإسلام أو الجزية أو السيف، وأما سائر الكفرة من المشركين والوثنيين والمجوس وغيرهم فيخيرون بين شيئين: بين الإسلام أو السيف؛ لأن أهل الكتاب لما خف كفرهم؛ لأنه كان لهم كتاب، فصارت لهم أحكامًا خاصة، فصار يحل نكاح نسائهم وتحل

---

(١) سورة التوبة آية : ٢٩ .

ذبائحهم، قال تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾[1] طعامهم: ذبائحهم. قال: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾[2].

أي: حل لكم، أما المجوس فإنهم يلحقون بأهل الكتاب في أخذ الجزية، لِما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: «سنوا بهم سنة أهل الكتاب»[3].

ويقال: إن لهم شبهة كتاب، وهو أن لهم كتابًا رُفع - والله أعلم - فهم ملحقون بأهل الكتاب في أخذ الجزية، لكن ليسوا ملحقين بأهل الكتاب في الأحكام الأخرى، في حل نسائهم وذبائحهم.

وهذا الأثر أورده المؤلف - رحمه الله - ليبين أن أهل البدع قد توصلهم بدعتهم إلى الكفر؛ فالشيطان يتدرج بالإنسان ينتقل به من البدعة إلى الكفر إلى اليهودية أو النصرانية أو المجوسية، فيكون من المجوس.

---

(١) سورة المائدة آية : ٥ .

(٢) سورة المائدة آية : ٥ .

(٣) مالك: الزكاة (٦١٧) .

أثر: لا يزال هذا الدين متينًا

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال الحسن: لا يزال هذا الدين متينًا ما لم تقع الأهواء في السلطان، هم الذين يُدينون الناس، فإذا وقع فيهم فمن يُدينهم؟!.

الشرح : وقال الحسن البصري - رحمه الله - : لا يزال هذا الدين متينًا، يعني: قويًا، ما لم تقع الأهواء في السلطان، الأهواء: البدع.

والأثر فيه التحذير من البدع، وأن البدع تضعف الدين، وتضعف الإيمان، وإذا كانت البدعة مكفرة فإنها تقضي على الإيمان، فلا يزال هذا الدين متينًا قويًا حتى تقع الأهواء في السلطان فيضعف الدين؛ لأن الناس على دين ملوكهم؛ ولهذا قال: هم الذين يدينون الناس، فإذا وقع فيهم فمن يدينهم؟! وإذا وقعت الأهواء في السلاطين صاروا يجبرون الناس على البدع؛ كما حصل للمأمون الخليفة العباسي، فإنه اعتنق بدعة القول بخلق القرآن، وحمل الناس على ذلك، وأجبر العلماء على القول بها، ومن لم يقل بخلق القرآن زج به في السجون، سُجن الإمام أحمد - رحمه الله - وضُرب بسبب بدعة القول بخلق القرآن فامتنع وصبر، وصار شامخًا كالجبل لا يتزحزح حتى أذن الله بانتهاء المحنة، وجاء المتوكل فأظهر السنة وأزال البدعة.

فالإمام أحمد - رحمه الله - ثبته الله وصار إمامًا من أهل السنة والجماعة، ومن العلماء من تأول، ولهم رخصة في هذا؛ لأنهم أُكرهوا على هذا بالسجن والضرب والقتل، فإذا اعتنق السلطان البدعة حمل الناس عليها، وهذا من البلاء والمصائب - نسأل الله السلامة والعافية - .

أثر: إذا وقع الناس في الشر

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ابن مسعود - رضي الله تعالى عنه - : إذا وقع الناس في الشر فقل: لا أسوة لي في الشر، لِيوطن المرء نفسه على أنه إن كفر الناس كلهم لم يكفر.

الشرح : وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إذا وقع الناس في الشر فقل لا أسوة لي في الشر.

أي: لا أتأسى بأهل الشر، وإنما أتأسى بأهل الخير، بأهل السنة والجماعة، وأهل البدعة أهل شر، فإذا وقع الناس في البدع والشر فلا تتأس بهم، ولكن تأسّ بالرسول - عليه الصلاة والسلام - والصحابة والتابعين والأئمة وأهل السنة والجماعة كما قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾[1].

فلا أسوة في الشر وأهله وأهل البدع؛ ولهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه: إذا وقع الناس في الشر فقل لا أسوة لي في الشر، ليوطن المرء نفسه على أنه إن كفر الناس كلهم لا يكفر .

يوطن الإنسان نفسه بأنه عبد مأمور بالعمل بالكتاب والسنة، ولو كفر الناس كلهم، فيوطن الإنسان نفسه على أنه إن كفر الناس كلهم لا يكفر، وإن ابتدعوا لم يبتدع، وإن عصوا لم يعص.

وهذا فيه التحذير من البدع، والتحذير من اتباع الناس، فبعض الناس إمعة

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٢١ .

يتبع كل ناعق، إذا رأى الناس كفروا كفر - والعياذ بالله - وإذا رأى الناس ابتدعوا ابتدع، وإذا رأى الناس عصوا عصى مع الناس، لا تقلد دينك الرجال، بل وطن نفسك على أن تعمل بالكتاب والسنة ولا تتأسّ بالأشرار ولا بأهل البدع.



أثر: أطع الأمير وإن كان عبدًا مجدعًا

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - لسويد بن غفلة: إنك لعلك أن تُخَلَّفَ بعدي، فأطع الأمير وإن كان عبدًا مُجدَّعًا، إن ظلمك فاصبر، وإن حرمك فاصبر، وإن أرادك على أمر ينقض دينك فقل: دمي دون ديني.

الشرح : وهذه مقالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لسويد بن غفلة الجعفي قال: إنك لعلك أن تخلف بعدي، فأطع الأمير وإن كان عبدًا مجدعًا، ومجدعًا: أي: مجدع الأطراف؛ مقطوع الأنف أو الأذن أو اليد أو الرجل.

والمعنى: أنه يجب طاعة ولاة الأمور في طاعة الله عز وجل وفي الأمور المباحة، ولو كان عبدًا حبشيًا، كما في الحديث الآخر، وقد استدل عمر بن الخطاب بالحديث الآخر، حديث أبي ذر أن النبي ﷺ قال: **«اسمع وأطع وإن كان عبدًا حبشيًا مجدع الأطراف»**[(١)].

وفي الحديث الآخر أن أبا ذر رضي الله عنه قال: **«أمرني خليلي أن أسمع وأطيع وإن كان عبدًا حبشيًا»**[(٢)] وفي لفظ: **«ولو لحبشي مجدع الأطراف»**[(٣)].

والمعنى أنها تثبت الولاية لولي الأمر، فإذا غلب الناس بسيفه وسلطانه وجب له السمع والطاعة، فتثبت له الخلافة والولاية باختيار أهل الحل والعقد، كما اختار الصحابة الصدّيق وعثمان وعليًا أهل الحل والعقد، وتثبت

---

(١) مسلم: الإمارة (١٨٣٧)، وابن ماجه: الجهاد (٢٨٦٢)، وأحمد (٥/ ١٧١) .
(٢) مسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٦٤٨)، وأحمد (٥/ ١٦١) .
(٣) مسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٦٤٨)، وأحمد (٥/ ١٦١) .

بولاية العهد، من الأمير السابق والخليفة السابق كما ثبتت الخلافة لعمر بولاية العهد من أبي بكر الصديق وتثبت الخلافة بالقوة والغلبة.

فإذا غلب الناس بقوته وسلطانه وسيفه وجب السمع له والطاعة، كما في هذا الحديث: **«أمرني خليلي أن أسمع وأطيع وإن كان عبدًا حبشيًا مجدع الأطراف»**[(١)] وفي لفظ: **«ولو لحبشي كأن رأسه زبيبة»**[(٢)] تثبت له الخلافة.

أما إذا كان الاختيار والانتخاب لأهل الحل والعقد فإنهم يختارون من توفرت فيه الشروط، كما اختاروا من قريش إذا وجد فيهم من هو أهل لذلك، كما في الصحيحين: أنه قال: **«لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان»**[(٣)] لكن بقيد، وهو: ما أقاموا الدين، فإذا وجد منهم من يقيم الدين - والاختيار والانتخاب للمسلمين - وجب أن يختاروا منهم، وإذا لم يوجد من يقيم الدين يُختار من غيرهم.

وإذا غلب الناس بسيفه وقوته وسلطانه وجب السمع له والطاعة، ولكن في المعروف، فإنما الطاعة في المعروف، ولا يطاع فيما يخالف شرع الله، إنما يطاع في طاعة الله ورسوله، ويطاع في الأمور المباحة.

وعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أوصى سويدًا أن يعمل بهذه النصوص، فقال له: إنك لعلك أن تخلف بعدي، فأطع الأمير وإن كان عبدًا مجدعًا، أي: إذا غلب الأمير بسيفه وسلطانه وجب السمع له والطاعة، تثبت له الخلافة ولو كان عبدًا مجدع الأطراف.

وعليك أن تصبر، فإن ظلمك فاصبر، وفي اللفظ الآخر: وإن ضرب على ظهرك، وأخذ مالك.

---

(١) مسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٦٤٨)، وأحمد (٥/ ١٦١).

(٢) البخاري: الأذان (٦٩٦)، وابن ماجه: الجهاد (٢٨٦٠)، وأحمد (٣/ ١١٤).

(٣) البخاري: المناقب (٣٥٠١)، ومسلم: الإمارة (١٨٢٠)، وأحمد (٢/ ٩٣).

فاصبر ولا تخرج على ولي الأمر، ولا تقاتله، ولا تؤلب الناس عليه ولو كنت مظلومًا؛ لأن هذا يترتب عليه مفاسد، فكونه ظلمك، وضرب ظهرك، وأخذ مالك فهذه مفسدة، لكن مفسدة الخروج على ولي الأمر أعظم، يترتب عليها إراقة الدماء، واختلال الأمن، وتربص الدوائر، واختلال حياة الناس إلى غير ذلك من الفتن التي تأتي على الأخضر واليابس؛ ولهذا قال: أطع الأمير وإن كان عبدًا مجدعًا، إن ظلمك فاصبر، وإن حرمك فاصبر.

وحرمك: أي أخذ مالك، أو حرمك من حقك، أو ظلمك بأخذ مالك أو بضرب ظهرك.

وإن أرادك على أمر ينقض دينك فقل: دمي دون ديني، أي: لا توافق على أمر ينقض دينك، لا توافق على الكفر، ولا على المعاصي، واصبر حتى ولو قُتلت.

فدين الإنسان مقدم على ماله، لكن إذا أكره الرجل على كلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان، فهذا له عذرٌ؛ قال الله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1].

وهذا الأثر وإن لم يكن فيه ما يتعلق بالبدع، لكنه عام، فالوصية هنا عامة، أن تصبر على ولي الأمر ولو حصلت منه المعصية أو حصلت منه البدعة، لكن لا توافق على فعل المعاصي ولا على فعل البدع.

❁ ❁ ❁

(١) سورة النحل آية : ١٠٦ .

أثر: من بذل دينه دون ماله أورثه الله الفقر

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال مطرف بن عبد الله: من بذل دينه دون ماله أورثه الله الفقر، وحشره يوم القيامة فيمن يحمل الراية بين يدي إبليس إلى جهنم.

الشرح : لا حول ولا قوة إلا بالله، وهذا الأثر لمطرف بن عبد الله بن الشخير الإمام التابعي المعروف، يقول: من بذل دينه دون ماله أورثه الله الفقر، أي: طُلِبَ منه الكفر فأخذ المال، ودفع دينه وهو الإسلام، أو طُلب منه البدعة أو طُلب منه المعصية، أورثه الله الفقر وحشره يوم القيامة فيمن يحمل الراية بين يدي إبليس إلى جهنم.

فإذا بذل دينه وفعل الكفر، فلا شك أنه كافر، أما إذا بذل دينه بأن فعل المعصية فيما دون الشرك وفيما دون الكفر فإنه يكون ضعيف الإيمان، وناقص الإيمان، إذا لم يستحل هذه الكبيرة.

والأثر فيه التحذير من البدع، فالبدعة إذا كانت مكفرة وبذل دينه دون ماله فله هذا الحكم، فإنه يورثه الله الفقر، ويحشر يوم القيامة مع إبليس إلى جهنم - نعوذ بالله - مع الكفرة... ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ (١).

وإن كانت البدعة غير مكفرة ودون الشرك فهو ضعيف الإيمان، وهو على خطر.

---

(١) سورة النساء آية : ١٤٠ .

أثر: أوثق عرى الإسلام الحب في الله والبغض في الله

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال الفضيل بن عياض: أوثق عرى الإسلام الحب في الله والبغض في الله.

الشرح : صدق رحمه الله، هذا لفظ حديث: **«أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله»**.

ومعنى الحب في الله أن تحب ما يحبه الله: من شخص، أو فعل، أو حكم. تحب ما يحبه الله من شخص، بأن تحب المستقيم على طاعة الله، الذي يؤدي فرائض الله وينتهي عن محارم الله، ويبتعد عن البدع، ويستقيم على دينه، ولو كان بعيدًا، ولو لم يكن من قبيلتك، ولو لم يكن من قرابتك، ولو لم يكن من أهل بلدك، ولو كان أعجميًا وأنت عربي، تحبه لدينه، ولاستقامته، هذا هو الحب في الله.

وتبغض الإنسان إذا كان منحرفًا، فتبغض الكافر لكفره، والفاسق لفسقه، والمبتدع لبدعته ولو كان أخاك من أبيك وأمك، ولو كان أقرب الناس إليك، ولو كان أباك لا تحبه لدينه، ولكن تعامل الوالدين - ولو كانا كافرين - معاملة حسنة، تحسن إليهما، كما قال الله تعالى في الوالدين الكافرين: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [١] ثم قال سبحانه: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [٢].

---

(١) سورة لقمان آية : ١٥ .

(٢) سورة لقمان آية : ١٥ .

صاحب الوالد - ولو كان كافرًا - في الدنيا معروفًا، بأن تحسن إليه، وتنفق عليه، وتتلطف معه وإن كان عدوًّا لك من جهة الدين، فتبغضه من جهة دينه.

وكذلك الابن، والأخ، هذا هو الحب في الله والبغض في الله، أي: يحب ما يحبه الإسلام من فعل أو شخص أو حكم، الأحكام الشرعية والأفعال التي شرعها الله والأشخاص، حب الأبرار والمتقين والمستقيمين ولو كانوا أبعد الناس منك نسبًا، وتبغض الأشرار والفساق والعصاة ولو كانوا من أقربائك.

ومن ذلك أن تبغض أهل البدع ولو كانوا أقرباءك، وتبتعد عنهم، وتحذر من الإصغاء إلى بدعتهم.



أثر: صاحب بدعة لا تأمنه على دينك

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال الفضيل: صاحب بدعة لا تأمنه على دينك، ولا تشاوره في أمرك، ولا تجلس إليه، فإنه من جلس إلى صاحب بدعة أورثه الله العمى.

الشرح : نسأل الله العافية، وهذه مقالة الفضيل بن عياض - رحمه الله - يقول: صاحب بدعة لا تأمنه على دينك . فهو لا يؤمَن؛ لأن عنده نوعًا من الخيانة، فإذا كانت البدعة مكفرة فهو خائن فلا يؤمَن لأنَّ من خان الله فلم يلتزم بعقد الإسلام والإيمان، فلا يؤمن.

وإذا كانت بدعته لا تكفر فهو ضعيف الإيمان، فلا يؤمن صاحب بدعة، لا تأمنه على دينك، ولا تشاوره في أمرك، فهو ليس أهلًا للمشورة؛ لأنه غير مؤتمن، ولا تجلس إليه، فإن الجلوس إليه يضرك ويؤثر عليك، إلا على وجه النصيحة والدعوة إلى التزام السنة والبعد عن البدعة، فهذا مطلوب.

أما أن تجلس إليه مداهنة فهذا ممنوع؛ ولهذا قال: ولا تجلس إليه فإن من جلس إلى صاحب بدعة أورثه الله العمى. والعمى هو العمى في بصيرته؛ لأن المعاصي والبدع من العمى، والعمى الكامل هو الكفر - والعياذ بالله - فالكفر عمى كامل، والمعاصي والبدع نوع من العمى.

❁ ❁ ❁

أثر: نظر المؤمن إلى المؤمن جِلاء القلب

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال الفضيل: نظر المؤمن إلى المؤمن جِلاء القلب، ونظر الرجل إلى صاحب البدعة يورثه العمى يعني في قلبه.

الشرح : جِلاء بكسر الجيم، أي: يجلوه عما علق به من مخالطة الأشرار وأهل المعاصي، فإذا نظرت إلى مؤمن فإنه يجلو قلبك؛ لأنك تألفه وتستفيد منه وتقتدي به، أما نظر الرجل إلى صاحب البدعة فيورث الإنسان العمى - عمى البصيرة -؛ لأن المعاصي تعمي القلب شيئًا فشيئًا حتى يصل الإنسان إلى الكفر - نعوذ بالله.

فهي تورث العمى في قلبه؛ لأنها تورث ضعف الإيمان ونقص الإيمان، وإذا كانت البدعة مكفرة أورثت العمى الكامل - نعوذ بالله - .

والأثر فيه التحذير من البدع.

❁ ❁ ❁

أثر: اسلك حياة طيبة الإسلام والسنة

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال الفضيل: اسلك حياة طيبة: الإسلام والسنة.

الشرح : صدق - رحمه الله -، فالحياة الطيبة هو من سلك سبيل الإسلام والسنة، بأن عمل الصالحات، ووحَّد الله، وأخلص له العبادة، وأدى الفرائض، وانتهى عن المحارم، واستقام على الدين، فإن الله يحييه حياة طيبة، كما قال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1].

فالحياة الطيبة بالإيمان والعمل الصالح، ولزوم السنة والبعد عن أسباب الشر من البدع والمحدثات في الدين.



---

(١) سورة النحل آية : ٩٧ .

أثر: في قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال مجاهد - في قول الله عز وجل: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[1] قال: حسن الرأي، يعني: السنة.

الشرح : هذا الأثر في تفسير: الحياة الطيبة، والمعنى: أنه من الحياة الطيبة حسن الرأي ولزوم السنة، والحياة الطيبة هي الطمأنينة التي تكون في قلب المؤمن، والاطمئنان والرضى والراحة التي يجدها بسبب توحيده وإخلاص العبادة لله، وأدائه حق الله، والانتهاء عن محارمه، يجد لذة ونعيمًا وسرورًا في قلبه.

فتكون حياته طيبة، حتى ولو كان مسجونًا، ولو كان معذبًا يؤذى، فتكون الأذية في جسده ولكن قلبه يحيا حياة طيبة، بسبب الطمأنينة إلى ما هو عليه من الحق، مطمئن أنه من المؤمنين وأنه مستقيم على شرع الله ودينه.



(١) سورة النحل آية : ٩٧ .

أثر: طوبى لمن مات على الإسلام والسنة

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال الفضيل: طوبى لمن مات على الإسلام والسنة، ثم بكى الفضيل على زمان تظهر فيه البدعة، فإذا كان ذلك فأكثروا من قول: ما شاء الله.

الشرح : قال الفضيل: طوبى لمن مات على الإسلام، وطوبى: اسم للجنة، أو اسم لشجرة في الجنة، وطوبى لمن مات على الإسلام والسنة أي: هنيئًا لمن مات على الإسلام والسنة.

فالذي يموت على الإسلام والسنة هو الذي يكون بعيدًا عن البدع والمحدثات في الدين، فالأثر فيه التحذير من البدع؛ لأن من مات على البدع لم يمت على الإسلام والسنة.

ثم بكى الفضيل - رحمه الله - على زمان تظهر فيه البدعة، فإذا كان ذلك فأكثر من قول: ما شاء الله، تكملتها: لا قوة إلا بالله، أي: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، يضاف إليه: ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

يعني: إن الله تعالى قدر ذلك لحكمة، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن... لا قوة إلا بالله، ولا تحوّل من حال إلى حال إلا بمعونة الله، ولا يتحوّل الإنسان من البدعة إلى السنة إلا بمشيئة الله وبقوته وإعانته، لا حول ولا قوة إلا بالله.

ولهذا ثبت في الحديث الصحيح: أن النبي ﷺ جاء إلى أبي موسى الأشعري وهو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال له النبي ﷺ: «يا أبا

موسى، **ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟»** قلت: بلى يا رسول الله، قال: **«لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة»**(١).

وشرع لمن سمع المؤذن وهو يقول: حي على الصلاة، حي على الفلاح أن يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله؛ لأن المؤذن يدعوك إلى الصلاة، يقول: حي على الصلاة، أقبل على الصلاة، فأنت تجيبه تقول: لا حول لي ولا قوة لي على إجابة دعوتك إلا بمعونة الله وتوفيقه.

لا حول ولا قوة إلا بالله، لا يتحول الإنسان من حال إلى حال، ولا يتحول الإنسان من المعصية إلى الطاعة ومن البدعة إلى السنة ومن ترك الأمر إلى فعل الأمر إلا بمعونة الله وتوفيقه.

فإذا ظهرت البدع فيشرع أن تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، ما شاء الله لا قوة إلا بالله، آمنت بالله ورسله، ويسأل الله الثبات على دينه.

❁ ❁ ❁

(١) البخاري: المَغَازِي (٤٢٠٥)، ومسلم: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٠٤)، والترمذي: الدعوات (٣٣٧٤)، وأبو داود: الصلاة (١٥٢٦)، وابن ماجه: الأدب (٣٨٢٤)، وأحمد (٤/٤١٨).

أثر: من جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال الفضيل: من جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة.

الشرح : لا شك أن أهل البدع بعيدون عن الحكمة، والحكمة هي العلم النافع، هذه الحكمة المأخوذة من الكتاب والسنة، وهذا ما يفقده أهل البدع فهم ليس لديهم العلم النافع؛ لأنهم غيروا وبدلوا واعتنقوا البدع فلم يُعطوا الحكمة - العلم النافع - فليس عندهم إلا الآراء والشبه والشكوك التي تنافي العلم.

والعلم النافع ينشأ من لزوم السُّنة، فمن لزم السنة وعمل بالكتاب فقد آتاه الله الحكمة وهو مغبوط: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1] هو العلم النافع المأخوذ من الكتاب والسنة، وأما أهل البدع فإنهم تنكبوا الصراط المستقيم، وخالفوا الكتاب والسنة، وابتدعوا في دين الله ما ليس منه، فلم يعطوا الحكمة.

❁ ❁ ❁

(١) سورة البقرة آية : ٢٦٩ .

أثر: لا تجلس مع صاحب بدعة

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال الفضيل: لا تجلس مع صاحب بدعة، فإني أخشى عليك اللعنة.

الشرح : وهذا الأثر - أيضًا - للفضيل بن عياض يقول: لا تجلس مع صاحب بدعة فإني أخشى عليك اللعنة، واللعنة هي الطرد والإبعاد من رحمة الله؛ وذلك لأن صاحب البدعة مرتكب كبيرة.

وأهل الكبائر والمعاصي التي ليست من البدع لُعِنَ أصحابها، فلعن الله شارب الخمر، ولعن السارق يسرق البيضة، ولعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه، فإذا كان العصاة ملعونين وقد فعلوا الكبائر التي ليست بدعًا فصاحب البدعة من باب أولى ملعون؛ لأن ذنبه أعظم من ذنب صاحب الكبيرة؛ لأن هؤلاء على كبائرهم وهم يعلمون أنهم عصاة ويرجى أن يتوبوا.

أما صاحب البدعة فيعتقد أنه على حق فلا يتوب، فذنبه أعظم من صاحب الكبيرة؛ ولهذا قال الفضيل - رحمه الله - : لا تجلس مع صاحب بدعة فإني أخشى عليك اللعنة أي: أن تنزل اللعنة عليه وأنت معه فيصيبك ما أصابه، وهذا فيه تحذير من أهل البدع.



أثر: من وقَّر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال الفضيل: من وقَّر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام.

الشرح : وهذا الأثر أيضًا يقول: من وقَّر صاحب بدعة، أي: من احترمه وقدره وبجله وعظمه فقد أعان على هدم الإسلام؛ لأنه لا يُبَجل وإنما ينصح، فإن لم يقبل النصيحة فإنه يهجر ويُبتعد عنه، ولا يُقَدر ولا يعظم ولا كرامة له.

فلا كرامة لصاحب البدعة ولا تبجيل ولا تعظيم، بل هو محتقر إذا لم يقبل النصيحة واستمر على بدعته، فمن وقره فقد أعان على هدم الإسلام؛ لأنه شارك في إظهار البدع وإخفاء السنن، وهذا نوع من هدم الإسلام.

فتوقير صاحب البدعة وتعظيمه وتبجيله واحترامه إعانة له على باطله، وإعانة له على نشر البدع، وإذا انتشرت البدع خفيت السنن.

❁ ❁ ❁

أثر: إن لله عبادًا تحيا بهم البلاد

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال الفضيل: إن لله عبادًا تحيا بهم البلاد، وهم أصحاب السنة من كان منهم يعقل ما يدخل جوفه، ومن كان كذلك كان في حزب الله - عز وجل.

الشرح : يقول الفضيل بن عياض - رحمه الله - : إن لله عبادًا تحيا بهم البلاد، وهم أصحاب السنة وهم الذين يلزمون السنة ويستقيمون عليها، فلا شك أنهم تحيا بهم البلاد؛ حيث إنهم يظهرون السنن وينشرونها بين الناس ويدعون إليها، فتحيا بهم البلاد والعباد.

ومن ذلك من كان منهم يعقل ما يدخل في جوفه، يعني يبتعد عن الحرام والمتشابه، فلا يأكل الربا، ولا يأكل الرشوة، ولا يجحد حقوق الناس، ولا ينفق سلعته بالحلف الكاذب، ولا يسرق ولا ينهب المال بغير حق، ولا يغش ولا يخادع؛ لأنه إذا فعل ذلك فقد أكل الحرام، وأدخل إلى جوفه الحرام عن طريق الربا أو السرقة أو الغش أو الخداع أو بتلفيق السلعة بالحلف الكاذب أو إخفاء عيب السلعة.

فالذي يتجنب هذه الأشياء ويعقل ما يدخل في جوفه فهو من أصحاب السنن الذين تحيا بهم البلاد، ومن كان كذلك فهو من حزب الله، وحزب الله - كما قال الله - : ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة المجادلة آية : ٢٢ .

أثر: من تبع جنازة مبتدع لم يزل في سخط الله حتى يرجع

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال الفضيل: من تبع جنازة مبتدع لم يزل في سخط الله حتى يرجع.

الشرح : لأنه إذا تبع جنازة المبتدع فإن هذا سبب لنشر البدع، وإقرار له عليها، وبالتالي يقتدي به الناس، ويقتدي به العوام، فيظنون أن صاحب هذه البدعة على حق، فلولا أنه على حق لما تبع جنازته فلان؛ لأن اتباع فلان للجنازة تأييد له على بدعته، وإقرار له عليها، وهذا فيه مخالفة للشرع، وارتكاب لكبيرة.

ولهذا قال الفضيل: لم يزل في سخط الله؛ بسبب إقراره للبدع؛ حيث يقتدي به الناس، ويظنون أن هذا الميت الذي تبعه هذا الإنسان إنما هو على حق، فتنتشر البدع وتختفي السنن.



أثر: نظرتَ إلى رجل يبغض أصحاب رسول الله فاتبعتَ جنازته

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال سفيان بن عيينة لرجل: من أين جئت؟ قال: من جنازة فلان بن فلان، قال: لا حدثتك بحديث، استغفر الله ولا تعد، نظرتَ إلى رجل يبغض أصحاب رسول الله ﷺ فاتبعتَ جنازته!.

الشرح : هو سفيان بن عيينة بن عمران الهلالي الإمام المشهور، قال لرجل: من أين جئت؟ قال: من جنازة فلان بن فلان - وكان هذا الميت مبتدعًا يبغض الصحابة فاتبع جنازته - فهجره سفيان وقال: لا حدثتك بحديث، استغفر الله ولا تعد أن تتبع جنازة مبتدع يبغض أصحاب رسول الله.

قوله: نظرت إلى رجل يبغض أصحاب رسول الله فاتبعت جنازته!؛ لأن هذا فيه تأييد له وإقرار له على بدعته، وبالتالي يظن الناس والعوام أنه على حق، وأن ما يعتنقه من بغض أصحاب رسول الله ﷺ وسبهم ونشر مساوئهم أن هذا محمود؛ ولهذا هجره ونصحه، هجره وقال: لا حدثتك بحديث، ونصحه بقوله: استغفر الله ولا تعد.

فدل على أنه لا يجوز تشييع أهل المعاصي ولا إقراره أهل البدع على بدعهم، ولا اتباع جنازتهم، ولا عيادة مرضاهم حتى يتوبوا، فالواجب هجرهم والبعد عنهم.

❁ ❁ ❁

أثر: سمعت الفريابي - ورجل يسأله عمن شتم أبا بكر - قال كافر

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال هارون بن زياد: سمعت الفريابي - ورجل يسأله عمن شتم أبا بكر - قال: كافر، قال: فنصلي عليه؟ قال: لا؛ فسألته كيف نصنع به وهو يقول: لا إله إلا الله؟ قال: لا تمسوه بأيديكم، ادفعوه بالخشب حتى تُواروه في حفرته.

الشرح : وهذه مقالة من هارون بن زياد يقول: سمعت الفريابي محمد بن يوسف بن واقد بن عثمان الضبي الفريابي، الثقة، الفاضل، المعروف، وقد سُئل عن رجل يسأله عمن شتم أبا بكر فقال فيه: إنه كافر؛ لأن أبا بكر رضي الله عنه الصديق الأكبر، وهو أفضل الناس بعد الأنبياء بإجماع أهل السنة والجماعة فمن شتم أبا بكر فهذا يدل على مرض في قلبه ونفاق، فلولا نفاقه وكفره لما شتم أبا بكر .

ولهذا روي عن الإمام أحمد أن من شتم الشيخين أبا بكر وعمر فإنه كافر، وكذلك من سب الخلفاء الراشدين الأربعة.

أما من سب غيرهم، الواحد أو الاثنين، أو سب معاوية أو غيره فهذا يفسق ولا يكفر، لكن من سب الصحابة كلهم أو كفرهم أو شتمهم أو سب الشيخين أبا بكر وعمر أو الخلفاء الراشدين فهذا يكفر كما قال الفريابي - رحمه الله - .

قال هارون بن زياد: سمعت الفريابي - ورجل يسأله عمن شتم أبا بكر -

قال: كافر، قال: فنصلي عليه؟ قال: لا؛ فالكافر لا يصلى عليه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾[١]. ثم ذكر العلة فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[٢] فدل على أن من كفر بالله ورسوله لا يُصلى عليه، ومن لا يكفر بالله ورسوله فإنه يصلى عليه، كالفاسق، والعاصي، وقد لا يصلى على المبتدع، فأعيان الناس من الوجهاء والعلماء والأمراء وغيرهم يتأخرون عن الصلاة على بعض أهل البدع.

كما كان النبي ﷺ أول الأمر لا يصلي على من كان عليه دَين، وكما جاء النهي عن أنه لا يُصلى على قاتل نفسه، ولا على الغالّ وما أشبه ذلك، تحذيرًا للأحياء، لكن يصلي عليه سائر الناس.

أما الكافر فلا يصلى عليه؛ ولهذا فإن الفريابي كفر من شتم أبا بكر ولما سأله السائل، قال: فنصلي عليه؟ قال: لا، قال: فسألته كيف نصنع به وهو يقول: لا إله إلا الله، يعني أنه لا يفيده قول: لا إله إلا الله.

فإذا قال الإنسان: لا إله إلا الله ثم فعل مكفرًا، مثل سب الصحابة أو شتم أبي بكر وعمر انتقضت كلمة لا إله إلا الله وبطلت.

ومن قال: لا إله إلا الله ثم سجد للصنم، أو دعا غير الله وذبح لغير الله، أو سب الله، أو استهزأ بالله، أو بكتابه، أو برسوله، أو أنكر أمرًا معلومًا من الدين بالضرورة، أو قال: الصلاة غير واجبة، أو شتم الصحابة أو شتم أبا بكر بطلت كلمة التوحيد وصار كافرًا؛ ولهذا قال: فنصلي عليه؟ قال: لا .

ومثله الإنسان الذي توضأ وأحسن الوضوء وتطهر وأحسن الطهارة ثم خرج منه بول أو غائط أو ريح، بطلت طهارته بالناقض.

---

(١) سورة التوبة آية : ٨٤ .

(٢) سورة التوبة آية : ٨٤ .

قال: فسألته: كيف نصنع به وهو يقول: لا إله إلا الله؟ فبين لهم أن الكلمة لا تفيده، فقد انتقضت عليه وبطلت؛ ولهذا قال: لا تمسوه بأيديكم، ادفعوه بالخشب حتى تواروه في حفرته؛ لأنه نجس لا حرمة له، جيفة كجيفة الحمار، أو الكلب، يُسحب ويدفن في حفرة حتى لا يتأذى الناس برائحته، لا حرمة له، بخلاف المسلم - المؤمن - فإنه يُغَسَّل ويُصلى عليه ويكفن ويدفن في مقابر المسلمين.

قال: لا تمسوه بأيديكم، ادفعوه بالخشب حتى تواروه في حفرته؛ لأنه لا حرمة له لفكره وضلاله، - نعوذ بالله -، وهذا فيه التحذير من البدع والكفر، والتحذير من سب الصحابة وشتمهم ولا سيما الصديق الأكبر وعمر والخلفاء الراشدين.



أثر: قلت لعبد الرحمن بن مهدي أحضر جنازة من سب أصحاب الرسول

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال محمد بن بشار: قلت لعبد الرحمن بن مهدي: أحضر جنازة من سب أصحاب رسول الله ﷺ ؟ فقال: لو كان من عصبتي ما ورثْتُه.

الشرح : وهذه مقالة محمد بن بشار بن عثمان العبدي البصري، وهو من رجال الكتب الستة. رووا عنه أصحاب الكتب الستة كلهم، البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه .

وعبد الرحمن بن مهدي إمام مشهور معروف حافظ من النقاد، قال له محمد بن بشار: أحضر جنازة من سب أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ فقال: لو كان من عصبتي ما ورثته، وهذا دليل على أن عبد الرحمن بن مهدي يكفِّر من سب أصحاب النبي ﷺ؛ لأن من سبهم وكفرهم وفسقهم فقد كذَّب الله؛ لأن الله زكاهم وعدلهم ووعدهم بالجنة، فالذي يسبهم ويكفرهم مكذب بالله، ومن كذب الله كفر.

ولأنهم نقلة الدين، وحملة الشريعة، فإذا سُبَّ الصحابة أو كُفِّروا أو فُسِّقوا ما صار هناك وثوق بالدين، كيف نثق بدين حملته كفرة أو فساق ويشتمون ويسبون؟ فالصحابة هم الذين نقلوا إلينا القرآن، ونقلوا إلينا السنة.

فإذا كانوا كفارًا أو فساقًا فكيف يوثق بدين نقله كفار أو فساق يستحقون السب - نسأل الله السلامة والعافية -؛ ولهذا كفَّر عبد الرحمن بن مهدي من سب أصحاب النبي ﷺ، وقال: لو كان من عصبتي ما ورثته؛ لأنه كافر وأنا

مسلم، وقد قال النبي ﷺ: «لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم»[١].

فالأثر فيه التحذير من بدعة الروافض الذين يسبون أصحاب النبي ﷺ ويكفرونهم ويفسقونهم.

۞ ۞ ۞

---

(١) البخاري: الفرائض (٦٧٦٤)، ومسلم: الفرائض (١٦١٤)، والترمذي: الفرائض (٢١٠٧)، وأبو داود: الفرائض (٢٩٠٩)، وابن ماجه: الفرائض (٢٧٢٩)، وأحمد (٥/ ٢٠٠)، ومالك: الفرائض (١١٠٤)، والدارمي: الفرائض (٢٩٩٨).

أثر: لا أصلي على رافضي ولا حروري

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال أبو بكر بن عياش: لا أصلي على رافضي ولا حروري؛ لأن الرافضي يجعل عمر كافرًا، والحروري يجعل عليًا كافرًا.

الشرح : وهذا الأثر عن أبي بكر بن عياش بن سالم الأسدي وهو ثقة عابد يقول: لا أصلي على رافضي، والرافضي: هو المنسوب إلى مذهب الرافضة، والرافضة هم الذين يكفرون الصحابة ويفسقونهم ويزعمون أنهم يحبون أهل البيت، ويغالون في حبهم حتى يعبدوهم من دون الله، والصحابة يكفرونهم ويفسقونهم حتى يجعلوهم كفرة فسقة، يقول أبو بكر بن عياش: لا أصلي على رافضي؛ لأنه كافر، هذا دليل على أنه يكفره.

ولا حروري، والحروري: الخارجي من الخوارج وهم يسمون الحرورية: نسبة إلى بلدة تسمى حروراء قرب العراق تجمع فيها الخوارج فصاروا ينسبون إليها، فيقال لهم: حرورية، ويقال للواحد: حروري، وهؤلاء معروف عنهم أنهم يعترضون ولا يعملون بالسنة.

ولما جاءت امرأة لعائشة - رضي الله عنها - تسأل قالت: ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ فهي معترضة، قالت لها عائشة: أحرورية أنت؟ أي: أنت من الخوارج ؟ قالت: لا، لست بحرورية، ولكني أسأل، فظنت عائشة أنها من الخوارج؛ لأنها معترضة، والخوارج يعترضون على السنن.

فأبوبكر بن عياش يكفّر الرافضي والخارجي، قال: أما الرافضي فلأنه يكفر عمر فأنا أكفره، وأما الحروري فإنه يكفر عليًّا فأنا أكفره.

الرافضة يكفرون الصحابة ويعبدون آل البيت، والخوارج ينصبون العداوة لأهل البيت ويكفرون عليًّا فهم ضدان.

والأثر فيه التحذير من بدعة الروافض وبدعة الخوارج.

۞ ۞ ۞



أثر: الرافضة لا تُنكَح نساؤهم

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال طلحة بن مصرف: الرافضة لا تُنكَح نساؤهم، ولا تؤكل ذبائحهم؛ لأنهم أهل ردة.

الشرح : وهذه مقالة طلحة بن مصرف وفيها دليل على أنه يرى كفر الرافضة قال: لا تُنْكَح نساؤهم؛ لأنهم كفرة أشد من اليهود والنصارى؛ لأن اليهود والنصارى تُنكَح نساؤهم، قال الله تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾[1].

والوثني والمشرك لا تحل ذبائحهم، ولا تُنكَح نساؤهم، فدل هذا على أن الرافضة أشد كفرًا من أهل الكتاب؛ لأن أهل الكتاب خَفَّ كفرهم، فحلت ذبائحهم، وحل نكاح نسائهم، وأما الوثنيون فلأن كفرهم غليظ لا تحل نساؤهم ولا ذبائحهم.

وجعل الرافضة من أهل الكفر الغليظ - الوثنيين -، ولم يجعلهم من أهل الكفر الخفيف - أهل الكتاب - فقال: الرافضة لا تُنكَح نساؤهم، ولا تؤكل ذبائحهم، بخلاف اليهود والنصارى؛ فإنها تؤكل ذبائحهم، وتنكح نساؤهم، أما الرافضة فلا تُنكَح نساؤهم، ولا تؤكل ذبائحهم؛ لأنهم أهل ردة، هذا تصريح بأنهم مرتدون.

والرافضة طبقة واحدة، ولكن الشيعة طبقات، منهم الكافر ومنهم غير الكافر؛ ففيهم الزيدية وفيهم الغرابية ... وفيهم كذا، وفيه المُخَطِّئة الذين خطئوا جبريل، وفيه الرافضة وهم طائفة واحدة.

---

(١) سورة المائدة آية : ٥ .

فالشيعة اسم عام يشمل طوائف متعددة، والرافضة طائفة واحدة من طوائف الشيعة كما لو قسمت الناس إلى أقسام، قلت - مثلًا - : أهل السنة أربعة أقسام: مالكية وشافعية وحنابلة وحنفية كلمة أهل السنة هذا عام، تحته أربع طبقات، والشيعة اسم عام، تحته أربع وعشرين فرقة، والرافضة فرقة من هذه الفرق.

فالذي يعتقد هذا الاعتقاد، ويكفِّر الصحابة ويعبد آل البيت ويزعم أن القرآن طار ثلثيه ولم يبقَ إلا الثلث هذا كفر وردة، فالذي يعبد أهل البيت ويتوسل بهم فقد كفر، وأيضًا من يكفِّر الصحابة كفر، والذي يقول: إن القرآن غير محفوظ ولم يبق إلا الثلث فهو كافر؛ لأنه مكذب لله في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1].

فمن كان يعتقد هذا الاعتقاد فهو كافر، ومن كان يتبرأ من هذه الاعتقادات، ولا يسب الصحابة ولا يعبد آل البيت ويصدق الله في أن القرآن محفوظ فليس منهم.



(١) سورة الحجر آية : ٩ .

أثر: قيل للحسن إن فلانا غَسّل رجلاً من أهل الأهواء

قال المؤلف - رحمه الله - : وقيل للحسن: إن فلانا غَسَّل رجلًا من أهل الأهواء. فقال: عرِّفوه أنه إن مات لم نصلِّ عليه.

الشرح : وهذا الأثر عن الحسن البصري - رحمه الله - فيه التحذير من أهل البدع، وأن أهل البدع لا يُغَسَّلُون، ولا تُتبع جنائزهم؛ تحذيرًا للأحياء حتى لا يفعلوا مثل فعلهم.

ولما قيل: إن فلانا غَسَّلَ رجلًا من أهل البدع، فقال: عرفوه أنه إن مات لم نصلِّ عليه؛ تعزيرًا له، وهذا فيه التحذير من أهل البدع، وأنه لا تتبع جنائزهم، ولا يُصَلَّى عليهم، ولا يغسلون.



أثر: نظر ابن سيرين إلى رجل من أصحابه في محال البصرة

قال المؤلف - رحمه الله - : ونظر ابن سيرين إلى رجل من أصحابه في محال البصرة فقال له: يا فلان، ما تصنع ها هنا؟ فقال: عدت فلانا من علة - يعني رجلًا من أهل الأهواء - فقال له ابن سيرين: إن مرضت لم نعدك، وإن مت لم نصلِّ عليك إلا أن تتوب، قال: تبتُ.

الشرح : نظر محمد بن سيرين التابعي الجليل إلى رجل من أصحابه في بعض محال البصرة فسأله قال له: يا فلان، ما تصنع ها هنا؟ قال: عدت فلانا من علة - أي من مرض - وهو من أهل البدع، فزجره ابن سيرين وقال: إن مرضتَ لم نَعُدْكَ، وإن متَّ لم نُصَلِّ عليك إلا أن تتوب، فقال: الرجل تبتُ الآن، أي: لا أعود مريضًا من أهل البدع.

وهذا فيه التحذير من أهل البدع، والحذر من مجالستهم ومصاحبتهم، وعيادة مريضهم، واتباع جنائزهم، وتغسيل موتاهم، كل هذا يحذره أهل السنة.



أثر: آكل طعام اليهودي والنصراني ولا آكل طعام صاحب بدعة

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال الفضيل: آكل طعام اليهودي والنصراني، ولا آكل طعام صاحب بدعة.

الشرح : وهذا الفضيل بن عياض يقول: آكل طعام اليهودي والنصراني؛ لأن الله أحل لنا ذبائحهم في قوله: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾[1] ولأنهم يهود ونصارى معروفون، وكفرهم ظاهر.

أما صاحب البدعة فلا آكل طعامه؛ لأنه - وإن لم يكن كافرًا - إلا أنه صاحب شبهة وتلبيس، فإذا جلس الإنسان معه، أو أكل طعامه، فإنه يُخشَى عليه المفسدة بأن يؤثر عليه ببدعته، وأن يعتنق بدعته، فيصيبه ما أصابه.

أما اليهودي والنصراني فمعروف ومنكشف أمره، فقد أعلن كفره وضلاله، وخف كفره؛ لأنه صاحب كتاب، والله - تعالى - خفف الأحكام، فأباح لنا أكل ذبائحهم، ونكاح نسائهم؛ فلهذا فرق الفضيل بن عياض بين اليهودي والنصراني، وبين صاحب البدعة.

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة المائدة آية : ٥ .

أثر: اللهم لا تجعل لصاحب بدعة عندي يدًا فيحبه قلبي

قال المؤلف - رحمه الله - : وكان يقول: اللهم لا تجعل لصاحب بدعة عندي يدًا فيحبه قلبي.

الشرح : إن الإنسان جُبِلَ على حب من أحسن إليه، فإذا أحسن إليك إنسان، وكان له عندك يد، فإن قلبك يميل إليه وتحبه، فالفضيلُ يدعو اللهَ ألا يكون لصاحب بدعة عليه معروفًا حتى لا يحبه قلبه، وهذا فيه التحذير من أهل البدع، والبعد عنهم حتى لا يؤثروا على الإنسان.



أثر: إذا علم الله من رجل أنه مبغض لصاحب بدعة

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال الفضيل: إذا علم الله من رجل أنه مبغض لصاحب بدعة رجوت أن يغفر الله له، وإن قل عمله.

الشرح : في النسخة الثانية تكملة لهذا الأثر وهي: لأن كراهية البدعة دليل على حب السنة، وهذا الأثر للفضيل يقول: إذا علم الله من رجل أنه مبغض لصاحب بدعة رجوت أن يغفر الله له وإن قل عمله؛ لأن لزوم السنة مع قلة العمل خير من كثرة العمل مع البدعة.

فيقول: إذا رأيت الشخص مبغضًا أهل البدع، ويبتعد عنهم، ويلزم السنة، فهذا على خير عظيم، فإن الله يبارك في عمله، ولو كان عمله قليلًا، ولو لم يكن كثير الصوم أو كثير الصلاة؛ فإذا كان يؤدي الفرائض، وينتهي عن المحارم، وهو قليل النوافل، من صلاة وصيام وحج لكنه مستقيمٌ على السنة ملتزمًا بها، فهذا يُرْجَى له الخير؛ لأن كراهية البدعة دليل على حبه السنة.

فالمقصود من هذا الأثر أن لزوم السنة مع العمل القليل خير من العمل الكثير مع البدعة، ففيه التحذير من البدع.

❁ ❁ ❁

أثر: سألت أبا عبد الله عمن شتم أبا بكر وعمر وعثمان

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال المروذي: سألت أبا عبد الله عمن شتم أبا بكر وعمر وعثمان وعائشة - رضي الله تعالى عنهم - فقال: ما أراه على الإسلام.

الشرح : وهذه رواية المروذي ويحتمل المروزي؛ لأن المروزي والمروذي كلاهما يسأل الإمام أحمد لكن الغالب أنه إذا أريد المروذي بالذال يقال: المروذي، وإذا أريد المروزي يقال: أبو بكر المروزي، والأقرب أنه المروذي.

قال المروذي: سألت أبا عبد الله - هو الإمام أحمد إمام أهل السنة والجماعة - عمن شتم أبا بكر وعمر وعثمان وعائشة - رضي الله عنهم -، فقال: ما أراه على الإسلام، يحتمل «ما أَراه» أي: ما أعلمه على الإسلام، أو «ما أُراه» - بضم الهمزة - أي: ما أظنه على الإسلام. وهذا فيه دليل على أن الإمام أحمد يكفر من شتم الخلفاء الثلاثة. وقد رُوي عن الإمام أحمد صراحة: أن من شتم الشيخين فهو كافر.

لما سأل المروذي الإمام أحمد عمن شتم أبا بكر وعمر وعثمان وعائشة - رضي الله عنهم -، قال: ما أظنه على الإسلام، فلولا النفاق في قلبه لما شتم الخلفاء الثلاثة وعائشة أم المؤمنين، وكونه يشتم أبا بكر وعمر وعثمان وعائشة يدل على نفاق في قلبه.

وهذا فيه التحذير من سب الصحابة وشتمهم، وأن هذا من الأعمال الكفرية، نعوذ بالله، وهذا الأثر فيه التحذير من مذهب الرافضة.

أثر: الذي يشتم أصحاب الرسول ليس له نصيب في الإسلام

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال مالك بن أنس: الذي يشتم أصحاب رسول الله ﷺ ليس له سهم - أو قال: - نصيب في الإسلام.

الشرح : وهذه مقالة للإمام المشهور - إمام دار الهجرة - فيه تكفير من شتم أصحاب النبي ﷺ قال: الذي يشتم أصحاب رسول الله ﷺ ليس له سهم - أو قال: - نصيب في الإسلام، والذي ليس له نصيب في الإسلام فهو خارج عن الإسلام؛ حيث إن كل مؤمن له سهم ونصيب من الإسلام، ومن ليس له سهم ولا نصيب من الإسلام ليس من أهل الإسلام.

وهذا دليل على تكفير الإمام مالك - رحمه الله - لمن سب الصحابة وشتمهم وكفرهم، وقد روي عنه تكفير من أغاظه الصحابة في قوله - تعالى - في سورة (الفتح): ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾[1].

والآية دليل على كفر الرافضة؛ لأن الرافضة يغيظهم الصحابة ومن غاظه الصحابة فهو كافر بنص القرآن، وفيه التحذير من مذهب الرافضة.

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة الفتح آية : ٢٩ .

أثر: من شتم أصحاب الرسول ﷺ فهو كافر

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال بشر بن الحارث: من شتم أصحاب رسول الله ﷺ فهو كافر، وإن صام وصلى وزعم أنه من المسلمين.

الشرح : وهذه المقالة - أيضًا - لبشر بن الحارث في تكفير من شتم أصحاب رسول الله ﷺ وأنه كافر، ولهذا قال: وإن صام وصلى وزعم أنه من المسلمين. فلا تنفعه صلاته وصومه مع كفره وضلاله؛ لأن الإنسان إذا فعل الكفر ما تفيده الأعمال، فتكون أعماله محبطة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1].



(١) سورة المائدة آية : ٥ .

أثر: من شتم أبا بكر الصديق فقد ارتد عن دينه

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال الأوزاعي: من شتم أبا بكر الصديق - رضي الله تعالى عنه - فقد ارتد عن دينه وأباح دمه.

الشرح : وهذا الأثر للأوزاعي تصريح بكفر من شتم الصديق رضي الله عنه قال: من شتمه فقد ارتد عن دينه وأباح دمه. أي: دمه حلال، وماله حلال لكفره وضلاله.

فهذه آثار أربعة في تكفير من شتم أصحاب النبي ﷺ:

الأثر الأول: عن الإمام أحمد في تكفير من شتم الخلفاء الثلاثة.

والأثر الثاني: عن مالك بن أنس في تكفير من شتم أصحاب النبي ﷺ.

والأثر الثالث: عن بشر بن الحارث في تكفير من شتم أصحاب النبي ﷺ.

والأثر الرابع: عن الأوزاعي في تكفير من شتم الصديق رضي الله عنه.

هذه آثار عن هؤلاء الأئمة في تكفير الرافضة .



أثر: لا حظَّ للروافض في الفيء والغنيمة

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: لا حظَّ للروافض في الفيء والغنيمة؛ لقول الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ﴾[1] الآية.

الشرح : وهذا - أيضًا - إمام خامس، وهو أبو عبيد القاسم بن سلام كفَّر الرافضة قال: لا حظ للرافضي في الفيء والغنيمة. والذي لا حظ له في الفيء والغنيمة كافر؛ لأن الفيء والغنيمة لا تكون إلا للمسلمين، واستدل بالآية: ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ﴾[2] وهي آية سورة الحشر.

فالله - سبحانه وتعالى - جعل الغنيمة لثلاث طوائف من الناس، وليس منهم الرافضة في قوله تعالى: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾[3].

ثم ذكر الأصناف الذين يأخذون الفيء، فقال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾[4] هذا واحد.

ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾[5] وهم الأنصار.

---

(١) سورة الحشر آية : ١٠ .
(٢) سورة الحشر آية : ١٠ .
(٣) سورة الحشر آية : ٧ .
(٤) سورة الحشر آية : ٨ .
(٥) سورة الحشر آية : ٩ .

ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾(١).

فصار الفيء لثلاثة أصناف من المسلمين: الصنف الأول: المهاجرون.

والصنف الثاني: الأنصار.

والصنف الثالث: من جاء بعدهم ممن يستغفر لمن سبقه.

والرافضة ليسوا من المهاجرين، ولا من الأنصار، ولا ممن يستغفر للصحابة؛ وإنما هم يسبون الصحابة، فدل على أنهم ليسوا من المسلمين.

هكذا استدل الإمام أبو عبيد القاسم بآية الحشر على أن الرافضة ليسوا من أهل الإسلام؛ لأن الله جعل الغنيمة والفيء للمسلمين، الذين هم أصناف ثلاثة، والرافضة ليسوا صنفًا من هذه الأصناف الثلاثة، فدل على كفرهم وضلالهم.



(١) سورة الحشر آية : ١٠ .

أثر: كنت مع أيوب ويونس وابن عون

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال حماد بن زيد: كنت مع أيوب ويونس وابن عون فمر بهم عمرو بن عبيد فسلم عليهم ووقف، فلم يردوا عليه، ثم جاز، فما ذكروه.

التخريج: رواه ابن وضاح في البدع والنهي عنها، وقصته عن ابن عون.

الشرح : فهذا الأثر الذي رواه حماد بن زيد أنه كان مع أيوب ويونس وابن عون فمر بهم عمرو بن عبيد المعتزلي المعروف، وعمرو بن عبيد ممن أسس مذهب الاعتزال هو وواصل بن عطاء في أوائل المائة الثانية، وكانا قبل ذلك يجلسان في حلقة الحسن البصري - رحمه الله -، ثم اعتزلا مجلس الحسن البصري فصارا يقرران في حلقة مستقلة أن الفاسق لا مؤمن ولا كافر، فقيل لهم في ذلك الوقت معتزلة؛ لأنهم اعتزلوا الجماعة، واعتزلوا مجلس الحسن البصري.

ولما مر عمرو بن عبيد على هؤلاء الرهط من العلماء: حماد بن زيد وأيوب ويونس وابن عون سلم عليهم ووقف، فلم يردوا عليه السلام هجرًا له؛ لأنه معتزلي، ثم جاز، فما ذكروه، أي: جاز الموضع، ولم يذكروه.

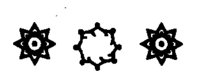
وهذا فيه دليل على أن العلماء والأئمة يهجرون أهل البدع، ولا يردون السلام عليهم، فالمبتدع يُهجر، ولا يرد السلام عليه، ولا تُجاب دعوته، ولا تتبع جنازته إذا مات، ولا يعاد إذا مرض، ولا يزوج، وينبغي هجره والبعد عنه، حتى يترك الناس البدع.

وهذا الهجر فيه تأديب وتعزير من العلماء لأهل البدع، وفيه تحذير لغيرهم

من الناس أن يعتنقوا هذه البدع، وهذا محمول على أن الهجر يفيدهم.

أما إذا كان الهجر لا يفيدهم، بل يزيدهم شرًا، فلا يهجرون؛ لكن يستمر أهل السنة في نصيحتهم ودعوتهم، لعل الله أن ينفعهم.

أما إذا كانوا يرتدعون بالهجر، فإنه يجب هجرهم حتى يرتدعوا عن بدعتهم، وحتى لا يقتدي بهم غيرهم، وحتى تختفي البدع، وتظهر السنن.



أثر: يد الله على الجماعة

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال الفضيل: يد الله على الجماعة، ولا ينظر الله إلى صاحب بدعة.

الشرح : يقول الفضيل بن عياض: يد الله مع الجماعة. وهم أهل السنة والجماعة، فمن كان على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه فهم الجماعة، ولو كانوا قلة، فهم يقلون ويكثرون، وهم الطائفة المنصورة، يد الله معهم، ومن شذ عنهم فهو متوعد بالنار.

قال الله عز وجل في كتابه المبين: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[١].

فهذا وعيد لمن شاق الله ورسوله واتبع غير سبيل المؤمنين، فمن سلك مسلك البدع وخرج عن مذهب أهل السنة والجماعة فقد اتبع غير سبيل المؤمنين وشاق الله ورسوله، فيشمله هذا الوعيد ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[٢].

قال عليه الصلاة والسلام: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة»[٣] وهي الجماعة.

---

(١) سورة النساء آية : ١١٥ .

(٢) سورة النساء آية : ١١٥ .

(٣) الترمذي: الإيمان (٢٦٤٠)، وأبو داود: السنة (٤٥٩٦)، وابن ماجه: الفتن (٣٩٩١)، وأحمد (٢/ ٣٣٢) .

وفي لفظ: «هي ما كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي»[١].

فالجماعة هم الفرقة الناجية، وهم أهل السنة والجماعة، وهم الصحابة والتابعون، ومن تبعهم من العلماء والأئمة، وهم أهل الحق، ولو كانوا قلة، فمن كان على الحق فهو الجماعة، ولو كان واحدًا، كما قاله بعض السلف: إن كنت على الحق فأنت جماعة، ولو كنت وحدك.

ولهذا قال الفضيل: يد الله مع الجماعة، ولا ينظر الله إلى صاحب بدعة؛ لأنه شاذ وخارج عن الجماعة.



(١) الترمذي: الإيمان (٢٦٤١).

أثر: اليوم الذي يصوم فيه أحدنا

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال زائدة: قلت لمنصور: يا أبا عَتَّاب، اليوم الذي يصوم فيه أحدنا ينتقص فيه الذين ينتقصون أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - ؟ قال: نعم.

الشرح : أراد زائدة السؤال عن غيبة أهل البدع وأهل الفسق، فبين له منصور أنه لا غيبة لفاسق، فالفاسق الذي يظهر البدع ويظهر المعاصي لا غيبة له، وهذا مما يستثنى من الغيبة، إذ يُستثنى من الغيبة أشياء، منها :

جرح الرواة في سند الحديث حماية لحديث رسول الله ﷺ .

والتعريف، بأن كان الإنسان لا يُعرف إلا بما فيه من اللقب، كأن يقال: الأعمى، الأعرج، والأعور.

وكذلك الذي يستفتي؛ كما قالت هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان إن أبا سفيان رجل شحيح، لا يعطيني ما يكفيني وولدي بالمعروف. فقولها: «رجل شحيح» . هذه غيبة، لكنه مستثنى، مضطرة إلى أن تسأل.

وكذلك المظلوم الذي يسأل حقه عند الحاكم.

وكذلك الفاسق الذي يظهر فسقه وبدعته فهذا لا غيبة له، كإنسان يحلق لحيته، فقلت في غيبته: فلان حالق للحيته، فهذه ليست بغيبة، هو حلق لحيته أمام الناس في الشارع كل يراه يحلق لحيته، هذا هو الذي فضح نفسه، ما فيه غيبة، الغيبة إذا كان مستورًا، إذا كان شيئًا مستورًا ليس لك أن تظهره، ولا تفضحه.

أو واحد يشرب الدخان أمام الناس في الشارع، فقلت في مجلس: فلان

يشرب الدخان. فهذه ليست غيبة؛ لأنه هو الذي فضح نفسه أمام الناس بشرب الدخان.

كذلك المبتدع، إذا كان يظهر بدعة المولد، أو بدعة الرفض، أو بدعة المعتزلة أو بدعة الجهمية أو المرجئة ثم قلت: فلان مرجئي، فلان خارجي، فلان معتزلي، فلان رافضي. لا غيبة له؛ لأنه هو الذي فضح نفسه وأظهر بدعته، فهذا مستثنى من الغيبة.

والغيبة أن يكون الإنسان مستور الحال، قد أخفى معصيته، فهذا لا يُذكر في مجامع الناس، بل الذي ينبغي للإنسان أن ينصحه فيما بينه وبينه، إلا إذا كان هناك مصلحة، مثلًا إذا أظهر البدعة، أو أظهر الفسق، فهذا لا غيبة له.

وكذلك إذا أردت أن تشتكيه، فتزول هذه المعصية، تنكر هذه المعصية، وتتكلم مع ولاة الأمور، وتتكلم مع رجال الحسبة، فهذا مستثنى.

ولهذا قال زائدة لمنصور: يا أبا عتاب، اليوم الذي يصوم فيه أحدنا ينتقص فيه الذين ينتقصون أبا بكر وعمر؟ أي: هل يعتبر هذا من الغيبة؟ وينتقص، أي: يعيب، فإذا عبت هؤلاء الذين يعيبون أبا بكر وعمر فليست هذه غيبة؛ لأن الذي يعيب أبا بكر وعمر رافضي فاسق، لا غيبة له.

فهذا الأثر دليل على أنه لا غيبة لأصحاب البدع الذين يعيبون أصحاب رسول الله ﷺ ويتكلمون فيهم بعيبهم وذمهم، وذكر شيء من مثالبهم بزعمهم، فإن هؤلاء لا غيبة لهم، ولو كنت صائمًا.

❁ ❁ ❁

أثر: ليس لأصحاب البدعة غيبة

قال المؤلف - رحمه الله - : وكان الحسن يقول: ليس لأصحاب البدعة غيبة.

الشرح : الحسن البصري يقول: ليس لأصحاب البدع غيبة؛ لأن صاحب البدعة هو الذي أظهر بدعته، وفضح نفسه أمام الناس، فلا غيبة له، لكن لو كان مستورًا، ولم يظهر بدعته، ولا يعلم عنه شيء، فلا تتكلم فيه في غيبته.



أثر: ما أذن الله لصاحب بدعة في توبة

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال عطاء: ما أذن الله لصاحب بدعة في توبة.

الشرح : يقول عطاء: إن صاحب البدعة بعيدة منه التوبة؛ لأنه يعتقد أنه على الحق، وفي الغالب أنه لا يتوب، وقد يأذن الله له بالتوبة، فله الحكمة البالغة، قد يمن الله عليه بالتوبة، لكن الغالب أن صاحب البدعة لا يتوب.



أثر: عاشرت الناس وكلمت أهل الكلام

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال أبو عبيد: عاشرت الناس، وكلمت أهل الكلام، فما رأيت قومًا أوسخ وسخًا، ولا أقذر قذرًا، ولا أضعف حجة، ولا أحمق من الرافضة.

الشرح : وهذا الأثر لأبي عبيد القاسم بن سلام الإمام المشهور، يبين فساد مذهب الرافضة وخسته وقذارته، حيث إنهم يكفرون الصحابة ويعيبونهم، ويفسقونهم، ويلعنونهم والعياذ بالله، وهم خير الناس وأفضل الناس بعد الأنبياء فدل على خستهم وقذارتهم، ولهذا قال: عاشرت الناس، وكلمت أهل الكلام، وأهل البدع، فما رأيت قومًا أوسخ وسخًا، ولا أقذر قذرًا، ولا أضعف حجة، ولا أحمق من الرافضة .

وهؤلاء ليس لهم حجة، وليس لهم دليل، دينهم مبني على الكذب، وهم أكذب الطوائف، كما قال الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية: «أكذب الطوائف الرافضة» .

وقال الشعبي: «أكذب الطوائف الرافضة، لو أردت أن يملأوا لي هذا البيت ذهبًا لملئوه على أن أكذب لعلي وأهل البيت» .

يقول: لو أردت أن يملئوا لي البيت ذهبًا ملئوه، بشرط أن أكذب لهم، وأضع لهم الأحاديث في عليٍّ وأهل البيت فهم لا يبالون بالكذب، نسأل الله العافية، دينهم الكذب، ومذهبهم مبني على الدُّلْسة وعدم الوضوح، ولهذا يقولون: إذا اختلفت الإمامية في قولين - يعني: الرافضة - وأحد القولين لا يُعرف له قائل، فالحق في القول الذي لا يُعرف له قائل، وهذا يدل على أن دينهم مبني على الدلسة وعدم الوضوح.

أثر: الرافضة اتخذوا البهتان حجة

قال المؤلف - رحمه الله - : وذكرت الأهواء عند رَقبة بن مصقلة فقال: أما الرافضة فإنهم اتخذوا البهتان حجة، وأما المرجئة فعلى دين الملوك، وأما الزيدية فأحسب أن الذي وضع لهم رأيهم امرأة، وأما المعتزلة فوالله ما خرجت إلى ضيعتي، فظننت أني أرجع إلا وهم قد رجعوا عن رأيهم.

الشرح : ذُكرت الأهواء، أي: البدع، عند رقبة بن مصقلة فذكر هذه البدع: بدعة الرافضة والمرجئة والزيدية والمعتزلة؛ فقال: أما الرافضة فإنهم اتخذوا البهتان حجة، أي: لأنهم ليس لديهم دليل، فأدلتهم البهتان والكذب، اتخذوا البهتان والكذب حجة، وهم يكذبون على عليّ، ويكذبون على أهل البيت، ويكذبون على الصحابة، ويكذبون على النبي ﷺ، ويضعون الأحاديث، فاتخذوا البهتان حجة.

وأما المرجئة الذين يقولون بأن الإيمان تصديق القلب فقط فعلى دين الملوك، والمرجئة هم الذين يقولون: إن الأعمال ليست داخلة في مسمى الإيمان والمعاصي لا تضر، فهم على دين الملوك الذين يفعلون المعاصي ولا يبالون، والمراد الأغلب، وإلا فالملوك فيهم صلحاء.

فأغلب الملوك لا يبالون بالكبائر والمعاصي، فيناسبهم مذهب المرجئة؛ لأن المرجئة الغلاة الذين هم الطائفة الأولى يرون أن الإيمان تصديق بالقلب، أو معرفة بالقلب، وأما الأعمال ليست من الإيمان، بل وليست واجبة، فلو فعل جميع الكبائر لا يضره.

وأما الزيدية فأحسب أن الذي وضع لهم رأيهم امرأة؛ لفساده ونقصه، والزيدية طائفة من الشيعة ولكن من أخف طوائف الشيعة، وهم الذين يفضلون عليًا على أبي بكر وعمر، وطلب علي رضي الله عنه الزيدية الذين يفضلونه على أبي بكر وعمر ليجلدهم ثمانين جلدة، حد المفتري؛ لأنهم افتروا.

وأما السبّابة الذين يسبون أبا بكر وعمر طلبهم ليقتلهم ويقطع رقابهم، فهربوا منه.

وأما المعتزلة فوالله ما خرجت إلى ضيعتي، أي: بستاني ومزرعتي فظننت أن أرجع إلا وهم قد رجعوا عن رأيهم؛ لفساده، وهؤلاء هم الذين يرون أن العباد خلقوا أفعالهم، وأن الإنسان هو الذي خلق فعل نفسه؛ طاعة أو معصية، ويرون أن العاصي خرج من الإيمان، ولم يدخل في الكفر، ويقولون: لا مؤمن ولا كافر، فهو في منزلة بين المنزلتين، وهذا فاسد وفساده واضح.



أثر: لولا أني على وضوء لأخبرتكم بما تقول الرافضة

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال طلحة بن مصرف: لولا أني على وضوء لأخبرتكم بما تقول الرافضة.

الشرح : لكونه قولًا شنيعًا قبيحًا وسيئًا، فهو يحب أن ينزه لسانه - إذا كان متوضئًا - عن قولهم الفاسد، وسبهم للصحابة - رضوان الله عليهم -، وتكفيرهم لهم، فقال: لولا أني على وضوء، وأحب أن أنزه لساني عن الكلام البذيء الذي يقوله الرافضة لأخبرتكم بقولهم.



أثر: لا نقيم ببلدة يُشتم فيها عثمان بن عفان

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال مغيرة: خرج جرير بن عبد الله وعدي بن حاتم وحنظلة الكاتب من الكوفة حتى نزلوا قرقيسيا وقالوا: لا نقيم ببلدة يُشتم فيها عثمان بن عفان.

الشرح : قال مغيرة: خرج - هؤلاء العلماء - جرير بن عبد الله وعدي ابن حاتم الطائي وحنظلة بن الربيع بن صيفي التميمي كلهم صحابة - رضوان الله عليهم - حتى نزلوا قرقيسيا وهي بلدة قريبة من نهر الفرات في العراق وقالوا: لا نقيم ببلدة يُشتم فيها عثمان بن عفان رضي الله عنه.

خرجوا من الكوفة؛ لأنه كان بالكوفة رافضة؛ فخرج هؤلاء الصحابة: جرير بن عبد الله البجلي وعدي بن حاتم الطائي وحنظلة ونزلوا بلدة أخرى قريبة من الفرات، وقالوا: لا نقيم في بلدة يُشتم فيها عثمان بن عفان رضي الله عنه ويسب الصحابة.

وهذا دليل على إنكارهم لمذهب الرافضة؛ فدل على أن مذهب الرافضة مذهب باطل أنكره الصحابة.



أثر: لا أقيم ببلدة يُشتم فيها أصحاب الرسول

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال أحمد بن عبد الله بن يونس: باع محمد بن عبد العزيز التيمي داره وقال: لا أقيم بالكوفة بلدة يُشتم فيها أصحاب رسول الله ﷺ.

الشرح : وهذا الأثر فيه أن محمد بن عبد العزيز التيمي باع بيته الذي في الكوفة وانتقل إلى بلدة أخرى، فرارًا من البلدة التي يُشتم فيها أصحاب رسول الله ﷺ فهو لا يريد أن يجاور الرافضة.

وهذا يدل على الحذر من الرافضة وأصحاب البدع، والبعد عنهم، وعدم مساكنتهم.



أثر: اذكروا محاسن أصحاب الرسول

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال العوام بن حوشب: أدركت من أدركت من صدر هذه الأمة، بعضهم يقول لبعض: اذكروا محاسن أصحاب رسول الله ﷺ لتأتلف عليه القلوب، ولا تذكروا ما شجر بينهم، فتحرشوا الناس عليهم.

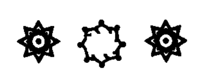
الشرح : وهذا الأثر عن العوام بن حوشب يقول: أدركت من أدركت من صدر هذه الأمة - وصدر هذه الأمة هم الصحابة والتابعون - يقول: بعضهم يقول لبعض: اذكروا محاسن أصحاب رسول الله، يعني: فهم التابعون - رضي الله عنهم - ومن تبعهم، وكذلك من أدرك من أصحاب النبي ﷺ لتأتلف عليه القلوب، أي: تجتمع القلوب على محبة أصحاب رسول الله ﷺ؛ لأنهم حملة الشريعة، ونقلة هذا الدين، ولأنهم خير الناس، وأفضل الناس بعد الأنبياء، ولأن الله اختارهم لصحبة نبيه، لا كان ولا يكون مثلهم.

فالواجب على المسلم أن يواليهم، وأن يترضّى عنهم، وأن يحبهم، ويجب على المسلمين هكذا حتى تأتلف قلوبهم على محبة الصحابة.

قال: ولا تذكروا ما شجر بينهم. أي: لا تذكروا ما حصل بينهم من الخلاف والنزاع.

فتحرشوا الناس عليهم، أي: تغروا الناس عليهم، وتؤلبونهم عليهم، فالواجب غض الطرف، والكف عما شجر بين الصحابة من الخلاف والنزاع، وذكر محاسنهم، والترضي عنهم، وموالاتهم، وما شجر بينهم وما حصل

بينهم من خلاف، فهم مجتهدون، ما بين مجتهد مصيب له أجران، وما بين مجتهد مخطئ له أجر، وخطؤه مغفور، هذا هو الذي عليه أهل السنة والجماعة.



أثر: لا يغل قلب أحد على أحد من أصحاب الرسول

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال سفيان بن عيينة: لا يغل قلب أحد على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا كان قلبه على المسلمين أغل.

الشرح : أي من في قلبه حقد على الصحابة فلا بد أن يكون فيه حقد على المسلمين أعظم وأعظم، فمثلًا: الرافضة الذين يحقدون ويغلون على أصحاب رسول الله ﷺ هم على أهل السنة والجماعة أشد وأشد، ويتمنون زوالهم، بل إنهم يتقربون بإراقة دمائهم لو تمكنوا، ويرون ذلك دينًا، فالرافضة يرون أن إراقة دماء المسلمين دين يدينون به، فإذا كانوا يغلون ويحقدون على أصحاب النبي ﷺ فهم على المسلمين أشد وأشد وأعظم، نسأل الله العافية.

فالواجب الحذر منهم، والبعد عنهم، والتحذير منهم، والبعد عن أخلاقهم وصفاتهم، والواجب نصيحة من كان يقبل النصيحة، وتحذيرهم وتخويفهم.

❋ ❋ ❋

أثر: في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال سفيان في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾[١] وقال أصحاب محمد ﷺ.

الشرح: لعله: «قال» بدون واو، أي قال في تفسيرها.

فالآية تشملهم ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾[٢]؛ أي: مضت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾[٣] من الحسنات، وعليها ما اكتسبت من الإثم، فيشمل أصحاب النبي ﷺ وكل من مضى كذلك له ما كسب، وعليه ما اكتسب.

والمعنى: أنه يجب الكف عمن مات وعمن مضى؛ لأنه قَدِمَ على ما قدَّمَ، فله ما كسب من الحسنات، وعليه ما اكتسب من الإثم.

وفي معنى هذه الآية الكريمة قول النبي ﷺ في الحديث: **«لا تسبوا الأموات؛ فإنهم أفضوا إلى ما قدموا»**[٤].

فعليك أن تكف عن الأموات؛ لأنهم أفضوا إلى ما قدموا، وعليك أن تستغفر لهم، وتدعو الله لهم.

وهذا فيه التحذير من مذهب الرافضة الذين لا يعملون بهذه الآية ولا بالحديث، بل يسبون الصحابة ويكفرونهم، والأثر فيه التحذير من مذهبهم.

---

(١) سورة البقرة آية : ١٣٤ .

(٢) سورة البقرة آية : ١٣٤ .

(٣) سورة البقرة آية : ١٣٤ .

(٤) البخاري: الجنائز (١٣٩٣)، والنسائي: الجنائز (١٩٣٦)، وأبو داود: الأدب (٤٨٩٩)، وأحمد (٦/ ١٨٠)، والدارمي: السير (٢٥١١) .

أثر: نظرت في الأهواء وكلمت أهلها

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال الشعبي: نظرت في الأهواء، وكلمت أهلها، فلم أرَ قومًا أقل عقلًا من الخشبية.

التخريج: رواه الأثرم في مسائل الإمام أحمد.

الشرح : وجاء في «طبقات اللسان» عن إبراهيم النخعي قوله: لو كنت مستحلًا قتال أحد من أهل القبلة لاستحللت قتال هؤلاء الخشبية.

وهذه مقالة الشعبي وهو تابعي صغير، وهو إمام، وهو جبل الحفظ في نقد الرجال، يقول: نظرت في الأهواء، أي: نظرت في البدع؛ في بدعة الخوارج وبدعة المرجئة وبدعة المعتزلة وبدعة الجهمية وبدعة الأشاعرة وبدعة الرافضة.

وكلمت أهلها، فلم أرَ قومًا أقل عقلًا من الخشبية، والمراد بالخشبية الرافضة، وسُمُّوا خشبية في أول أمرهم؛ لأنهم كانوا يقاتلون بالخشب، ولا يقاتلون بالسيف، ويقولون: لا قتال بالسيف حتى يخرج المهدي في آخر الزمان، ومهدي الشيعة الذي دخل سرداب سامراء في العراق سنة مائتين وستة ولم يخرج إلى الآن.

ثم بعد ذلك رفضوا زيد بن علي عندما سألوه عن أبي بكر وعمر ما تقول فيهما؟ فقال: هما وزيرا جدي رسول الله ﷺ وترضّى عليهما فتركوه ورفضوه، قال: رفضتموني، رفضتموني؟ فسموا من ذلك الوقت الرافضة، وكانوا في الأول يسمون بالخشبية.

ما هو المهدي؟

مهدي الشيعة شخص لا حقيقة له؛ لأن أباه الحسن بن علي العسكري مات عقيمًا ولم يولد له، فجعلوا له ولدًا، وأدخلوه السرداب، وهو ابن سنتين أو ثلاث أو خمس سنين، دخل السرداب سنة مائتين وستة، ولم يخرج إلى الآن.

يقول شيخ الإسلام في زمانه: مضى عليه أربعمائة سنة، ونحن نقول: مضى عليه ألف ومائتين سنة الآن، ولم يخرج حتى الآن، وهم في كل سنة يقفون عند باب السرداب، وهو لا يزال موجودًا إلى الآن في سامراء في العراق ويأتون ببغلة أو غيرها وينادون بصوت مرتفع: يا مولانا، اخرج. يا مولانا، اخرج. يا مولانا، اخرج. يا مولانا، اخرج.

وهذا - بزعمهم - موجود إلى الآن، وهو الإمام الثاني عشر من نسل الحسين بن علي، ويقولون: إن هؤلاء الأئمة اثنا عشر إمامًا نص عليهم النبي ﷺ.

فهم أئمة منصوص عليهم، معصومون، أولهم علي بن أبي طالب ثم الإمام الثاني الحسن بن علي، ثم الحسين بن علي، ثم علي بن الحسين زين العابدين، ثم محمد بن علي الباقر، ثم جعفر بن محمد الصادق، ثم موسى ابن جعفر الكاظم، ثم علي بن موسى الرضا، ثم محمد بن علي الجواد، ثم علي بن محمد المهدي، ثم الحسن بن علي العسكري، ثم الخلف الحجة المهدي المنتظر الثاني عشر من نسل الحسين محمد بن الحسن الذي دخل سرداب سامراء ولم يخرج إلى الآن.

والشيعة يرون أن هؤلاء الأئمة معصومون، ونص عليهم النبي ﷺ، لكن أهل السنة والصحابة - كما يزعمون - كفروا وارتدوا بعد وفاة الرسول ﷺ وأخفوا النصوص، وأنهم ولوا أبا بكر زورًا وبهتانًا، ثم ولوا عمر زورًا وبهتانًا، ثم ولوا عثمان زورًا وبهتانًا، ثم وصلت النوبة إلى الخليفة الأول.

هذا المهدي المنتظر محمد بن الحسن أبوه الحسن مات عقيمًا ولم يولد له، ما له ولد من الأساس، فنسبوا له ولدًا وأدخلوه السرداب، وقالوا: إنه المهدي المنتظر، وليس هناك جهاد حتى يخرج المهدي المنتظر، وينادي مناد من السماء: اتبعوه، وبعد ذلك يبدأ الجهاد والقتال بالسيف.

ويقولون الآن بمسألة الوصاية «ولاية الفقيه» - التي جاء بها الخميني - الذي ينوب عنه حتى يخرج المهدي.

فالمقصود أن الشعبي يقول: نظرت في الأهواء والبدع، وكلمت أهلها، فلم أرَ قوما أقل عقلًا من الخشبية كيف يقبلون هذه الترَّهات، فلو كان عندهم عقول سليمة ما قبلوا هذه الترهات الباطلة، وأنه رجل شخص مغيَّب مات أبوه عقيمًا، ولم يولد له، وينسبون له ولدًا، ويدخلونه السرداب، ويقولون: هو الإمام المنتظر، وهو إمامهم المعصوم الذي يعملون بتشريعاته إذا خرج، وهو شخص موهوم لا حقيقة له.



أثر: قيل للحسن إن الشيعة يزعمون أن عليًا يرجع

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال عاصم بن ضمرة: قلت للحسن بن علي إن الشيعة يزعمون أن عليًا يرجع. فقال: كذبوا، لو علمنا ذلك ما تزوج نساؤه، ولا قسمنا ماله.

الشرح : عاصم بن ضمرة السلولي الكوفي يقول: قلت للحسن بن علي ابن أبي طالب إن الشيعة يزعمون أن عليًا يرجع، وهذه يسمونها مسألة الرجعة عند الشيعة يزعمون أن عليًا في السحاب، وسيرجع مرة ثانية.

ولهذا كثيرًا ما تجدون في كتب الرجال - رجال الحديث - قولَ: فلان يقول بالرجعة، ورافضي يقول بالرجعة، أي يقول: إن عليًا سيرجع، وهذا يكون رافضيًا لا تُقبل روايته.

قوله: كذبوا، لو علمنا - يعني: إنه يرجع - ما تزوج نساؤه، ولا قسمنا ماله.

لو: حرف امتناع لامتناع، لو كان ما يقولون حقًا ما تزوج نساؤه ولا قسمنا ماله، لكن تزوج نساؤه، وقسمنا ماله، فعلمنا أنهم كَذَبَة.

❋ ❋ ❋

أثر: من فضَّل عليًا على أبي بكر وعمر فقد عابهما

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال سفيان الثوري: من فضَّل عليًا على أبي بكر وعمر فقد عابهما، وعاب من فضَّله عليهما.

الشرح : عاب الشيخين وذمهما؛ لأنه تنقصهما، وحط من قدرهما، لأنهما هما أفضل الناس بعد الأنبياء، وهما أفضل من علي، وعاب من فضَّله عليهما.

وثبت في الحديث الصحيح أن عليًا رضي الله عنه صعد منبر الكوفة وقال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر.

فلو كان أفضل منهما لما قال هذا الكلام على منبر الكوفة؛ فالذي يفضل عليًا على أبي بكر فتفضيله هذا عيب لهما حيث حط من قدرهما، وعيب لعلي نفسه حيث أنه سكت ولم يبين ذلك.



أثر: بلغني أن أقواما بالعراق يتناولون أبا بكر

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال جابر بن يزيد الجُعفي: قال لي محمد بن علي: يا جابر بلغني أن أقوامًا بالعراق يتناولون أبا بكر وعمر ويزعمون أنهم يحبوننا، ويزعمون أني أمرتهم بذلك، فأبلغهم أني إلى الله منهم بريء، والذي نفسي بيده لو وليت لتقربت بدمائهم إلى الله عز وجل إن أعداء الإسلام لغافلون عن قلة حراء مع رسول الله ﷺ.

الشرح : وهذه مقالة لجابر بن يزيد الجعفي وهو من الشيعة وهو ضعيف رافضي، ومع ذلك فقد نقل المؤلف هذا الكلام؛ فهو حجة على الرافضة أنفسهم.

يقول جابر بن يزيد الجعفي: قال لي محمد بن علي: يا جابر بلغني أن أقواما بالعراق يتناولون أبا بكر وعمر أي: بالذم والعيب والسب.

ويزعمون أنهم يحبوننا - نحن أهل البيت - ويزعمون أني أمرتهم بذلك، فأبلغهم أني إلى الله منهم بريء، وهذا كلام محمد بن علي ومن أهل البيت.

قوله: والذي نفسي بيده لو وليت - لو كان لي ولاية أو إمارة أو خلافة - لتقربت بدمائهم إلى الله عز وجل، أي: أرى أن قتلهم دين أتقرب بهم إلى الله لكفرهم وضلالهم.

ثم قال: إن أعداء الإسلام لغافلون عن قلة حراء، والقلة: رأس الجبل، رأس جبل حراء، وكأنه يشير إلى الحديث الذي فيه: أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان كان على حراء، فتحرك الجبل، فقال النبي ﷺ: «اسكن أو

اثبت حراء، اثبت فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان»[(١)] .

«ما عليك إلا نبي وصديق» أبو بكر، «وشهيدان» : عمر وعثمان.

وثبت أيضًا هذا في جبل أحد أنه تحرك، وقال له : «اثبت أحد؛ فما عليك إلا نبي وصديق وشهيد»[(٢)] .

يقول: غفلوا عن هذا، أي: هؤلاء الذين يتناولون أبا بكر وعمر كيف غفلوا عن هذا الحديث الذي فيه أن النبي ﷺ شهد لأبي بكر بأنه صديق، وشهد لعمر بأنه شهيد، وكذلك لعثمان ؟!

فإذا كان هذا هو محمد بن علي وهو من أهل البيت يقول: لو وُلِّيت لتقربت إلى الله بقتلهم لأنهم كفرة، فدل على أن هؤلاء كَذَبَة، والرافضة في دعواهم محبة أهل البيت وأن أهل البيت يتبرؤون منهم.

فالذي يحب أهل البيت هو الذي يوالي الصحابة ويوالي أهل البيت، أما الذي يعبد آل البيت ويسب الصحابة فهذا ليس مواليًا لهم، بل هو معاديًا لهم.

❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري: الْمَنَاقِبِ (٣٦٧٥)، والترمذي: المناقب (٣٦٩٧)، وأبو داود: السنة (٤٦٥١)، وأحمد (٣/ ١١٢) .

(٢) البخاري: المناقب (٣٦٨٦)، والترمذي: المناقب (٣٦٩٧)، وأبو داود: السنة (٤٦٥١)، وأحمد (٣/ ١١٢) .

أثر: جاء نفر من الناس إلى علي بن الحسين

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال جابر: جاء نفر من الناس إلى علي بن الحسين فأثنوا عليه، فقال: ما أكذبكم وأجرأكم على الله - عز وجل - ! نحن من صالحي قومنا، وبحسبنا أن نكون من صالحي قومنا.

الشرح : قال جابر - رحمه الله - : جاء نفر من الناس إلى علي بن الحسين زين العابدين علي بن الحسين من سلالة علي رضي الله عنه ابن أبي طالب أثنوا عليه، فقال - لما أثنوا عليه - : ما أكذبكم وأجرأكم على الله - عز وجل - ! نحن من صالحي قومنا، لا تغلوا فينا، ولا تزيدوا في المدح، بحسبنا، أي: يكفينا أن نكون من صالحي قومنا.

وكان الرافضة يغلون في مدح أهل البيت حتى عبدوهم من دون الله، وفي المقابل كانوا يكفرون الصحابة انظر التناقض، نعوذ بالله.

❁ ❁ ❁

أثر: الرافضة أشهد إنهم لمشركون

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال سليمان بن قرم الضبي: كنت عند عبد الله بن الحسين بن الحسن فقال له: رجل أصلحك الله، من أهل قبلتنا أحد ينبغي أن نشهد عليه بشرك؟ قال: نعم، الرافضة أشهد إنهم لمشركون، وكيف لا يكونون مشركين ولو سألتهم: أذنب النبي - صلى الله عليه وسلم - ؟ لقالوا: نعم، وقد غفر الله له ما تقدم وما تأخر، ولو قلت لهم: أذنب علي؟ لقالوا: لا، ومن قال ذلك فقد كفر.

الشرح : هذه المقالة من أهل البيت شهادة على كفر الرافضة وأنهم أهل شرك، وأهل كفر.

قال له رجل: أصلحك الله، مِن أهل قبلتنا أحد ينبغي أن تشهد عليه بالشرك؟ يعني: هل يشهد على أحد من أهل القبلة بالشرك؟ قال: نعم، الرافضة أشهد أنهم مشركون. هذه شهادة رجل من أهل البيت وهو عبد الله ابن الحسين بن الحسن يشهد أن الرافضة مشركون. أشهد أنهم مشركون.

ثم قال: وكيف لا يكونون مشركين وهم يشهدون على النبي ﷺ أنه مذنب، وعلى علي أنه غير مذنب؟! ففضلوا عليًا على النبي ﷺ لو سألتهم: أذنب النبي - صلى الله عليه وسلم - ؟ لقالوا: نعم. والله - تعالى - يقول في كتابه: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (١).

---

(١) سورة الفتح آية : ٢ .

ولو قلت لهم: أذنب عليٌّ؟ لقالوا: لا، ومن قال ذلك فقد كفر.

فمن قال - في زعمهم - إن النبي مذنب لم يكفر ومن قال إن عليًا مذنب يكفر؛ ففضلوا عليًا على النبي ﷺ؛ فلذلك حكم عليهم بأنهم مشركون، فدل على أن دعواهم محبة أهل البيت كذب وزور.

❁ ❁ ❁



أثر: سمعت عبد الله بن الحسن يقول لرجل من الرافضة

قال المؤلف - رحمه الله - : حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن إسحاق المروزي قال: أخبرنا عباس الدوري قال: أخبرنا جعفر بن عون عن فضيل بن مرزوق قال: سمعت عبد الله بن الحسن بن الحسين يقول لرجل من الرافضة: والله إن قتلك لقربى لولا حق الجوار.

الشرح : وهذا الأثر ذكره المؤلف - رحمه الله - بسنده، حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن إسحاق المروزي قال: أنبأنا عباس الدوري قال: أنبأنا جعفر بن عون عن فضيل بن مرزوق قال: سمعت عبد الله بن الحسن بن الحسين - وهذه شهادة من أهل البيت، والحسين من سلالة علي ابن أبي طالب رضي الله عنه - يقول لرجل من الرافضة: والله إن قتلك لقربة لولا حق الجوار؛ فهو يرى أن قتله قربة، دين يتقرب به إلى الله عز وجل ولكنه ترك قتله؛ مراعاة لحق الجار، والجار له حق ولو كان كافرًا.

فعبد الله بن الحسين راعى حق الجوار لهذا الرافضي، وقال: لولا حق الجوار لتقربت إلى الله بقتلك، وأرى أن قتلك دين وقربة أتقرب به إلى الله.

دل هذا الأثر على أن الرافضة كفار؛ لأنهم يسبون الصحابة ويكفرونهم، ويفسقونهم، والصحابة، هم نقلة الشريعة، وحملة الدين، فهم كذبوا الله في تزكيتهم وعدالتهم، وهم - أيضًا - كفَّروا نقلة الدين وحملة الشريعة، وكيف يوثق بدين ينقله كفار وفساق؟! وهم كذبوا الله في حفظه للقرآن، وقالوا: إن

القرآن غير محفوظ؛ لأن القرآن محرف، ولم يبق إلا الثلث، يزعمون أن القرآن حذف ثلثاه، ولم يبقَ إلا الثلث، والله يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ (١).

حتى إن بعض الشيعة ألف كتابًا وسماه «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب»، أثبت فيه أن كتاب الله محرف، - نعوذ بالله - ألا يكون هذا تكذيبًا لله؟ أليس الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ (٢)؟.

---

(١) سورة الحجر آية : ٩ .

(٢) سورة الحجر آية : ٩ .

أثر: لا أنالني الله شفاعة محمد إن لم أتقرب إلى الله بحبهما

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال جابر بن رفاعة: سألت جعفر ابن محمد رضي الله عنه عن أبي بكر وعمر - رضي الله تعالى عنهما -، فقال: لا أنالني الله شفاعة محمد إن لم أتقرب إلى الله بحبهما والصلاة عليهما.

الشرح : يقول جابر بن يزيد بن رفاعة العجلي: سألت جعفر بن محمد، وهو من أهل البيت، وهو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي المعروف بجعفر الصادق، وهو رجل صالح، وأهل البيت كلهم صالحون، ولكن الشيعة شوهوا تاريخهم، وأفسدوا تاريخ أهل البيت.

سأله جابر بن يزيد عن أبي بكر وعمر فقال: لا أنالني الله شفاعة محمد ﷺ إن لم أتقرب إلى الله بحبهما والصلاة عليهما. ويعني بالصلاة : الدعاء.

يبين أنه يتقرب إلى الله بحبهما والدعاء لهما، فكيف بعد ذلك يأتي الرافضة ويسبون الشيخين أبا بكر وعمر ويشتمونهما؟!

۞ ۞ ۞

أثر: أبرأ من كل من ذكرهما إلا بخير

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال الحسن بن صالح: سألت جعفر بن محمد عن أبي بكر وعمر؟ فقال: أبرأ من كل من ذكرهما إلا بخير، قلت: لعلك تقول ذاك تقية؟ فقال: أنا إذن من المشركين ولا نالتني شفاعة محمد ﷺ إن لم أتقرب إلى الله عز وجل بحبهما، ولكن قومًا يتأكّلون من الناس.

الشرح : يقول الحسن بن صالح بن حي: سألت جعفر بن محمد - وهو جعفر الصادق - عن أبي بكر وعمر ؟ فقال: أبرأ من كل من ذكرهما إلا بخير.

أي تبرأ من كل من ذكرهما بشر؛ فقال له الحسن بن صالح: لعلك تقول ذلك تقية؟ يعني: من باب المداراة، فقال: أنا إذن من المشركين إن كنت كاذبًا، ولا نالتني شفاعة محمد ﷺ إن لم أتقرب إلى الله عز وجل بحبهما.

قوله: ولكن قومًا يتأكّلون من الناس، ويتأكلون: يعني ينالون شيئًا من الدنيا، يكونون في شيء من المناصب عند الرافضة وأهل البدع، ويظهرون محبة أهل البيت وهم يعادون أهل البيت ويسبون الصحابة حتى يبقوا في مناصبهم في الدولة الرافضية إذا صاروا يسبون الشيخين، وما أشبه ذلك، ولهذا قال: ولكن قومًا يتأكلون من الناس، فهم يبقون في مناصبهم، وينالون بها الدنيا، ويدعون أنهم يزعمون أنهم يحبون أهل البيت، وأهل البيت برآء منهم.

۞ ۞ ۞

أثر: سألت عبد الله بن الحسن عن أبي بكر وعمر

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال أبو خالد الأحمر: سألت عبد الله بن الحسن بن الحسين - رضي الله عنهما - عن أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - ؟ فقال: صلى الله عليهما، ولا صلى على من لم يصلِّ عليهما، ونحن غدًا برآء ممن جعلنا طعمته.

الشرح : وهذا الأثر عن أبي خالد الأحمر، قال: سألت عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن أبي بكر وعمر فقال: صلى الله عليهما، والصلاة أصح ما قيل فيها: ثناء الله على عبده في الملأ الأعلى، فهي دعاء وسؤال الله أن يثني عليهما في الملأ الأعلى.

قال: ولا صلى على من لا يصلي عليهما. دعاء على الرافضة الذين لا يصلون عليهما.

ونحن غدًا برآء: نحن - معشر أهل البيت - برآء ممن جعل أهل البيت طعمة له، يعني: جعلهم طعمة له، يزعم أنه يحب أهل البيت ويسب الصحابة فجعلهم كأنهم طعمة، أي: مضغة يمضغهم الناس في أفواههم، ويتأكلون بهم، وجعلوا محبة أهل البيت تقية، وأهل البيت برآء منهم.

❁ ❁ ❁

أثر: مَن فضلنا على أبي بكر وعمر فقد برئ من سنة جدنا

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال محمد بن علي بن الحسين: مَن فضلنا على أبي بكر وعمر فقد برئ من سنة جدنا ﷺ ونحن خصماؤه غدًا عند الله عز وجل.

الشرح : وهذه مقالة - أيضًا - مأخوذة من أهل البيت، قال محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: مَن فضلنا على أبي بكر وعمر - يعني: من فضل عليًا وآل البيت على أبي بكر وعمر - فقد برئ من سنة جدنا محمد ﷺ؛ لأن النبي ﷺ زوَّج عليًا فاطمة وأنجبت له الحسن والحسين فيكون الحسن والحسين جدهما النبي ﷺ، وعبد الله بن الحسين من سلالة الأولاد الحسن والحسين فيكون جدهما النبي ﷺ.

ونحن خصماؤه غدًا عند الله - عز وجل -، وهذا يدل على أن الرافضة مفترون على الله.

❁ ❁ ❁

حديث: سيأتي قوم لهم نبز يقال لهم الرافضة

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه - : قال لي النبي ﷺ: «سيأتي قوم لهم نبز، يقال لهم: الرافضة، أين لقيتهم فاقتلهم؛ فإنهم مشركون». قلت: يا رسول الله، وما العلامة فيهم؟ قال: «يقرضونك بما ليس فيك، ويطعنون على السلف»[١].

الشرح : لكن الحديث في صحته نظر عن النبي ﷺ، وعلى فرض صحته يقول: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لي النبي ﷺ: **«سيأتي قوم لهم نَبَز»** أي: لقب **«يقال لهم: الرافضة»** أي: يلقبون بالرافضة. يخاطب النبي ﷺ عليًا يقول: **«أين لقيتهم فاقتلهم؛ فإنهم مشركون»**. وهذا - لو صح - صريح في كفر الرافضة قال: قلت: وما العلامة فيهم؟ قال: **«يقرضونك بما ليس فيك»**، أي: يثنون عليك بما ليس فيك - يثنون على أهل البيت بما ليس فيهم -

---

(١) الطبراني في الأوسط (٦/ ٣٥٤)، مجمع الزوائد (٩/ ٧٤٨) (١٦٤٣١)، كنز العمال (١١/ ٤٣٩) (٣١٦٣٤)

بأن يزيدوا في مدحهم، ويطعنون على السلف من الصحابة.

وهذا الأثر لو صح لكان صريحًا في كفر الرافضة وأنهم مشركون بلا أدنى شك، ولكن في ثبوته نظر.



أثر: تفترق هذه الأمة على نيِّف وسبعين فرقة

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال علي - رضي الله تعالى عنه -: تفترق هذه الأمة على نيِّف وسبعين فرقة، شرها فرقة تنتحل حُبَّنا، وتخالف أمرنا.

الشرح : هذا المقال لعلي بن أبي طالب مأخوذ من الحديث: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة»[1].

والنيِّف: العدد من ثلاثة إلى عشرة، مثل البضع، يعني: يزيد على السبعين، ولا يصل إلى الثمانين، والحديث دلَّ على أن النيف ثلاثة، ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، يقول: ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، شرها فرقة تنتحل حبنا أهل البيت يعني تزعم وتدعي حبنا، وتخالف أمرنا.

يقول علي رضي الله عنه: شر فرق هذه الأمة فرقة تدعي حبنا أهل البيت، وتخالف أمرنا، فيدعون حبنا، ويخالفون أمرنا، وهم الرافضة فدل على أن الرافضة من شر الفرق.

---

(١) الترمذي: الإيمان (٢٦٤٠)، وأبو داود: السنة (٤٥٩٦)، وابن ماجه: الفتن (٣٩٩١)، وأحمد (٢/ ٣٣٢) .

أثر: يهلك فيَّ رجلان

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه - : يهلك فيَّ رجلان: محب مفرط، ومبغض مفتر.

الشرح : هذا واقع، وهذه مقالة علي رضي الله عنه قال: يهلك فيّ رجلان: محب مفرط، ومبغض مفتر. فالمحب المفرط الرافضة والسبئية الذين يقولون بعصمة علي، وقالوا: إنه الإمام المعصوم، والمخطئة كذلك أحبوه وأفرطوا في حبه، وهم يزعمون أن جبريل أرسله الله إلى علي فخان وأوصل الرسالة إلى محمد ويقولون: خان الأمين جبريل وصدها - يعني الرسالة - عن حيدر - علي - فهؤلاء يزعمون أنهم محبون، لكنهم مفرطون، والإفراط هو الزيادة، زادوا حتى جعلوه نبيًا، والسبئية - أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي - يزعمون أنهم يحبونه حتى سجدوا له، وقالوا: أنت الإله، فلما رأى ذلك، حفر حفرًا في الأرض، وجاء بالحطب وأضرمها نارًا، وألقاهم فيها، وقال:

لما رأيت الأمر أمرًا منكرًا أججت ناري ودعوت قنبرًا

وقنبرًا: مولاه؛ فلما ألقاهم في النار، قالوا: هذا هو الإله، زادوا في كفرهم - والعياذ بالله -، فقالوا: هذا هو الإله يعذب بالنار - أعوذ بالله -، فهؤلاء الذين ألهوا عليًا هلكوا، أو الذين جعلوه هو النبي، أو الذين جعلوه معصومًا، والذين عبدوه من دون الله، فكل هؤلاء هلكوا.

هؤلاء مفرطون لكن أفرطوا في المحبة، والثاني مبغض مفتر، وهم الخوارج والنواصب الذين كفروا عليًا لما جاءت مسألة التحكيم قالوا: أنت كافر، حكّمت الرجال في دين الله؛ فالخوارج أبغضوه، وزادوا في بغضه حتى

كافر، حكّمت الرجال في دين الله؛ فالخوارج أبغضوه، وزادوا في بغضه حتى كفّروه وجعلوه كافرًا، والروافض غلوا في حبه، وأفرطوا حتى عبدوه، وجعلوه إلهًا، أو نبيًّا أو معصومًا؛ فهلك هؤلاء، وهلك هؤلاء، هلك رجلان، أي: الجنسان؛ جنس الرافضة المحبون المفرطون، زادوا حتى جعلوه إلهًا، أو نبيًّا أو معصومًا فهلكوا، وجنس الخوارج الذين نصبوا العداوة لعلي وأهل البيت حتى كفروا عليًّا وقالوا: إنه كافر.

فهلك هؤلاء وهؤلاء، وهدى الله أهل الحق، فلم يجعلوه إلهًا، ولم يعبدوه من دون الله، ولم يغلو في ظلمه كما فعلت الخوارج، ولم يغلو في حبه كما تزعم الروافض بل أنزلوه منزلته وتولوه، وقالوا: خليفة راشد، وهو صحابي جليل، من الخلفاء الراشدين وهو الخليفة الرابع، ومن أهل البيت وليس بمعصوم، وليس بنبي، وهو رابع الخلفاء الراشدين، ومرتبته في الفضل، كمرتبته في الخلافة، وأنزلوه منزلته، التي أنزله الله، التي دلت عليه النصوص بالعدل والإنصاف، لا بالهوى والتعصب.

فصار هناك ثلاث طوائف: طائفة غَلَوْ فيه حتى عبدوه، وهم الروافض فهلكوا، وطائفة كفروه، وهم الخوارج فهلكوا، وطائفة توسطوا، وهم أهل الحق، الذين أنزلوه منزلته بالعدل والإنصاف، لا بالهوى والتعصب، فحبوه وتولوه، ولم يعبدوه مع الله، ولم يدعوا عصمته، ولم يعادوه كما عادته النواصب، وإنما تولوه وأنزلوه منزلته، بالعدل والإنصاف، لا بالهوى والتعصب.

❁ ❁ ❁

أثر: إذا رأيت رجلًا يذكر رجلًا من أصحاب الرسول بسوء

قال المؤلف - رحمه الله - : قال: حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري قال: أخبرنا عبد الملك بن عبد الحميد الميموني قال لي أحمد بن حنبل - رحمة الله تعالى عليه - : يا أبا الحسن إذا رأيت رجلًا يذكر رجلًا من أصحاب رسول الله ﷺ بسوء، فاتهمه على الإسلام.

الشرح : وهذا السند إلى الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والجماعة يقول لعبدالملك بن عبدالحميد الميموني قال لي أحمد بن حنبل - رحمة الله عليه - : يا أبا الحسن - كنية عبد الملك بن عبد الحميد - إذا رأيت رجلًا يذكر رجلًا من أصحاب النبي ﷺ بسوء، فاتهمه على الإسلام، اتهمه أن في صحة إسلامه نظرًا؛ لأن هذا يدل على النفاق، ومرض في القلب.

ولهذا يقول العلماء بأن حب الصحابة دين وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان، كما قال الطحاوي - رحمه الله - في العقيدة الطحاوية: «وحبهم دين وإيمان وإحسان وبغضهم كفر ونفاق وعصيان» (شرح الطحاوية (٢/ ٧٠٤) ط. مؤسسة الرسالة) يقول: حب الصحابة دين وقربة وإحسان، دين يدين الإنسان به، وقربة يتقرب به إلى الله، وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

ولهذا قال الإمام أحمد - رحمه الله - إمام أهل السنة والجماعة: إذا

رأيت رجلًا يذكر رجلًا من أصحاب النبي ﷺ بسوء ويعيبه، فاتهمه على الإسلام، أي: في إسلامه نظر.

فهذه شهادة من إمام أهل السنة والجماعة بأن من يذكر أصحاب النبي بسوء ويعيبه، أن في صحة إسلامه نظر.





حديث: يخرج قبل قيام الساعة قوم يقال لهم الرافضة

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال علي بن أبي طالب: قال لي النبي ﷺ: «يخرج قبل قيام الساعة قوم، يقال لهم الرافضة برآء من الإسلام».

الشرح : وهذا رواه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة، وفي صحته نظر؛ لأنه لو صح، لكان دليلًا على كفر الرافضة؛ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قال لي النبي ﷺ: **«يخرج قبل قيام الساعة قوم، يقال لهم الرافضة»** أي: تسمية بأسمائهم «يقال لهم الرافضة، برآء من الإسلام» يعني إنهم خارجون عن الإسلام، وهذا يحتاج إلى ثبوت، لكنه لو صح لكان دليلًا على كفر الرافضة.



أثر: شيعتي الذبل الشفاه الخمص

قال المؤلف - رحمه الله - : حدثنا القاضي ابن المطرّف قال: حدثنا محمد بن أحمد بن محمد قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن خالد قال: حدثني أبو عبد الله المؤدب المعروف بابن شاخيل قال: حدثني يزيد بن محمد الثقفي قال: أخبرنا حسان بن سدير عن سدير عن محمد بن علي عن أبيه، أنه قال: قال علي رضي الله عنه لنوف البكالي وهو معه على السطح: يا نوف تدري من شيعتي؟ قال: لا والله، قال: شيعتي الذبل الشفاه، الخمص البطون، تعرف الرهبانية والربانية في وجوههم، رهبان بالليل، أسد بالنهار. إذا جنهم الليل ائتزروا على أوساطهم، وارتدوا على أطرافهم، يخورون كما تخور الثيران، في فكاك رقابهم.

شيعتي الذين إذا شهدوا لم يعرفوا، وإذا خطبوا لم يزوجوا، وإذا مرضوا لم يعادوا، وإذا غابوا لم يفتقدوا.

شيعتي الذين في أموالهم يتواسون، وفي الله يتباذلون، درهم وفلس، وفلس وثوب، وثوب وإلا فلا.

شيعتي من لم يهرّ هرير الكلاب، ولم يطمع طمع الغراب، لا يسأل الناس، وإن مات جوعًا، إن رأى مؤمنًا أكرمه، وإن رأى فاسقًا هجره، هؤلاء والله يا نوف شيعتي، شرورهم مأمونة، وقلوبهم محزونة، وحوائجهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة، فإن اختلفت بهم

البلدان، لم تختلف قلوبهم، أما الليل فصافون أقدامهم، يفترشون جباههم، تجري دموعهم على خدودهم، يجأرون في فكاك رقابهم. وأما النهار فحلماء علماء، نجباء كرام أبرار أتقياء.

يا نوف شيعتي الذين اتخذوا الأرض بساطًا، والماء طيبًا، والقرآن شعارًا، والدعاء دثارًا، قرضوا الدنيا قرضًا، على دين منهاج عيسى ابن مريم - عليه السلام - .

الشرح : فهذا الأثر ساقه المؤلف - رحمه الله - بالسند، وعن نوف البكالي بسنده، عن محمد بن علي وهو محمد ابن الحنفية، عن محمد يحتمل محمد بن علي الباقر عن أبيه قال:

قال علي رضي الله عنه لنوف البكالي وهو معه على السطح: يا نوف - يخاطب نوفًا البكالي -، ونوف هذا هو ابن امرأة كعب الأحبار.

تدري من شيعتي؟: استفهام، وألقى السؤال بصيغة الاستفهام، حتى ينتبه للجواب؛ فأحيانًا تُلقى المسألة على الطلاب بصيغة الاستفهام، حتى يتشوقوا إلى فهمها.

وهذا كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح، حديث معاذ: «**يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟**» قال: الله ورسوله أعلم[1]؛ حتى يلقى سمعه لما يقال، فعلي رضي الله عنه قال: يا نوف تدري من شيعتي؟ وشيعتي أي: الذين يشايعونني، ويتولونني، وشيعة علي هم أنصاره وأتباعه، الذين يوالونه وينصرونه ويتبعونه.

---

(١) البخاري: الجهاد والسير (٢٨٥٦)، ومسلم: الإيمان (٣٠)، والترمذي: الإيمان (٢٦٤٣)، وابن ماجه: الزهد (٤٢٩٦)، وأحمد (٣/ ٢٦٠) .

تدري من هم شيعتي؟ - يعني على الحقيقة - بصيغة الاستفهام، قال: لا والله، قال: هم الذين يتصفون بالصفات الآتية:

هؤلاء هم الشيعة - حقًّا - قال: شيعتي الذبل الشفاه، والمعنى أنهم يصومون حتى تذبل شفاههم؛ فالصائم في آخر نهار الصيام تذبل شفتاه بسبب الصوم وانقطاعه عن الطعام والشراب، فشفاههم يابسة من كثرة الصوم.

قوله: الخمص البطون؛ أي: بطونهم ضامرة من الجوع؛ لأنهم يصومون، فهم شفاههم ذابلة يابسة، وبطونهم خمص، يعني قد لصقت بأجوافهم؛ بسبب ترك الطعام والشراب من أجل الصوم.

قوله: تعرف الرهبانية والربانية في وجوههم: والرهبانية هي العبادة، أي: تعرف العبادة في وجوههم.

قوله: والربانية؛ أي: يعملون بمقتضى ربوبية الله لهم، فهم يتخذون الله ربًا، وإلهًا ومعبودًا، يؤمنون بأسمائه، وصفاته وأفعاله، وأنه يربي الخلق بنعمه، فهم يثبتون أسماء الله، وصفاته وأفعاله وربوبيته، وأنه الخالق الرازق المدبر، المحيي المميت، فهم يعبدون الله، ويعملون بمقتضى الربوبية، يظهر هذا في وجوههم.

قوله: رهبان بالليل، أسد بالنهار: رهبان بالليل، أي: عباد بالليل، وأُسْد بالنهار، أي: شجعان في القتال، وأُسْد جمع أسد؛ فهم رهبان يصلون الليل، يراوحون بين الجباه والأقدام، وفي النهار شجعان، يقاتلون الأعداء، ويجاهدون في سبيل الله.

قوله: إذا جنهم الليل ائتزروا على أوساطهم، وارتدوا على أطرافهم: ائتزروا أي: شدوا الإزار على أوساطهم؛ حتى يكون أقوى لهم على العبادة، يصلون، يحيون الليل فهم يشدون أوساطهم بالإزار، يأتزرون حتى يكون أقوى لهم على طول القيام، وقوله: وارتدوا على أطرافهم أي: جعلوا الرداء على طرفهم، مثل المحرم في الحج والعمرة، الذي يجعل الرداء على كتفيه.

وقوله: يخورون كما تخور الثيران، في فكاك رقابهم: أي: يبكون في الليل، طلبًا في فكاك رقابهم من النار، والخوار هو صوت البقرة، ومنها ما جاء في الحديث في التحذير من الغلول، قال النبي ﷺ: «فإن أحدكم يوم القيامة يأتي على رقبته بقرة لها خوار أو شاه لها ثغاء»[١].

والثيران جمع ثور، والثور هو ذكر البقرة، فهم يبكون ويكون لهم صوت كصوت خوار البقر والثيران، خوفًا من الله، في فكاك رقابهم من النار.

ثم قال: شيعتي - هذا وصف آخر - الذين إذا شهدوا لم يعرفوا، وإذا خطبوا لم يزوجوا، وإذا مرضوا لم يعودوا، وإذا غابوا لم يفتقدوا؛ أي: أنهم بعيدون عن الشهرة، وليسوا معروفين، فإذا شهدوا لم يعرفوا، إذا حضروا المجالس ما يعرفهم أحد، لبعدهم عن الشهرة، وزهدهم في اللباس، فهم أناس صلحاء.

وإذا خطبوا لم يزوجوا؛ لأنهم غير معروفين، فليس لهم منصب ولا جاه ولا مال، فإذا خطب الواحد منهم لا يُزَوَّج؛ لأن كثيرًا من الناس الآن ينظر إلى من يزوجه، هل هو صاحب مال وذو مكانة وعنده سيارة... إلخ، لكن هؤلاء فقراء ما يملكون شيئًا، فإذا خطبوا ما يُزَوَّجوا . وإذا مرضوا لم يعادوا؛ لأنهم غير معروفين. وإن غابوا لم يفتقدوا؛ لعدم شهرتهم، لأنهم غير معروفين، بسبب بعدهم عن مظاهر الدنيا.

قوله: شيعتي الذين في أموالهم يتواسون، وفي الله يتباذلون: شيعتي أي: أنصاري، وأهل ولايتي، وأهل محبتي وأتباعي، هم الذين في أموالهم يتواسون، أي: يواسي بعضهم بعضًا في المال، فيواسي الغني الفقير في

---

(١) البخاري: الهبة وفضلها والتحريض عليها (٢٥٩٧)، ومسلم: الإمارة (١٨٣٢)، وأبو داود: الخراج والإمارة والفيء (٢٩٤٦)، وأحمد (٥/ ٤٢٣)، والدارمي: الزكاة (١٦٦٩).

أموالهم، وفي الله يتباذلون، أي: يبذلون الأموال في الله، كما قال - سبحانه وتعالى - : ﴿فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾[(١)]

قوله: درهم وفلس، وفلس وثوب، وثوب وإلا فلا: أي: يبذل درهم، والفلس أقل شيء مثل القرش، وما شابه ذلك، أي: يعطي هذا درهمًا وفلسًا، ويعطي هذا فلسًا وفلسًا وثوبًا.

ثم قال: شيعتي من لم يهر هرير الكلاب ولم يطمع طمع الغراب: أي: أنهم لا يبذرون، ولا يمسكون ويحرصون ويبخلون بالواجب، ولكنهم وسط، كما قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾[(٢)].

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾[(٣)] فتبخل بالواجب ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾[(٤)] فتبذر، ولكن بين ذلك فهؤلاء كذلك، لا يهر الواحد هرير الكلاب، فينفق الأموال في كل ما هب ودب، ولا يجمع المال، ويحرص على جمعه، كطمع الغراب.

قوله: لا يسأل الناس، وإن مات جوعًا؛ أي: الرجل من شيعتي وأنصاري وأحبابي، لا يسأل الناس، وإن مات جوعًا، يموت في بيته، ثم قال: إن رأى مؤمنًا أكرمه: فهو إن رأى مؤمنًا يكرمه.

قوله: وإن رأى فاسقًا هجره؛ أي: مرتكبًا لكبيرة أو بدعة هجره، ولعل هذا هو الشاهد الذي من أجله أتى بهذا الأثر الطويل، في هجر أهل البدع.

ثم قال علي: هؤلاء، والله يا نوف شيعتي: هؤلاء أنصاري وأحبابي وأتباعي الذين أواليهم ويوالونني، ثم قال: شرورهم مأمونة: فهؤلاء الشيعة

---

(١) سورة المعارج آية : ٢٤ - ٢٥ .

(٢) سورة الإسراء آية : ٢٩ .

(٣) نفسه .

(٤) نفسه .

يأمن الناس شرهم، فهم لا يعتدون على أحد، لا في دم، ولا مال، ولا عرض.

وقلوبهم محزونة: من أجل إصلاح الناس، وتفقد أحوالهم، وهم يحزنون على أهل المعاصي، وعلى أهل البدع، لماذا ارتكبوا محارم الله؟ ويحزنون للفقراء، لِمَ لا يواسيهم الأغنياء؟ وحوائجهم خفيفة: متخففين من الدنيا، فما يتوسعون منها.

وأنفسهم عفيفة: عن الحرام والفساد، ثم قال: إن اختلفت بهم البلدان، لم تختلف قلوبهم: فهم وإن كانوا في بلدان متعددة، لكن قلوبهم مؤتلفة، لو كان واحدًا في الشرق، والثاني في الغرب، وهذا عربي، وهذا عجمي، إلا أن قلوبهم متفقة، وإن كانت البلدان متباعدة، فإن اختلفت بهم البلدان، لا تختلف قلوبهم.

قوله: أما الليل فصافُّون أقدامهم؛ أي: يصفون أقدامهم للصلاة، فإذا جاء الليل، صف الواحد منهم قدمه للصلاة، والعبادة والتهجد، يفترشون جباههم؛ أي: يراوح بين القدمين، وبين الجباه، فيصف قدمه في القيام، ويفترش جبهته في السجود.

ثم قال: تجري دموعهم على خدودهم: خوفًا من الله، فهم يخافون الله، ويبكون ويتضرعون، ثم قال: يجأرون إلى الله في فكاك رقابهم؛ أي: لبكائهم صوت، فهم يجأرون إلى الله في فكاك رقابهم، يبكون ويصيحون، ويكون لهم جؤار، يسألون الله أن يفك رقابهم من النار، وهذا في الليل.

قوله: وأما النهار فحلماء علماء نجباء، كرام أبرار أتقياء: حلماء: جمع حليم، والحليم هو الذي يصفح ويعفو عمن ظلمه، وعلماء جمع عالم وعليم، ونجباء جمع نجيب، والنجيب هو الكريم الأصل الشريف، وكرام؛ أي: عندهم كرم وبذل، وأبرار جمع برّ، والبرُّ التقي هو الذي يوحد الله ويخلص له العبادة، ويؤدي فرائضه، وينتهي عن محارمه.

قوله: يا نوف شيعتي الذين اتخذوا الأرض بساطًا: فهم متخففون من الدنيا، ليس عندهم فرش ولا سرر، ولكن اتخذوا الأرض بساطًا: يجلسون عليها، وينامون عليها، والماء طيبًا؛ لفقرهم، فهم لا يملكون الطيب، ولكن يملكون الماء الذي يغتسلون به فتحصل النظافة بدلًا من الطيب.

والقرآن شعارًا، والدعاء دثارًا: والشعار هو الثوب الذي يلي الجسد، مثل (الفنيلة)، فهذه نسميها شعارًا، والدثار الثوب الذي فوق الشعار، ومنه قول النبي ﷺ: **«أنا والأنصار شعار، والناس دثار»**(١).

فجعل الأنصار شعارًا يلون الجسد؛ لأنهم أخص بالنبي ﷺ والناس فوقهم، وهذا يدل على أن الأنصار لهم منزلة عند النبي ﷺ؛ فهؤلاء جعلوا القرآن شعارًا، أي: يبدءون بالقرآن ثم الدعاء؛ فيقدمون القرآن؛ لأنه كلام الله فهو شعار، ثم بعد ذلك الدعاء فهو دثار.

قوله: قرضوا الدنيا قرضًا؛ أي: أخذوا منها بقدر حاجتهم، ولم يتوسعوا فيها، ثم قال - وهذه هي الطامة - : على دين منهاج عيسى ابن مريم: وأين منهاج النبي - صلى الله عليه وسلم - ؟!!

هذا الأثر - كما سبق لنا - غريب، فهو باطل لأنه ضعيف السند، منكر المتن، شاذ.

أما ضعف السند، فإن في سنده نوفًا البكالي، ونوف البكالي - كما سبق - هو ابن امرأة كعب الأحبار، وكعب الأحبار كان رجلًا يهوديًا ثم أسلم في زمن التابعين، تزوج امرأة، ولها هذا الولد، وهو نوف البكالي.

ونوف البكالي مجهول، مستور الحال، والسند الذي فيه مجهول فهو ضعيف، ولو فتشنا بقية السند، لوجدنا في السند ضعفاء غيره.

وأما متنه فهو منكر شاذ، من وجوه متعددة، وأعظم نكارة فيه قوله: على

---

(١) البخاري: المغازي (٤٣٣٠)، ومسلم: الزكاة (١٠٦١)، وأحمد (٤/ ٤٢) .

دين منهاج عيسى ابن مريم: أي يتعبدون على دين عيسى ابن مريم - عليه الصلاة والسلام - بعد بعثة النبي ﷺ.

والنبي ﷺ يقول: «**والذي نفسي بيده، لو كان موسى وعيسى حيان لم يسعهم إلا اتباعي**» وعيسى - عليه السلام - إذا نزل في آخر الزمان فإنه يحكم بشريعة نبينا محمد ﷺ فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية، ويكون فردًا من أفراد الأمة المحمدية، فكيف يتعبدون على دين منهاج عيسى، ومنهاج النبي ﷺ الذي شريعته خاتمة الشرائع؟!

وكذلك من النكارة: هذه الصفات التي ما يكون المرء مواليًا لعلي إلا إذا اتصف بهذه الصفات، ومن الذي تنطبق عليه هذه الصفات؟!!، وهي ذبل الشفاه، خمص البطون، تعرف الرهبانية والربانية في وجوههم، رهبان بالليل، وأُسْد بالنهار، إذا جنهم الليل ائتزروا.

فهي صفات ما تنطبق على أحد، فهل الذي لا يتصف بهذه الصفات ما يكون من شيعة علي؟!

فهذا يدل على نكارة هذا المتن وشذوذه، والأقرب أنه من أخبار بني إسرائيل وأن كعب الأحبار كان ينقل عن بني إسرائيل بعد ما أسلم، ويحتمل أن نوفًا البكالي أخذ هذا الكلام من زوج أمه، وكعب الأحبار عن بني إسرائيل، وأشد ما فيه من النكارة، قوله: (على دين منهاج عيسى ابن مريم) فكيف يتعبدون على منهاج عيسى ابن مريم، ويتركون سنة النبي ﷺ وشريعته الخاتمة؟!، وياليت المؤلف - رحمه الله - نزه كتابه عن هذا الأثر، وما ذكره فيه الكفاية، مائتين وثلاثة وثلاثين أثر، فلا داعي لهذا الأثر، الذي هو متنه منكر وشاذ، وسنده ضعيف، وهذا هو آخر الآثار في القسم الأول.

۞ ۞ ۞